

# الهداية القرآنية سفينة نجات للإنسانية

تأليف

الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي

(رئيس ندوة العلماء العام ، لكاناؤ)

تعريب

محمد فرمان الندوي

(أستاذ دارالعلوم لندوة العلماء ، لكاناؤ ، الهند)

الناشر

المجمع الإسلامي العلمي ، لكاناؤ (الهند)

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

**يطلب الكتاب من جميع المكتبات الشهيرة في الهند :**

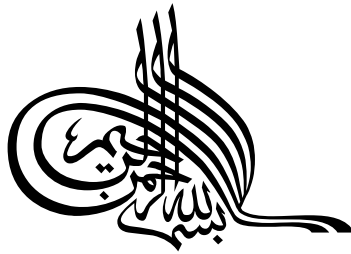
١. مكتبة الشباب العلمية شارع ندوة العلماء لكاناؤ الهند
٢. مكتبة الإسلام ، كوئن رود ، أمين آباد ، لكاناؤ
٣. مكتبة إحسان مكارم نغر ، لكاناؤ
٤. المكتبة الندوية ، ندوة العلماء ، ص ب : ٩٣ ، لكاناؤ

الناشر

المجمع الإسلامي العلمي

ص ب ١١٩ لكاناؤ (الهند)

"إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ  
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا  
كَبِيرًا"  
(بني إسرائيل : ١٠)



بسم الله الرحمن الرحيم

## كلمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد : فإن القرآن الكريم كتاب الله المقدس ، أنزله الله تعالى كنعمة إلهية جليلة ، أنزلها من فوق السماوات العالية إلى الكرة الأرض السافلة ، وجعلها وسيلة جليلة ، يتلقى بها الإنسان المؤمن بربه وأوامر ربه العظيم ، وجعلها ذريعة الحصول على رضا ربه ، وجعله الله تعالى هدايةً خالدةً إلى يوم القيامة ، يكون بذلك ذريعة اتصال بين السماء والأرض ، وبين العبد وربّه ، فاشتمل على بلاغة تعبيرية عالية ، ذات خصائص متنوعة عميقة وجليلة ، على مستوى ليس فوقه مستوى ، وفصاحة وبيان معجز ، ليتأثر به القارئ والسامع ، ويستفيد ما ينفعه في حياته الدنيوية والأخروية ، ففيه جوانب إعجاز بيانية ، ومعاني الهداية والإرشاد البليغة ، ومعارف تربوية عالية ، اطلع الدارسون لها على طائفة منها لا على كلها ، ولا يزالون يكتشفون جديداً في جهودهم لاكتشافها ، وقد ألفوا كتاباً حول خصائص هذا الكتاب الجليل المقدس المعجز .

وأرى من شريفي أن أتبع هؤلاء الدارسين في مثل هذا الجهد الكريم ، فألفت هذا الكتاب ، وقدمت فيه ما علمته ، واطلعت عليه من الخصائص الكريمة لهذا الكتاب

العظيم، داعياً الله تعالى أن يتقبل عملي هذا كعمل يرضى به، فإن ذلك من سعادتني وشرفي، أحمد الله تعالى وأشكره عليه، وهو الموفق وهو المجيب لدعوات عباده .  
وصلى الله تعالى على خاتم رسله الذي أنزل عليه هذا الكتاب السماوي الخالد .

وأجد نفسي شاكراً للأخوين العالمين الكريمين الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي والأستاذ السيد محمد واضح رشيد الندوي على كلمتيهما في تقديم الكتاب، فإن كلمتيهما زادتنا قيمة الكتاب، فلهما الأجر من الله تعالى .  
ويسرني أن أحد إخواني البارعين في العربية الفصيحة الأخ محمد فرمان الندوي (الأستاذ في جامعة ندوة العلماء، ومساعد التحرير لمجلة البعث الإسلامي - لكاناؤ) قد حمل مسئولية نقل هذا الكتاب من اللغة الأردنية إلى اللغة العربية ليتوسع نطاق معرفة ما في هذا الكتاب، ولا يبقى محدوداً في لغته الأردنية التي وفقني الله تعالى لتأليفه فيها - فجزاه الله تعالى خير الجزاء، وتقيل منه ومني، إنه سميع مجيب - وصلّى الله تعالى على خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم .

كتبها

محمد الرابع الحسنّي الندوي  
ندوة العلماء، لكاناؤ (الهند)

١٤٣٥/١٠/٧ هـ  
٢٠١٤/٠٨/٠٥ م

## بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد بن عبد الله الأمين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين ، وأقوم بالتقدير العظيم والشكر اللائق على ما أنعم الله على البشرية بتنزيله لكتابه المجيد القرآن العظيم ، وجعله هدايةً وشفاءً لقلوب المؤمنين و وعد بحفظه ليكون ذريعة لهداية الناس إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإن القرآن الكريم آخر الكتب المنزلة من الله تعالى ، أنزله الله تعالى في فجر العهد ، الذي تقرر له من الله تعالى أن يمتاز على عهوده السابقة بانتشار العلم ، وبأن يكون عهد الاكتشافات العلمية واكتشاف وسائل الحياة الراقية ، وأصبحت الحياة الإنسانية بذلك منبع رقي ملحوظ من الاستفادة من العلوم التجريبية الإنسانية ، واتسعت التطورات المادية ، وأوضاع الحياة الفردية والاجتماعية ، بتأثير المواهب العلمية التي وهبها الله تعالى للإنسان ، فنزل القرآن بتويبه العلم ووصفه نعمة خاصة من رب العالمين ، فنزل القرآن كمنبع للعلم الذي يجعل الإنسان ناجحاً في الصفات الإنسانية اللائقة بشرف الإنسان علي المخلوقات الأرضية الأخرى ، وحل مكانة كتاب جامع للهداية في نواحي الحياة الإنسانية

المتنوعة من بين الكتب السماوية الماضية ، زد على ذلك اتصافه بالخصائص الكاملة المتقاضية للعهد الراقي المتعدد الجوانب لرفقيه ، و كان نزوله على آخر أنبياء الله تعالى ليكمل عمل إرشاد الناس إلى الصراط المستقيم على اختلاف طبقاتهم ، فبعث هذا النبي ﷺ بشريعة كاملة باقية إلى يوم القيامة ، وحصل لكل واحد منهما وهما كتاب الله الأخير وخاتم أنبيائه صفة جامعة وتكميلية ، فكان محمد رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء والرسل ، اكتملت عليه شريعة الإسلام واكتملت عليه سلسلة الأنبياء ، ونزل القرآن الكريم كأجمع كتاب سماوي لهداية الناس وكآخر كتاب سماوي ، أنزله الله تعالى مشتملاً على نظام كامل وشامل تربوي للحياة الإنسانية ، وجعله كخاتم الكتب السماوية ، فلا يحتاج ولن يحتاج إلى تغيير وتعديل ، ويبقى كافياً للإيمان والهداية السماوية منذ نزوله إلى يوم القيامة ، وظل النبي الأخير ﷺ وهذا الكتاب السماوي الأخير يرشدان الإنسان في معرفة الخير والشر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

اشتمل القرآن الكريم على معاني الهداية الإنسانية والموعظة الحسنة ، وبعث الرسول ﷺ مثلاً عملياً لهذه الموعظة ، فمن يجعله هادياً ييسر له معرفة رضا الله تعالى خالق الكون ، بأحسن طريق ، ويكون وسيلةً لهداية الإنسان الذي أكرمه الله تعالى بموهبة الاستفادة من العقل والهدى والتأثر بهما ، ويمكن أن يضل في إدراك الحقائق بسبب هوى النفس ، فلا يستفيد من هداية القرآن لتغيير مساره الضال عن الطريق المستقيم ، فيبتعد عن الاستفادة من النعم الموهوبة



له من الله رب العالمين ، فبعث النبي ﷺ لتغيير الإنسان الضال بما وقع من الضلال ، واختار الله تعالى لهذا الغرض الهم محمداً ﷺ هادياً ومبشراً ونذيراً وسراجاً منيراً ، وجعل القرآن الذي أنزله عليه تذكيراً للمؤمنين وهداية للمتقين ، فكان موعظةً وشفاءً وكتاباً مهيمناً ، وفرقاناً ، وقد تجلت خصائصه هذه على قارئه ، وأوجد فيه شوقاً ورغبةً إلى الصلاح والتقوى ، وحصل هذا الكلام الرباني للأجيال القادمة من أصحاب رسول الله ﷺ الذين نقلوا هذا الكلام البليغ ، واستمر نقله إلى يوم القيامة فأوجد في الناس تغييراً ملحوظاً ، قد رآته الدنيا بأمر عينها وسجله التاريخ الإنساني بمداد من نور .

إن القرآن الكريم أرفع مكانةً ، وأكثر تأثيراً وقوةً من كلام المخلوقات ، لأنه كلام خالق الكائنات ، وكلام نزل من السماء إلى الأرض التي لا قيمة لها أمام السماء ، فإن قوة الأرض ضئيلة ، فإذا نزل شيء يحمل قوة سماوية إلى الأرض مباشرة فلا تستطيع الأرض أن تحمله ، ويحمل القرآن قوة سماوية ، قال الله تعالى مشيراً إلى قوته : ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (سورة الحشر الآية/٢١) وقال الله تعالى أيضاً : ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة هود الآية/١٢٠) وذلك ليدرك الإنسان نور الهداية ويعرف حقيقة الأمر بتدبره في كلام الله تعالى ، أنزل الله تعالى هذا القرآن في لغة الإنسان وبواسطة مخلوق روعي هو جبريل عليه السلام ، وهو مخلوق ،

لكنه مخلوق سماوي ، وبذلك جعل الله تعالى احتمال هذه النعمة العظيمة الرفيعة التي كان حملها أشد على الجبال ، سهل احتمالها لصالح الإنسان بطريقتين : أحدهما : نزوله بواسطة الملك ، وثانيهما : نزوله في لغة هي أفصح لغة وعلى رجل ، يحمل مواهب عالية رفيعة وهو الرسول محمد بن عبد الله ﷺ .

إن الخصائص النفسية للإنسان ومواهبه التي أودعت فيه أمر دقيق وواسع ، والمقتضيات الفطرية لحياة الإنسان أمر عظيم ، فلا يدركها حق إدراكها إلا خالق الإنسان ومالكه ، فليس القرآن الكريم كتاب هداية في العبادات فحسب ، بل هو يهدي الإنسان في العقائد وفي جميع نشاطاته التي اشتملت على مقتضيات الحياة الإنسانية ومتطلباتها ، إلى الصراط المستقيم ، وليس من فطرة الإنسان أن يعزل عن العالم ، ويعيش في دائرة محدودة ضيقة ، فهو يعيش مرتبطاً بالروابط العامة ، والتعاملات الإنسانية ، فتناول القرآن بذكر العلاقات النفسية بين الزوجين ، والفطرة الضعيفة والجائرة البهيمية بينهما ، وأوضح ما هو المنهج الصحيح وما هو غير الصحيح في علاقات الزوجين ؟ وما هو أفضل صورة ؟ وفي أي صورة يكون الإهانة لكرامتهما الإنسانية ؟ وكذلك الأقارب وأولوالأرحام والأصدقاء والأعداء والجيران ، ما هي متطلبات علاقاتهم فردياً ؟ وما هي علاقاتهم جماعياً ؟ ذكرت هذه الأمور بذكر المصالح الإنسانية المناسبة بأسلوب ، فيه التأكيد على أن تحسن هذه العلاقات ، وذكر كل ذلك بالموعظة والتذكير ، وذكر فيه بأسلوب يجذب القلوب ، وكيف يقضي الإنسان متطلباته ؟ وما هو الأسلوب

الأحسن والمناسب في التعامل بين رجلين ، وإذا حدث صراع في الحياة الاجتماعية وكان مبعث قلق واضطراب فقد قدم القرآن لكل ذلك حلاً ناجعاً ، ورداً شافياً ، لتكون النتيجة مبعث فرح وسرور ، وأنه جعل المرأة مساوية للرجل على المستوى الإنساني ، لكن بناءً على أن المرأة مختلفة عن الرجل في القوة البدنية والكيفية النفسية ، قام القرآن بمراعاتها ، وذكر القرآن بالنسبة إلى المال وإنفاقه قواعد جمع الثروة وإنفاقها بصورة مناسبة وجميلة ، فإنه نهى عن الريح الذي ليس وراءه سعي وكد ، ونهى عن الريا والميسر ، وإذا كان الريح ناتجاً عن فكر وجهد اعتبره طيباً ، مثل الاستئجار ، والتجارة ، والبيع والشراء والصناعة ، وإذا مات صاحب المال وترك مالاً فلا يجوز أن يقبض عليه أحد بقوته ، بل يقسم بين ورثته حسب قرابتهم من الميت ، فذكر فيه أسهم الأولاد والأبوين ، وعند فقدانهم يرث الأخ والأخت ، وفي بعض الصور يرث الجد والجدة ، وعند فقدانهم جميعاً أفراد أسرة الأب يرثون المال عصبيةً .

إن الأبوين في الدنيا سببان ظاهران لوجود الإنسان ، فذكر القرآن حقوقهما بغاية من التأكيد ، وأمر بالإحسان إليهما ، وذكر حقهما بعد حق خالق الكون والموجودات ، وهو الله رب العالمين .

وما أجمله القرآن في ذكر ما يحتاج إليه الإنسان فسره الحديث النبوي ، الذي هو قبسة من الوحي الإلهي أو شرح للقرآن الكريم ، وقد ذكر القرآن الكريم علاقات الإنسان الطبيعية في سورة النساء بصورة أكثر ، وذكر في شأن المال

الذي يملكه الإنسان أن الرجل الذي لا يستطيع أن يكسب ولا يملك ما يعيش عليه ، فإنه يعد مفلساً ، وفقيراً ، فوضع الله في دخل الغني حق الفقير ، وذلك ذريعة للأعمال الصالحة الإنسانية ، ورد ذكر ذلك مراراً في مواضع مختلفة ، بل أولاه القرآن من العناية والاهتمام به أن قد ركز على مساعدة ذوي الحاجة بجانب عبادة الله تعالى ، ليزول من الإنسان الجور الاقتصادي الذي ينشأ فيه بسبب أحوال خاصة إلى حد كبير، ومعلوم أن الذي يسعى ويختار الحكمة والذي لا يسعى ولا يختارها فهما لا يستويان ، وإن ثمرة الساعي والمجتهد تعود إليه ، مقابل الرجل الذي لا يسعى ولا يجتهد ، فالحاجة إلى أن يُزال الفرق الاقتصادي المجحف بالتعاون فيما بينهما ، لذلك عدَّ القرآن الكريم مساعدة المحتاجين المالية إلى حد ممكن من قبيل العبادات ، ولم يكلف بمساواة كاملة وهو أن يصير الذي يسعى والذي لا يسعى مساويين مساواة كاملة في المال ، وقد ركز القرآن الكريم على حسن السيرة وحسن الأخلاق ، وعلى اختيار السيرة الطيبة ، ودم السيرة الخبيثة والسلوك الجائر ، وذكر جوانب متنوعة من حسن الأخلاق وحسن السيرة مفصلة ، نجد أمثلتها في سورة بني إسرائيل وفي سورة لقمان وفي سورة الحجرات بالتفصيل ، أما السلوك الصالح للعيش في الدنيا في ضوء القصص يمكن أن نرى معانيه في مواضع مختلفة من القرآن الكريم ، وخاصة قصة يوسف عليه السلام في سورة يوسف ، وقصة موسى عليه السلام في سورة القصص ورد ذكرهما مفصلاً ، وفيها زاد كبير من الهداية الربانية .

وكثيراً ما ركز القرآن على أن الله عز وجل خلق الكائنات ومخلوقاتهما لمهمة عالية ، وجعل الإنسان خليفة في الأرض، ومسئولاً ، ووضع فيها الصفات اللازمة والوسائل المفيدة الأخرى له ، وجعل كل ذلك تحت هدف معين ، ولم يجعله عبثاً أو لهواً وتسلياً خاليةً من خير ، وأخبر الإنسان بأنه لم يُخلق عبثاً ، ولم يترك سدى ، بل خلقه الله تحت غاية معينة ، ولم يجعله للإنسان وحده ، بل جعل ذلك لكل شئ ، فإنه لم يخلق بدون هدف كريم، وهو الذي يعرف ما يكمن في أي أمر من فائدة ونفع للإنسان ، وكل ما خلقه الله للإنسان إذا فكر في مصلحته الإنسان لوجد في أكثر الأمور مصلحتها وفائدتها ، فلفت القرآن عناية الإنسان إلى معرفة ما وراء الأمور المقررة له من مصلحة ، أو غاية ، وما أودع فيهما من فائدة إنسانية متنوعة ، وما يجري في الأرض وفوق الأرض من نظام مفيد ، فهناك الأرض والجبال ، والمزارع والبساتين والبحار والأنهار والصحارى التي تمتد إلى أراض واسعة ، وما فوق ذلك من الأشياء فقد خلقها الله تعالى فسوى ، وقدر فهدى ، وذكر القرآن الكريم أن مخلوقات الكون تسبح لله عزوجل وتحمده وتكبره ، قال : ﴿إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (سورة بني إسرائيل الآية/٤٤) ، فليس القصد من ذكر هذه الأشياء إلا توجيه الإنسان إلى أن يشكر الله ربه عزوجل، ويحمده على أنه خلقه ، وخلق المخلوقات كلها لحمده ، وتسبيحه ، حتى قال للملائكة : اسجدوا لآدم ، وذلك مثال لطاعة المخلوقات لربها الواحد ، وأمر الله بأن لا يسجد هذا الإنسان أمام غير الله تعالى ، وإنما يسجد لله

فقط، وذلك لأن الله هو الإله الواحد ، قال الله تعالى : ﴿هُوَ  
 اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (سورة الزمر الآية/٤) ، وقال : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ  
 أَحَدٌ ❖ اللَّهُ الصَّمَدُ ❖ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ❖ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا  
 أَحَدٌ﴾ (سورة الإخلاص الآيات/١ - ٤) ، وقال : ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ  
 الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ (سورة الحشر الآية/٢٤) ، وقال : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ  
 وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأعراف الآية/٥٤) وقد  
 ذكر أن توحيد الإله الواحد وعبادته هو الحق ، وما خالف  
 ذلك فهو باطل ، وجاء ذكره في آية الكرسي مفصلاً ،  
 فالتوحيد أهم موضوع في القرآن الكريم ، ونجد التصريح في  
 السور الأخرى أيضاً بأن الله هو المسجود المطاع ، ثم تأتي أمور  
 أخرى ، فيجب أن نؤمن بالأنبياء ، ونؤمن بأنهم يأتون بأوامر  
 الله إلى عباده ، وأكرم الله الأنبياء بالآيات البينات ، لتطمئن  
 قلوبهم ، وأنزل الله على خاتم أنبيائه محمد ﷺ القرآن  
 الكريم ، وجعله كتاباً معجزاً ، عرف العلماء والباحثون  
 جانباً كبيراً من صفاته المعجزة وغير ذلك من الخصائص ،  
 واستمرت هذه السلسلة ، حتى انقضت أربعة عشر قرناً ، ولم  
 يزل ولا يزال القرآن على أصالته وتأثير معانيه التي فيها هداية  
 الإنسان وإرشاده .

خلق الله الإنسان وهو يحمل طبيعة متنوعة ، نجد رعايته  
 في القرآن بأسلوب حسن ، وخطب الإنسان بعناية خاصة  
 لحالاته المتنوعة ، وخاطبه القرآن بأسلوب تتأثر به قلوبهم  
 وعقولهم ، ويذكر القرآن أحوالاً إنسانيةً مختلفةً مرَّ بها تاريخ  
 الإنسان الديني ، بحيث يتفق معها طبيعة المخاطبين الأولين  
 التي يستفيد بها الإنسان إلى يوم القيامة ، ونجد نماذج في

القرآن الكريم التي يظهر منها جوانب متنوعة ومؤثرة ترشد الإنسان إلى الصراط المستقيم دينياً وخلقياً ، وينطبع منها على القلب عظمة وتأثير كلام الله عزوجل ، أرجو أن ذكر هذه الجوانب يترك أثراً طيباً على قلوب القراء ، ويكون عوناً على الاستفادة من الكلام الإلهي ، أدعو الله أن يتقبل هذا الجهد ، ويجعله ذريعةً للشعور بعظمة القرآن الكريم .

إن الإخوة الذين ساعدوني في إعداد هذا المؤلف (والذين عندهم إلمام جيد بالعلوم الإسلامية) نذكر منهم خاصة الأخ بلال عبد الحي الحسني الندوي ، والأخ محمود حسن الحسني الندوي والأخ سبحان ثاقب الندوي ، والذي كانت مساعدته أكثر هو الأخ محمد وثيق الندوي ، الذي قدم مساعدةً غاليةً في ترتيب هذه المواد ، جزاهم الله خيراً (آمين) .

وأشكر للأخوين الجليلين فضيلة الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي والأستاذ محمد واضح رشيد الندوي على كتابتهما تقديماً للكتاب ، وأشكر الله تعالى أولاً وآخراً على توفيقه لي لهذا العمل ، فإني أحمده وأشكره شكراً عظيماً وكثيراً .

كتبها

محمد الرابع الحسني الندوي	١٤٣٣/٨/٨هـ
الحرم المدني الشريف ، المدينة المنورة	٢٠١٢/٦/٢٦م

## المقدمة

بقلم : فضيلة الشيخ السيد واضح رشيد الحسن الندوي  
 (رئيس الشؤون التعليمية لندوة العلماء لكناؤ)  
 الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد  
 الأنبياء وإمام المرسلين والمتقين ، محمد وعلى آله وأصحابه ،  
 ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :  
 فإن القرآن الكريم يتفرد من بين الصحف السماوية  
 بخصائصه ، وأعظم خصيصة له كونه محفوظاً من  
 التحريف ، وبقياً على أصالته من حيث اللفظ و الصوت و  
 الترتيب ، وقد أشار الله عز وجل إلى هذه المزية بقوله : ﴿ إِنَّا  
 نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ، فقد علم بذلك أن هذا  
 الكتاب العزيز لا يزال محفوظاً باقياً على ميزاته ، ينير  
 الدرب و ينفع الناس إلى يوم القيامة .

يقول سماحة الشيخ الإمام السيد أبو الحسن علي  
 الحسن الندوي رحمه الله في كتابه : "المدخل إلى الدراسات  
 القرآنية" :

"القرآن فارق بين الحق والباطل ، والخير والشر ،  
 والنور والظلام ، وهي سمته المميزة التي أصبحت علامة عليه ،  
 بل علماً يطلق عليه ، ويعرف به ، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ



عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ ﴿سورة الفرقان الآية/١﴾ .  
 إن الفارق الأصيل والحاجز السميك الذي أقامه القرآن  
 الكريم ، إلى أن تقوم الساعة ، بين الهداية والضلالة ،  
 والإيمان والكفر ، والإسلام والجاهلية ، ورضا الله وغضبه ،  
 وبين الظن واليقين ، والحلال والحرام ، فارق مميز يعجز عن  
 نظيره تاريخ الصحف السماوية ، والتعاليم الدينية عبر العصور  
 والأجيال ، فالفارق الذي أقامه بين التوحيد والشرك على  
 سبيل المثال ، وما استعيد فيه من أدنى الاحتمالات وأضعف  
 الشبهات ، وأخفى المزالق ، إنه فارق يدل على إعجازه ، وأنه  
 من الله :

﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ  
 فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لِأَنَّ صِمَامَ لَهَا﴾ (سورة البقرة  
 الآية/٢٥٦) ، ﴿لِيُمَيِّزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (سورة الأنفال  
 الآية/٣٧) ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾  
 (سورة الأنفال الآية/٤٢).<sup>١</sup>

ظل القرآن الكريم موضوع الدراسة والتحقيق في كل  
 عصر من حيث لغته ومعانيه ، لأنه يخاطب كل شعب وملة  
 رغم نزوله باللغة العربية ، قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ  
 كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (سورة الأنبياء الآية/١٠) وقال في  
 موضع آخر : ﴿لَقَدْ جِئْتَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً  
 لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الأعراف الآية/٥٢) وأشير إلى خصيصة أخرى

<sup>١</sup> المدخل إلى الدراسات القرآنية : ١٨ - ١٩ .

له في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (سورة يوسف الآية/٢) .

لقد كان العرب هم المخاطبون الأولون من القرآن الكريم يتبجحون بالفصاحة و البيان ، وكانوا فرسان هذا الميدان ، حتى إنهم كانوا يظنون غيرهم من الأمم والشعوب عجماء ويسمونهم بالعجم ، و نظراً إلى ذلك فقد تحداهم القرآن أن يأتوا بمثله فعجزوا عن ذلك ، و قد اعترف فصحاءهم بأن هذا القرآن معجز لا يمكنهم معارضته ، فقد روى البيهقي في دلائل النبوة (١٩٩/٢) عن عكرمة قال : جاء الوليد بن المغيرة إلى رسول الله ﷺ فقال له : اقرأ علي ، فقرأ عليه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ قال : أعد ، فأعاد النبي ﷺ فقال : والله ، لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ، إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر" . فكان إعجاز القرآن الرئيسي الإعجاز البياني .

إن القرآن الحكيم فضلاً عن إعجازه البلاغي يتضمن الهدى والرشد و العلم و الحكمة و يشتمل على أنباء الغيب وأحوال الأمم الماضية ، وإنه يفند العقائد الباطلة والأوهام الخاطئة ويصلح الأفكار ويبين أسرار الكون والإنسان والحياة ، ويرشد إلى آيات الله الماثورة في الآفاق و في الأنفس ، ويدل على المواهب الإلهية في الإنسان ، ويفصل أعمال الإنسان وأخلاقه وما يترتب عليها من نتائج وما تتركه من

آثار، وبالجملة فهو كتاب يهدي الإنسان في شعب الحياة كلها و ينير له الطريق في جميع المراحل .

فإذا كان هذا الكتاب الرباني كثير الخصائص ، جم المزايا ، فتصدى العلماء لإبراز محاسنه في فنه ومن ناحيته ، ولما كان عصره الأول عصر البلاغة والبيان ، فكان جل عنايتهم على إظهار إعجازه في هذه الناحية حتى تكونت في هذا الموضوع مكتبة بأسرها. و لا تزال هذه السلسلة في امتداد و ازدياد إلى هذا العصر.

وتأتي على رأس هذه القائمة كتاب "مشكل القرآن" لابن قتيبة و "مقالات الإسلاميين" لأبي الحسن الأشعري و "الانتصار" لأبي الحسن الخياط و "مجاز القرآن" لأبي عبيدة و "معاني القرآن" للفراء و "نظم القرآن" للجاحظ و "نظم القرآن" لأبي بكر عبد الله السجستاني و "إعجاز القرآن" لأبي عبد الله محمد بن زيد الواسطي و "إعجاز القرآن" للباقلاني و "إعجاز القرآن" لابن العربي و "النكت في إعجاز القرآن" للرماني و "بيان إعجاز القرآن" للخطابي و "إعجاز القرآن" لأبي الحسن عبد الجبار المعتزلي و "دلائل الإعجاز" و "أسرار البلاغة" لعبد القاهر الجرجاني و "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" و "بديع القرآن" لابن أبي إصبع المصري و "الطراز في أسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز" ليحيى بن حمزة العلوي و "نظم الدرر" لبرهان الدين بن عمر البقاعي و "الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي و تفسير الكشاف للزمخشري .

وألف ابن قتيبة والجمحي والمبرد و أمثالهم من أعلام اللغة والأدب في أدب القرآن و لغته وفي غريب القرآن و

مشكلات القرآن و مجاز القرآن و نظام القرآن مؤلفات مفردة، و كذلك صنف العلماء كتباً في أحكام القرآن. و في عصرنا هذا قام الشيخ حميد الدين الفراهي بالتأليف في علوم القرآن و بيان القرآن، و زاد زيادة حسنة في هذا الباب و ألفت كتب عديدة في قصص القرآن .

ولا يزال التأليف في الإعجاز البلاغي للقرآن مستمراً ، ويجدر بالذكر كتاب " إعجاز القرآن " للشيخ مصطفى صادق الرافعي و "النبأ العظيم" للشيخ محمد عبد الله دراز و "التصوير الفني في القرآن" و "مشاهد القيامة في القرآن" لسيد قطب و "الفاصلة في القرآن" للشيخ محمد الحسنوي و "الإعجاز البياني للقرآن" للدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي .

وكذلك قام العلماء في هذا العهد بالتأليف في باب الإعجاز العلمي للقرآن ، ونالت كتبهم في موضوع إعجاز القرآن في التشريع و في بيان أسرار الكون وحقائق الحياة قبولاً حسناً وأصبحت سبباً لإزالة الشكوك حول القرآن ولهداية بعض الناس .

واعتنى بعض المصنفين بإبراز خصائص القرآن من كلتا الناحيتين و سلطوا في كتبهم أضواء كاشفة على أسلوب القرآن البياني وطريقته الصوتية كما فعل سيد قطب في "التصوير الفني" ، وتلك خصيصة هامة للقرآن الكريم قلما التفت إليها الناس أن له إعجازاً صوتياً يجذب القلوب ، فهناك أمثلة متعددة قد اعترف فيها بعض الناس بمجرد أن سمعوا صوته أن هذا كلام إلهي .

أما كتب التفسير فإنها تحمل طابعاً خاصاً وتتبع عن أذواق المفسرين واتجاهاتهم ، سواء في ذلك المتقدمون والمتأخرون ، فنرى لكل كتاب في التفسير طريقة خاصة تدل على فكر صاحبه وفهمه .

ونظراً إلى ما ذكرناه فإن الدراسات القرآنية قد أصبحت موضوعاً مستقلاً عني به العلماء ولمجوا به في كل عصر. وقد ألفت في لغات المسلمين الأخرى غير العربية كتب في موضوعات ونواح مختلفة للقرآن الكريم ، ولغة الفارسية والأردية حظ وافر في ذلك بعد العربية .

إن التأليف في أي موضوع يمت إلى القرآن بصلة ، سواء كان فنياً أو علمياً ، يبعث على السعادة في جانب ، ويكون من وسائل الدعوة والإصلاح في جانب آخر ، فقد اهتدى كثير من الناس عن طريق القرآن قديماً وحديثاً ، ولا تزال أمثلته تشاهد في عصرنا الحالي كذلك .

يقول سماحة العلامة أبو الحسن علي الندوي رحمه الله :  
 "ومعلوم أن القرآن ليس معجزاً في ألفاظه وتراكيبه وفصاحته اللغوية وبلاغته المعنوية فحسب ، بل إنه معجز في ألفاظه ومفرداته ومركباته ، معجز في معانيه ومحتوياته ، معجز في علومه ومعارفه ، معجز في غيبياته وحقائقه الأبدية ، معجز في تعليماته الدينية والخلقية والاجتماعية والمدنية ، معجز في تأثيره وإثارته ، ومعجز في نبوءته وأخباره ، فإذا ظهر العجز من الإتيان بمثله في ألفاظه وتراكيبه فحسب ، فكيف يا ترى بمماثلته في جميع

وجوه إعجازه".<sup>١</sup>

وقال أيضا :

"إن البحث في القرآن الكريم عن حقائق العلم الحديث أو كشوفه الحديثة والتطبيق بين بعض إشاراتة الإجمالية ، وبين الكشوف الجديدة والتحقيقات الجاهزة ، الذي قام به على النطاق الواسع في هذا القرآن العلامة الطنطاوي الجوهري المصري في تفسيره "جواهر القرآن" ويسعى له باحثون في تحقيقاتهم العلمية جهد شائك ، ودقيق خطير ، لأنه من الممكن جداً ، وقد أيدت التجارب ذلك مرات وكرّات في تاريخ العلم والبحث أن تتغير نتائج هذه البحوث والمعارف التي يراها الناس اليوم من أجلى البديهيات وأظهر الحقائق رأساً على عقب أو تصبح موضع شك وتردد ، وتفقد بدايتها وقطعيتها .

ثم إن الجهد العلمي الذي لا ينكر إخلاص القائمين عليه ، وجديته وإفادته في بعض الأحيان يبعد بالقرآن الكريم عن موضوعه الرئيسي وغايته الأساسية ، وتشتم منه رائحة الخضوع للعلم والابتهار بالكشوف العلمية الحديثة".<sup>٢</sup>

قد صنف العلماء في إعجاز القرآن البياني كتباً كما مرّ ذكرها آنفاً ، ثم اعتنى العلماء المعاصرون بالإعجاز العلمي فصدرت في هذا الموضوع كتب ، وحاول بعض أصحاب العلم التطبيق بين علوم القرآن وعلوم الطبيعة ، وإن كان ذلك لا يخلو

<sup>١</sup> المدخل إلى الدراسات القرآنية : ص ٣٢ - ٣٣

<sup>٢</sup> الكتاب نفسه ص / ٤٣ .

من خطر ، كما أنه قد عُقدت ولا تزال تعقد ندوات علمية في إعجاز القرآن العلمي ، ذلك أن القرآن كتاب خالد فإعجازه كذلك خالد مستمر كما ذكر الدكتور محمود شاكر في مقدمة كتاب الدكتور مالك بن نبي "الظاهرة الكونية في القرآن" : أن القرآن معجز في كل عهد ويظهر إعجازه في كل زمان من الناحية التي تكون أكثر تأثيراً ووقوعاً في عقول أهل ذلك الزمان وقلوبهم .

لقد أثارت في عصرنا هذا بعض الأوساط المغرضة حرباً شعواء ضد القرآن الكريم ، بزعم أنه كتاب يعلم الإرهاب والعنف والظلم ويتذرعون في ذلك بالآيات التي تسوغ للمسلمين الدفاع عن أنفسهم ودينهم إذا اعتدي عليهم ، إن هذه الدعاية الكاذبة المضللة تجري بكل طريق ممكن من وضع الكتب ونشر البرامج والأفلام ووسائل الإعلام ، فتمس الحاجة إلى عرض مبادئ القرآن الهادية ومعانيه السامية في القيم الخلقية الرفيعة والمثل الإنسانية النبيلة بأسلوب علمي معاصر ، إن ذلك لمن أهم موضوعات القرآن الكريم ، فقد وصف الله تعالى القرآن أنه "هدى للناس" و "شفاء لما في الصدور" و "بيان للناس" ، فالحاجة شديدة إلى التتويه بموضوعات القرآن الأخلاقية والإشادة بما يوجد فيه من تعاليم العدل والقسط والشهادة بالحق ، وما يدعو إليه من الأمن والسلام والبعد من الفتنة ، وما يأمر به أتباعه من الصبر والعفو والصفح والرحمة وأخذ الحيطة في التعامل مع أتباع الديانات الأخرى إلى غير ما يزخر به كتاب الله من المعاني العليا التي تخلو منها الكتب والصحائف الدينية الأخرى .

إن صاحب هذا الكتاب الذي هو بين أيدينا أخي الكبير فضيلة الشيخ السيد محمد الرابع الحسيني الندوي حفظه الله ورعاه قد أتيح له أن يستفيد من سماحة الشيخ الإمام السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي في حله و ترحاله ، وكان الشيخ يتمتع بإدراك معاني القرآن وتذوق أساليبه ، فقد كان يقوم في دار العلوم ندوة العلماء بتدريس التفسير والأدب معا ، وقد تلقى العلم من العلامة السيد سليمان الندوي الذي كان صاحب بصيرة و درك بعلوم القرآن .

ثم إن الشيخ السيد محمد الرابع الحسيني الندوي بحكم علاقته بحركة "رسالة الإنسانية" قد تيسر له الحوار وتبادل الأفكار مع غير المسلمين ، واطلع بذلك على ما يختلف في نفوسهم من الشكوك والشبهات حول القرآن العظيم ، فشعر بالحاجة إلى كتاب ، يبين محتويات القرآن التي تتصل بمعرفة الله تبارك وتعالى والإيمان بخالق الكون وقدرته وصفاته وخلق الإنسان في الدنيا وغايته في العالم ، والآخرة والبعث والقيامة وشريعة الله تعالى وأحكامه والحياة الإنسانية وعلاقات الناس فيما بينهم والأخلاق العظيمة والقيم وطبائع البشر وميولهم ، وذلك لكي يعلم الناس أن هذا الكتاب ليس للمسلمين وحدهم ، بل إنه هدى للناس جميعا يهدي للتي هي أقوم ، ويرسي قواعد تمهد نحو الأمن والسلام والسعادة وطمأنينة القلب وانسراح الصدر ، فانطلاقاً من هذا الشعور ألف فضيلة الشيخ هذا الكتاب باللغة الأردية لكي يستفيد منه الناطقون باللغة الأردية ، ثم يُنقل إلى لغات أخرى فيعم نفعه المسلمين وغير المسلمين ، وقد اعترف بتأثير القرآن



الرجال الذين سنحت لهم الفرصة بدراسة معاني القرآن ودلالاته الخلقية ومفاهيمه السلوكية وإن كانت بالترجمة ، فألف المؤلف كتاباً مفصلاً على معاني القرآن الكريم ، وإن نظرة عجلى على عناوينه ومحتوياته تكفي لمعرفة قيمة الكتاب وفهم موضوعه ، و على سبيل المثال :

توطئة وتمهيد : بسم الله الرحمن الرحيم ، سورة الفاتحة .

الباب الأول : القرآن والعلم .

الباب الثاني : القرآن والإنسان .

الباب الثالث : طاعة رب العالمين .

الباب الرابع : بعثة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، سيدنا نوح عليه السلام ، سيدنا إبراهيم عليه السلام ، سيدنا موسى عليه السلام ، سيدنا عيسى بن مريم عليهما السلام ، سيدنا محمد رسول الله ﷺ .

الباب الخامس : القرآن آخر كتاب للهداية الربانية .

الباب السادس : فضائل القرآن الكريم وخصائصه .

الباب السابع : العلوم التي يشتمل عليها القرآن .

الباب الثامن : وجوه الإعجاز في القرآن الكريم .

الباب التاسع : من تعاليم القرآن الكريم .

الباب العاشر : مكانة خاتم النبيين محمد ﷺ ومهمته .

الباب الحادي عشر : توجيهات قرآنية ، في حسن السيرة

والأخلاق الحسنة .

وقد صدر قبل ذلك من قلم المؤلف كتاب في السيرة النبوية العطرة في اللغة الأردية باسم : "سراجاً منيراً" وتُلقى بقبول عظيم واستحسان كبير ، ولا سيما في أوساط غير

المسلمين والمتغربين ، وتداولته الأيدي ، وكان له فضل في إزالة الأوهام والتصورات الباطلة عن السيرة المباركة مما أحدثته كتب المستشرقين والمتعصبين من أهل الغرب .

وكان هذا الكتاب : "الهداية القرآنية : سفينة نجاة للإنسانية" إنما هي الحلقة الثانية لهذه السلسلة ، بحيث إن القرآن والسيرة كليهما نور يهدي إلى الصراط المستقيم ، إن ما يرشد إليه القرآن من الأخلاق الإنسانية والسلوكيات النبيلة ومبادئ المعاملات والاقتصاد وأصول المجتمع ليساعد الإنسانية اليوم على التحول من الفساد والدمار والقلق والتعاسة إلى الصلاح والبناء والطمأنينة والسعادة ، فإن عصرنا هذا غلبت فيه الأثرة والأنانية ورعاية المصالح الشخصية على حساب الأخلاق والاجتماعية وفقدان الأمن والسلام والإيثار ، و تحولت بذلك الحياة إلى جحيم لا تطاق ، وإن تعاليم القرآن ستكون الحل الوحيد من هذه المشكلات، وتثبت أن القرآن يدعو إلى العفو والتسامح والسلام لا إلى العنف والشدة والإرهاب ، قال الله تعالى : ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (سورة لقمان الآية / ١٧)

أدعو الله سبحانه وتعالى أن ينفع بهذا الكتاب الخاصة والعامّة على السواء ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

كتبها

٩/ذو القعدة ١٤٣٣هـ محمد واضح رشيد الحسنى الندوى  
٢٦/سبتمبر ٢٠١٢م رئيس الشؤون التعليمية لندوة العلماء

لكناؤ ، (الهند)

## تقديم الكتاب

بقلم : فضيلة الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي  
(مدير دار العلوم لندوة العلماء لكاناؤ ، الهند)  
الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد  
الأنبياء وإمام المرسلين محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم  
بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :  
فإن القرآن الكريم كتاب الله تعالى وكلامه الخالد  
المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل  
من حكيم حميد .

وإن الإيمان بهذه الحقيقة ، والاعتراف بواقع الخلود  
والإعجاز في هذا الكلام ، الذي يلزمه بصفة دائمة يملأ  
العالم البشري بأجمعه خضوعاً أمام قدرة الله الواسعة  
اللانهاية ، والاعتراف الكامل بربوبيته وخلاقيته وأمره  
ونهيته ، وسلطته العظيمة على الخلق والكون والحياة ، بوجه  
دائم مستمر ، لا تخلله فترة من الاستجمام والاستراحة في أي  
حين أو لحظة .

أودع الله سبحانه في القرآن الكريم جميع الحقائق  
والأسرار التي خلق عليها كل ما في الكون من حياة أو آثار أو  
نظام بديع أو شريعة مستمرة ، وهو يسائر طبيعة الجن والإنس  
والحيوان والجماد والنبات والبر والبحر ، والجو والفضاء وما

إلى ذلك ، فكان دستوراً خالداً دائماً متتابعاً للكائنات كلها ، مما نعلمه أو لا يزال مستوراً عن أعيننا ، ومختفياً في سر الخلق والأمر ، ولما يدخل هذا السر الآن تحت تصرف قليل أو اكتشافات حقيرة لأسرار الكون .

والأمور الخارقة للعادة في هذا العالم معجزات ذات دليل واسع على قدرة الله تعالى الواسعة العملاقة ، وهي موجودة على جميع المستويات العلمية والصناعية والبيانية والعقلية والتاريخية والقصصية التكرارية ، لذلك لا نستطيع أن ندعي أن معاني القرآن وأسراره وحقائقه قد تبينت للناس وتوصل الناس إلى أعماقها وأغوارها كلها ، بل الواقع أن كثيراً من العلماء والمفسرين استعصى عليهم الوصول إلى أعماق المعاني التي أرادها الله سبحانه وتعالى ، فمنهم من أوتي من العلم والمعرفة والبصيرة النادرة ، ما تمكن به من التوصل إلى بعض مفاهيم القرآن الكريم في آيات كثيرة منه .

وقد روى البخاري عن سعيد بن جبيرة قال : قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما : إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي ، (وهو نافع بن الأزرق الذي أصبح فيما بعد رأس الخوارج) ذكره القرطبي رحمه الله ، قال : ما هو ؟ قال : قول الله تعالى : ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ وقوله : ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ وقوله : ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ ، وما أشبه من آيات أخرى ، فرد على جميع ذلك ابن عباس رضي الله عنهما بكلام بين واضح ، دون أن يبقى هناك اختلاف أو شبه .

الواقع أن أمثال هؤلاء المتسائلين لا يتوخون إلا

التشكيك في كتاب الله تعالى وإضلال الجماهير ، كما قام بذلك الطاعنون في كتاب الله تعالى من أتباع فلاسفة الفرس ، وقد عرفهم التاريخ بالقرامطة الذين يبيحون المحرمات .

وعلى كل حال ، فإن بيان شرف القرآن الكريم ومكانته العالية العظيمة ، أمر لا يحصره بيان ولا يستوعبه عالم ولا كاتب ، يقول الله تعالى ، بياناً عن بعض صفاته : ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ (سورة البقرة الآية/١٨٥) .

وكل ما ألفه العلماء المفسرون والمتعمقون في معاني كتاب الله تعالى إنما هو صورة أو مثال لا يبلغ إلى ما أريد به من الله سبحانه وتعالى .

وقد صرح الإمام القرطبي ، فقال في مقدمة تفسيره

الجليل :

"اعلم أن هذا الباب واسع كبير ، ألف فيه العلماء كتباً كثيرةً" .

وأشار إلى بعض ما كتب عن القرآن وتفسيره ومعانيه ، وقد سجل تاريخ الإسلام القرآني مجموعة كبيرة مما كتب في هذا المعنى ، وقد تفوق مكتبة واسعة مما له صلة بكتاب الله تعالى ، تفسيراً وبياناً ، وترجمةً ، سواء بكل القرآن الكريم أو ببعضه أو جزء منه أو سورة أو آية ، وفي جميع لغات العالم المعلومة والمستورة .

ولذلك ظهر في كل عصر وزمان علماء العربية بدراسة القرآن الكريم والتعمق إلى معانيه وأسراره ودقائقه ، وتلقاه الناس بغاية من الاحترام والإيجاب والتقدير ، واستفادوا مما

جاء فيه من إشارات وبيانات لنزول السور والآيات ، وشرح مفاهيم التشريع والتطبيق العملي الذي احتوى عليه كلامهم . وقد كان في الزمن الأخير مؤلفات كثيرة عن فضل كتاب الله تعالى وعظمة بيانه وشرفه وتطابق معناه مع طبيعة الإنسان والكون ، فكان لسماحة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسيني الندوي كتاب حول انطباعاته عن كتاب الله تعالى في ضوء أقوال وآراء علماء التفسير ، وما فيه من دعوة تبليغية إلى دين الإسلام والإيمان بالله ورسوله ﷺ ، وما فيه من أفكار وآراء علمية وبيانية ، تعين على تفهم خلود الدين وشموليته ، وتثير في النفس عواطف الحب والاستسلام لله تعالى ولرسوله ﷺ وللقرآن الكريم وشريعته الباقية النامية الخالدة .

كان هذا الكتاب قد ألف باللغة الأردوية نظراً إلى إفادة الجماهير من الناس ممن لغة تفاهمهم الأردية ، ولكنه كان بحاجة إلى أن يترجم إلى لغات أخرى مثل الهندية والإنجليزية .

وأخيراً قام أخونا العزيز الأستاذ محمد فرمان الندوي أستاذ الأدب العربي بدار العلوم لندوة العلماء بترجمة الكتاب إلى العربية في حلقات متتابعة نشرت في مجلة البعث الإسلامي الشهيرة الصادرة من ندوة العلماء منذ نحو ستين عاماً ، وقد اطلع على هذه الترجمة العربية سماحة المؤلف الكريم وتناولها بالتهذيب والتصحيح ، ثم أحيلت إلى المجمع الإسلامي العلمي الذي يقوم بإصدارها في كتاب مستقل باسم (الهداية القرآنية

---

---

سفينة نجاه للإنسانية) وذلك للإفادة العامة في أسواق العلوم  
والمعارف في كل مكان .

ندعو الله سبحانه أن يتقبل هذا العمل العلمي قبولاً  
حسناً ، ويجعله مصدراً للانتفاع والاستفادة العلمية والدينية  
إلى يوم الدين .

وصلى الله تعالى على خير خلقه ، محمد وعلى آله  
وأصحابه وأزواجه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

كتبها

سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"

ندوة العلماء ، لكاناؤ ، الهند

١٤٣٥/٨/١٢هـ

٢٠١٤/٦/١٢م





## توطئة وتمهيد بسم الله الرحمن الرحيم

نزل القرآن الكريم على خاتم الأنبياء والرسل سيدنا محمد ﷺ كآخر كتاب سماوي، يشمل جميع متطلبات الحياة، وجعله الله تعالى هادياً للأجيال القادمة إلى سلوكيات صالحة نزيهة، ومهيماً عليها من خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم إلى أن تقوم الساعة، قال الله تعالى: ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۖ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ (سورة آل عمران الآيتان/٣ - ٤). وقال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (سورة الإسراء الآية/٩) وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (سورة المائدة الآية/٤٨).

وقد جعل هذا الكتاب دستوراً للإنس كما جعل قانوناً للجن، قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (سورة الفرقان الآية/١) وقال: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (سورة القلم الآية/٥٢) وقال: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ، فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ، إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۖ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (سورة التكويد الآيتان/٢٥ - ٢٨).

فليس قسم من الحياة يحمل السلوك الصحي الكريم

خارجاً من هدايته ، فهو منهج كامل للحياة ، إذا اتصلت بها الحياة الإنسانية اتصالاً نالت نصراً وتوفيقاً من رب العالمين ، لأن وجود سائر الكائنات والمخلوقات منوط باسمه ، إذا انقطعت عنها هذه الصلة تبعثرت الكائنات وتفرقت ، فبقاء الكائنات رهين باسم الله تعالى وتفاصيل اسمه التي يشتمل عليها القرآن ، وذكر اسمه في بداية كلامه ، وعلم الإنسان أن يقرأه في بداية كل سورة ، قال الله تعالى : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (سورة النحل الآية/٩٨) .

ومن فضل الله ورحمته أنه قدم مع اسمه صفة رحمته بين جميع الصفات ، قال : رحمتي سبقت غضبي ، وقال : جعل الله الرحمة مائة جزء ،<sup>١</sup> فأنزل رحمة واحدة في الأرض بين الإنس والبهائم ، وبها ترحم الأم على ولدها ، فيها يتعاطفون ويتراحمون ، وادخر الله تعالى تسعة وتسعين رحمة له ، يرحم

<sup>١</sup> أبو هريرة - رضي الله عنه - قال : سمعتُ رسولَ الله - ﷺ - يقول : «جعل الله الرحمة مائة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين ، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق ، حتى ترفع الدابة حافرَها عن ولدها خشية أن تُصيبه» . هذه رواية البخاري ، ومسلم ، والبخاري : أن رسولَ الله - ﷺ - قال : «إنَّ الله خلقَ الرَّحْمَةَ يومَ خلقَها مائةَ رحمةٍ ، فأمسك عنده تسعة وتسعينَ رحمةً ، وأرسلَ في خلقِهِ كلَّهم رحمةً واحدةً ، فلو يَعْلَمُ الكافرُ بكلِّ الذي عندَ الله من الرحمة لم ييأسُ من الجنة ، ولو يَعْلَمُ المؤمنُ بكلِّ الذي عندَ الله من العذاب لم يَأْمَنُ من النار» ، ولمسلم قال : «إنَّ لله مائةَ رحمة ، أنزل منها رحمةً واحدةً بين الجنِّ والإنس والبهائم والهوامِّ ، فيها يتعاطفون ، وبها يتراحمون ، وبها تُعْطِفُ الوَحْشُ على ولدها ، وَأَحْرَ اللهُ تسعاً وتسعينَ رحمةً ، يرحم بها عباده يومَ القيامة» ، (جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن أثير الجزري ط ١ مكتبة الحلواني الفصل الثاني في ذكر رحمة الله تعالى (٢٦٢٣) .

بها عباده يوم القيامة ، وبما أن الله عادل مقسط ، فإن ما يوجد في سلوك مخلوقاتهم حول إنزال الرحمة من فرق ، لاحظته ، فمن عمل صالحاً نال قسطاً كبيراً من الرحمة ، ومن كان قليل البضاعة في الأعمال الصالحة نال مثل ذلك من الرحمة ، وإلا لا يبقى الفرق بين السلوك الصالح والردئ ، ولا يكون العدل مع صاحب السيرة الحسنة ، وإن الجزاء والعقاب لم ينفذهما الله في الحياة الدنيا ، بل قرر لهما الحياة التي تكون بعد هذه الحياة ، يعمل الإنسان في هذه الدنيا ، ويجزى في الآخرة جزءاً طيباً أو يعاقب عقاباً شديداً .

و أخبر ذلك في سورة وجيزة من أول القرآن الكريم بشيء من التأكيد. وسميت هذه السورة سورة الفاتحة ، وجعلت قراءتها لازمة في كل ركعة من الصلاة .

إن كلام الله تعالى الذي هو بمثابة دستور للسيرة الصالحة المناسبة للإنسان قد بدأه الله من اسمه وصفته ورحمته ، فظهرت منه رحمته وربوبيته ، وذكر الإنسان بأن يلجأ إليه عند كل أمر ، ويستعين به ، ويرجو رحمته ، وعليه أن يتحلى بهذه الصفة ويعاملها مع الآخرين ، لأن خالقنا ومالكنا رب العالمين الرحمن الرحيم قد أمرنا به.

**اسم الله وصفة رحمته :**

من خصائص "بسم الله الرحمن الرحيم" التي ذكرت في بداية كل سورة من القرآن الكريم كلام رب العالمين خالق الكائنات أن الكلام بدئ باسم الله (الإسم الرئيسي لرب العالمين)، إن ذات خالق الكائنات أعلى وأعظم قدسية

فكان اسمه أعلى وأجل، فهو أكثر تأثيراً في الكائنات ، وله صفات أخرى مع اسمه الرئيسي "الله" ، وقد ذكرت في تسعة وتسعين عدداً ، مثل : الرَّحْمَنِ ، الرَّحِيمِ ، الْمَالِكِ ، الرَّازِقِ ، الْخَالِقِ ، النَّاصِرِ ، الْقَادِرِ ، وأمثال ذلك من الأسماء التي تحمل معاني متنوعة ، ومن بينهما الرحمن أكثر احتياجاً للمخلوقات وأهمها ، وهذه الصفات الإلهية قد ذكرت مع الله تعالى بصفة خاصة في قوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ، فكل ما خلقه الله تعالى وضعه في الكائنات تطبيق عملي لرحمته ، فكيف يصلح عمل إذا لم يلجأ إلى جنابه.

ذكرت رحمة الله تعالى مكررة في بداية كل سورة : "الرحمن الرحيم" فتأتي رحمته إلى عباده بصورة شاملة جامعة، ويحتاج إليها سائر المخلوقات كثيراً ، بناء على ذلك أن عباد الله حينما يذكرون الله سبحانه، يذكرون صفة رحمته ، فكلا الاسمين من الله تعالى متصل ببعضهما ببعض مثل: الرحمن الرحيم .

#### سورة الفاتحة :

تجملت بداية كل سورة من القرآن الكريم بذكر صفة رحمته مع اسم الله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وسورة الفاتحة سبع آيات فقط قبل جميع سور القرآن ، وهي تشتمل على معاني الحب والفداء، وطلب الحاجة منه، وبما أن القرآن الكريم افتتح بهذه السورة المهمة الوجيزة، لذلك سميت سورة الفاتحة ، قال الله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❖ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ❖ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ❖ إِيَّاكَ

نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ❖ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ❖ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿سورة الفاتحة الآيات/ ١ - ٧﴾ .

إن كلام خالق ومالك المخلوقات والكائنات مع أحكامه وتوجيهاته وأمثله مثل النور العظيم ، الذي يخرج الإنسان من ظلمات الحياة إلى الصراط المستقيم ، ويصونه من الزلات ، وهذه الزلات ليست ناشئة من حجارة ، بل زلات تحدث في حياة الإنسان الخلقية ، إذا فقد الإنسان نور اسم الله وكلامه تهاوى في حضيض من الأخلاق والسلوكيات ، وذهب بحياته إلى دمار شامل، أنزل القرآن الكريم للتخلص من هذه العاقبة الوخيمة ، وهو آخر كتاب جامع كامل بين الكتب المنزلة من عند الله تعالى ، وهو دستور مفصل إلهي للحياة الإنسانية ، وهادي الإنسانية في الدين والدنيا ، إذا سار الإنسان في ضوئه فاز، وإذا زاغ من ضوئه خاب وخسر ، وقد كان من صفات القرآن الكريم النور ، لأنه يبدد ظلمات الحياة ، ويبدله بالنور والضياء ، قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ (سورة النساء الآية/١٧٤) وقال : ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة الأعراف الآية/١٥٧) وقال : ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورَ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ (سورة التغابن الآية/٨) .



## الباب الأول القرآن والعلم

### أهمية العلم :

إن الآيات التي بدأ بها نزول كلام الله العلي العظيم ، المنور للحياة الإنسانية ، ذُكر فيها العلم بفائق العناية ، وأمر بربط العلم باسم خالق ومالك هذا الكون ، لينال الإنسان فائدة العلم الصحيحة ، ويسعد بفضل الله ورحمته ، والعلم نعمة فضّل الله بها الإنسان على المخلوقات الأخرى ، لم يسعد بها مخلوق آخر، فحينما ذكر خلق الإنسان ذكر معه ميزته العلمية ، قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ❖ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ❖ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ❖ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (سورة البقرة الآيات/ ٣٠ - ٣٣) .

وفي أول آية من القرآن نزولاً ذكر الله تعالى العلم وطريقة حصوله قائلًا : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ❖ خَلَقَ

الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ❖ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ❖ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ❖  
 عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿سورة اقرأ الآيات/ ١ - ٥﴾ ذكر الله في  
 هذه الآيات : اقرؤا ، وتعلموا العلم الذي يتعلم من القلم ،  
 والعلم هبة من الله تعالى ، عظيمة أكرم بها الإنسان ، فكل  
 ما يُرى من ربيع التطور والرقي، والصناعات الخارقة  
 والاكتشافات الباهرة هو نتيجة قراءة الإنسان ، أي أن القرآن  
 اعتنى به في أول وحي منه ، لكن جاء فيه التأكيد بأن يقرأه  
 الإنسان باسم الله تعالى الذي خلق ، فمن هنا انقسم الناس في  
 فئتين : فئة تقرأ باسم الله تعالى ، وفئة تقرأ بغير اسم الله، أي  
 جماعة تمشي باسم الله في ظلمات الحياة ، وجماعة تتسكع  
 في متاهات الظلمات ، قال الله تعالى : ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ  
 لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا  
 فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ  
 نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (سورة النور الآية/ ٤٠) .

في ظلمات الحياة الحالكة قد أودع الله في الإنسان  
 قوة الانتفاع بملذات الدنيا، ومعرفتها باستعمال السمع  
 والبصر أو العقل ، الذي ينال به الإنسان المنافع الظاهرة في  
 الحياة الدنيا ، لكن إذا بدأت مرحلة أخرى للحياة لم يكن  
 له فيها من نصيب ، فيحرم المنافع الحاصلة باسم الله تعالى ،  
 رغم أن المنافع الحاصلة باسم الله تدوم وتبقى في هذه المرحلة  
 الباقية الخالدة ، قال الله تعالى : ﴿فَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا  
 آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ❖ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ  
 رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ❖  
 أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (سورة



البقرة الآيات/ ٢٠٠ - ٢٠٢ .

كل ما ينال الإنسان في هذه الكائنات يناله باسم الله تعالى ، فالذين يريدون الدنيا ينالونها ، والذين يريدون الآخرة ينالونها ، مَنَّ اللهُ تعالى الإنسان في علم الدنيا والآخرة هادياً وناصحاً في صورة القرآن الكريم ، فهو منهج موفق وهاد عظيم ، يشتمل على توجيهات جامعة ، ومنزل بواسطة ملك ، وقد ذكرت عظمته وأهميته في أول آية من القرآن الكريم ، وهي نعمة يستطيع الإنسان أن ينال بها نجاحاً أبدياً ، والعلم الذي استتبط منه علم عظيم ، إذا حُرِّم منه أحد حرم حرماناً كبيراً .

جعل الله الإنسان وهو يحمل مواهب بارزة من المخلوقات الأخرى ، بعد ما أكرمه بالعلم ، ووفّر له فرصة حصول العلم والإكثار منه ليجعل نفسه مخلوقاً نافعاً ، والعلم ذريعة يطلع بها الإنسان على أحوال وتجارب متنوعة مبنية على الربح والخسارة فيستفيد بالعقل منها ، ويتعد من خسارتها ، ويكون العقل الإنساني عوناً على زيادة العلم واستعماله في أعمال صالحة ، فالعلم والعقل أكرم بهما الإنسان بصفة خاصة ، يمتاز بهما الإنسان عن غيره من المخلوقات ، ويكون كلام الإنسان ذريعة لإيصال هذا العلم إلى الناس ، فالبيان صفة ثالثة للإنسان ، منحها رب العالمين ، يظهر فيه علم رجل أمام رجل آخر ، فهو يبدي انطباعاته وأحواله أمام الآخرين ، هذه الصفة ليست عند الحيوانات ، وتكون دراساتهم نتيجة لمشاهدة محدودة ، وهي ضئيلة جداً ، وتتنحصر فيها ، لكن الإنسان ينقل معلوماته بالكلام إلى الآخرين ، ثم يوسعها ، ويبلغها إلى الأجيال الناشئة .

وإن ذريعة القلم تجعل الدراسات واسعة وطويلة البقاء ، هذا هو القلم الذي يجعل الدراسات الحاصلة من القرون ، يستفيد منها الناس على أوسع نطاق ، وقد أشار الله تعالى إلى نعمته هذه قائلاً : ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ❖ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (سورة العلق الآيتان/٤ - ٥) وليعلم أن العلم والكلام والقلم لم يمنح الإنسان عفواً ، بل لأن الإنسان أسندت إليه مهمة خاصة ، وهي مسئولية خليفة الله في الأرض ، فمنحه الله تعالى هذه النعم ، فعند ما ينزل القرآن كان يبدأ فيه عهد الانضمام إلى الدوائر العالية المتطورة خروجاً من الدوائر المنطقية في الحياة الإنسانية ، واختيار الوسائل وفق ذلك ، كان الإنسان يستعمل ذرائعه المحدودة حسب نفسه وهواه بقاءً في دوائر طبقية ومنطقية قبل هذه المرحلة من الزمان ويستخدم العلم لنيل غاياته المادية الظاهرة ، وكان يغمض عينه عامة عن العلم الذي نزل من عند ربه كالوحي الإلهي بواسطة الأنبياء والرسول ، ولما بعث النبي محمد ﷺ كآخر نبي بدأ إرشاد الإنسان إلى هذا العلم على نطاق جامع أوسع ، مما يعينه على مواصلة سيره أمام التطورات المادية ويجعله جديراً بالرسالة المطلوبة منه ومكانتها ، ويكون سبباً لنجاحه وهدايته الكاملة ، فكان يُكرم الإنسان بالعلم من الله خالق الكون حسب حاجته ، الذي يشمل جميع جوانب الحياة الإنسانية الصالحة ، ويرشد إليها إرشاداً جامعاً ، هذه السلسلة مستمرة من قبل من الله تعالى بالأنبياء الماضين في صورة الوحي ، وكانت موافقة لعصرها وزمانها ، لكن أكرم الآن بالوحي الأخير القرآن الكريم في صورة جامعة كاملة ، هذا العلم

الذي أكرمنا الله تعالى بالقرآن قد ذكر فيه بيئة الإنسان ، وأحواله الفطرية وكوائفها النفسية ، ومقتضيات الحياة الاجتماعية ومشكلاتها ، وحلها الناجع في أسلوب مؤثر رفيع جداً ، وذكر فيه التمييز بين الخير والشر ، وأعطى الإنسان من المعلومات التي لا يدرك كنهها بجهد الشخصى .

وقد اختار القرآن الكريم أساليب متنوعة لهداية الإنسان إلى الصراط المستقيم ، فذكر في موضع ضلال الأمم السابقة ونتائج الوخيمة ، وفي موضع آخر التوجيهات السماوية ، يمكن أن يتخلص من نتائج الهائلة ، وقد ذكرت هذه التوجيهات تحت رعاية خالق هذا العالم الكاملة الواسعة ، وفي أسلوب الإنسان ودراسته اللازمة بأن يفهم رجل عادي بسهولة أن هذا النظام الكامل مرتبط بالله الواحد الأحد ، الذي منح الإنسان قوة الرقي والعمل الخارق بأن يسيّر هذا النظام وفق مرضاته ، فذكرت نعمه الأرضية في أسلوب سهل في موضع ، وفي موضع آخر وجه الإنسان إلى أن يستفيد من المواهب الإنسانية استفادة صحيحة ، وفي موضع ذكرت أحوال طبيعته التي لم يفهمها كاملة بتجربته وعقله وأمثال ذلك من الخصائص المتنوعة التي تجعل حياته نافعة ، والسر الذي يكمن في فلاحه ذكر بأسلوب مؤثر ، هذا النوع من العلم يبلغ بالإنسان إلى المنصب الرفيع في ضوء توجيهات الوحي الإلهي ، وينذره من الأخطار الرئيسية ويوجهه إلى أهداف النجاح الأصيلة ، فذكر بالنسبة إليه أنه لا يخشى غضب الله إلا الذين عندهم علم ودراية بذلك ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (سورة

فاطر الآية/٢٨) .

هذا العلم في ضوء القرآن هو العلم الحقيقي الذي وضع فيه الفوز العظيم للإنسان ، أما العلم الذي يناله الإنسان من تدبره فقد اعتبر في مصطلح القرآن بالظن ، فالعلم الذي يشتمل على نتائج حقيقية لصالح أو فساد الحياة الإنسانية إذا ناله الإنسان لا يمكن له الابتعاد عنه في أي حال من الأحوال ، ويخاف عقاب الله تعالى ويرجو ثوابه ، ثم يصوغ نفسه بأمر منه ، فالعصر الجديد في العالم الذي هو عصر نشر العلم في التاريخ الإنساني ، قد ركز على العلم الذي يوفر للإنسان النجاح الأبدي ، وهذا العصر الجديد أكرم فيه الإنسان بالقرآن الكريم بواسطة خاتم النبيين محمد ﷺ .

#### منزلة القرآن العالوية :

قد كرم الله تعالى خالق الكائنات والمخلوقات الإنسان في هذا العالم بالعلم الجليل بموهبة حصول العلم وكلامه ، فلا ينال الإنسان هذه الرتبة العالوية إلا أن يستفيد من مائدته العلمية ، ويفوز فوزاً عظيماً بتعلم العلم على اسم الله تعالى والاستفادة منه ، وبدون اسم الله يجد الإنسان فوائد الأكل والشرب والراحة البدنية أعواماً عديدة في الحياة الدنيا ، لكن يحرم حرماناً كاملاً في الآخرة ، وقد سمي الذين يفضون عن هذه الحقيقة ، والذين يعرضون عن الاستفادة من هذا العلم باسم الله تعالى ، الكافرين، معناه : المنكرون ، والذين يختارون العلم عملاً بالمنهج المنزل من عند الله تعالى ، ويربطونه باسم الله تعالى ، ويزينون حياتهم من النور القرآني ،

عرفوا بالمؤمنين أنهم منقادون لله تعالى ، وسمى المسلم مسلماً ، لأنه وكل نفسه إلى الله تعالى أنه يعمل بالأمر التي ذكرها في القرآن ، والعلم الذي أكرمه الله به .

نزل كلام الله تعالى القرآن الكريم في قالب الكلمات ، التي يفهم بها معناها ، وكان العرب مخاطبيه ، وكان آخر الأنبياء والرسل عربياً ، يتكلم بالعربية وينطق بها ، وإن القوم الذين بُعث فيهم النبي يعظهم وينصحهم كانوا يتكلمون بها ويفهمونها ، وقد بلغت اللغة العربية في فصاحتها وبلاغتها وقت نزول القرآن إلى أعلى ذروة منها ، واختار لإفهامه وإيصاله إلى القلب طرقاً حكيمة متنوعة ، ومؤثرة في القلب والعقل ، فكان البيان والتأثير من فضائلها المتنوعة ، بعضها بسيط ، يدرك معناها بسهولة كل من برع في هذه اللغة ، وقد ذكرت هذه الصفة في الآيات الكثيرة من القرآن ، قال الله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ لَنَتَنزِيلُ رَّبِّ الْعَالَمِينَ ❖ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ❖ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ❖ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (سورة الشعراء الآيات/١٩٢ - ١٩٤) وقال : ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ❖ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (سورة الزمر الآيات/٢٧ - ٢٨) وقال : ﴿تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ❖ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ❖ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سورة حم السجدة الآيات/١ - ٣) ﴿الر ❖ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ❖ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة يوسف الآيات/١ - ٣) وقال : ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ❖ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ❖ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدِينًا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ (سورة الزخرف الآيات/٢ - ٤) .

وهناك كثير من صفات القرآن ينكشف شيئاً فشيئاً بالتدبر والإمعان فيه ، يشير إليه قول الله تعالى : ﴿ذِكْرَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ❖ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (سورة البقرة الآيتان/ ١ - ٢) ، وتستمر سلسلة الاكتشافات هذه إلى يوم القيامة ، فالأشياء التي انكشفت نذكر نماذج لها في الأبواب الآتية - ، وأما التوجيهات التي استتبعت من القرآن ، والأمور التي ذكرت ، والإرشادات اللازمة لجعل الحياة وفق مرضاة الله وأوامره ، نذكر تفاصيلها إلى حد كبير في الأبواب الآتية كذلك ، هنا نستطيع أن نذكرها في كلمات وجيزة : ذكرت في القرآن الكريم حقائق ورموز للحياة الإنسانية بالنظر إلى طبيعتها ومواهبها ، يندهش الإنسان بمجرد التدبر فيها ، ويضطر إلى أن يجعلها دستوراً نافعاً وكاملاً لحياته.

## هذه الكائنات

هذه الكائنات التي نعيش في قطعة صغيرة منها ، جعل خالقها واسعة جداً ، يشير إليه القرآن إشارة واضحة ، وقد اعترف علماء الطبيعة بسعتها على منتهى علمهم ، فالأجزاء التي اكتشفوها لا يمكننا أن نعدّها في الأرقام ، وقد ذكروا مسافات هذه الكائنات لبيان أدنى حد من حدودها ، بناءً على سير النور الذي يقطع في ثانية واحدة مائة ألف وسبعة وثمانين ألف ميل ، فالنور الذي يقطعها في ثانية ، هذا المقدار الكثير ، كم يقطع في دقيقة ، ثم ساعة ، ثم يوم ، ثم شهر ، ثم سنة ؟ فالمدة التي يقطعها في سنة تعرف بالسنة النورية ، وتتكون سنة نورية من سير النور المذكور أعلاه من ٦٠/ملياراً ، ويطلع الإنسان بالسنة النورية على مسافات هذه الكائنات ، وطبقاً لمنتهى علم الطبيعة قد بلغت سعتها ١٦/مليار سنة نورية .

في سعة هذه الكائنات مليارات من المجرات ، التي تشتمل على مجموعة من الكواكب ، وفي كل مجرة مليارات من النجوم ، ونجمنا الشمس ، وفي النجوم التي تدور حول الشمس أرضنا قطعة صغيرة جداً ، تعرف هذه القطع بالسيارة التي تطوف بالنجم ، نجمنا أقرب من الشمس وهي نجم ثان ، وشمس ثانية ، وهي تقع على بُعد أربع سنوات نورية من شمسنا .

### خالق الكائنات :

خلق الله تعالى هذه الكائنات بنسق وترتيب ، لا يقع خلل أو فساد في شيء منها ، يتجلى فيها مراعاة الوقت والمصلحة اللذين قررهما الله تعالى من عنده ، وقد أثبتت المشاهدات الإنسانية ، والتجارب البشرية منذ آلاف من السنين أنه لم يقع فيها تغيير ولا تبديل ، فهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هذا النظام خلقه القادر المطلق ، تحت غاية ، وهو نظام واسع منسق ، فلا يتطرق إليه شك أنه نظام ينبني على المتعة والتسلية ، وهذا النظام هادف ، فيثبت له إله أكبر ، خالق الكون ومدبره لازماً ، وإذا كانت هذه الكائنات الطويلة العريضة التي خلقها الله تعالى ، والعوالم الباقية على مسافات لا نهاية لها منتشرة ، لا يمكن أن نرى أكثر أجزائها ، فكيف يمكننا أن نرى الله عز وجل ، لكن يدل على وجوده عقلياً تدييرات منظمة لهذه الكائنات .

فبناءً على سعة هذه الكائنات واستمراريتها إلى نظام معين منذ زمن أطول يثبت أن هناك صانعاً لهذا الكون وهو لم يزل ولا يزال ، ولا ند له في القدرة الخارقة والتصرف المطلق ، وإلا يقع اختلاف ، ويفسد نظام الكون ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (سورة الأنبياء الآية/٢٢) وإذا كان الله قد خلق جميع الموجودات فقد أحاطها بعلمه وقدرته ، ليس كمثله شيء ، لا شريك له ، كل خاضع لأمره ، وهو من مخلوقاته ، قال الله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ❖ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ



بِكُلِّ شَيْءٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة الشورى الآيات/ ١١ - ١٢) .

فلا يستحق العبادة (أي أقصى التعظيم) إلا هو ، ولا يشفي مريضاً ولا يرزق رزقاً ولا يكشف ضراً إلا هو ، قال الله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ❖ اللَّهُ الصَّمَدُ ❖ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ❖ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (سورة الإخلاص الآيات/ ١ - ٤) .

فكان اعتقاد غير الله إلهاً ، وإظهار الذلة والمسكنة أمامه ، والسجود له ، والدعاء والاستعانة منه في الأمور التي تخرج عن حد الإنسان وتتعلق بقدرة الله تعالى (مثل إعطاء الولد وجعل الإنسان شقيماً أو سعيداً ، والذهاب إلى كل مكان للاستغاثة ، والاعتقاد بأن الإنسان يسمع الكلام رغم مسافات بعيدة ، ومعرفة الغيب والشهادة ، وإشراك الناس فيها مكروه عند الله تعالى ، وقد بين في كتبه السماوية واضحاً أنه يمقت هذه الأمور مقتاً شديداً ، وهي من الكبائر ، فقد قال الله تعالى بكل صراحة : ﴿إِنَّ الشُّرْكَاءَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة لقمان الآية/ ١٣) ، وقال في القرآن الكريم مخبراً بقدرته : ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (سورة البقرة الآية/ ١١٧) .

"ولا يحل في غيره ولا يتحد بغيره ، ليس في ذاته ولا في صفاته حدوث ، ليس بجوهر ولا عرض ولا جسم ، ولا في حيز ، وهو فوق العرش ، مرئى للمؤمنين يوم القيامة ، ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، غني لا يحتاج إلى شيء ولا حاكم عليه ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، لا يجب عليه شيء بإيجاب غيره ، موصوف بالحكمة ، لا قبيح منه ، ولا حاكم سواه ، والقدر خيره وشره من الله ، قد شمل علمه

الأزلي الذاتي كلما وجد أو سيوجد من الحوادث ، وهو الذي  
يوجب الحوادث قبل وجودها.<sup>١</sup>  
أعمال رب الكائنات هادفة :

وأخبر أيضاً أن كل عمل من أعماله ليس مهزلة أو عبثاً ،  
وقد خلق الله على وجه الأرض مخلوقات كثيرة ، وميز فيها  
الإنسان بأنه مخلوق مخير إلى حد كبير ، والحكمة في  
اختياره أن يستعمل اختياره في تدبير نظام الكون حسب  
ماشاء ، فكانت المخلوقات تبعاً للإنسان ، لتكون جميع  
أشياء الأرض حتى دوران الشمس والقمر في صالحه ، وقد  
ذكر الله تعالى في كلامه : ﴿ خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ  
جَمِيعاً ﴾ (سورة البقرة الآية/ ٢٩) .

#### شمول العلم الإلهي :

قد كشف الله تعالى من صنع هذه الكائنات الواسعة  
الأرجاء أن علمه أوسع منها ، فالعلم للإنسان في صورة عملية  
جزء قليل من علمه الواسع العميق ، وإن علمه اللامحدود  
أوسع بكثير مقابل ذلك ، بحيث أحاط بكل ما في الكون  
وخارجه ، قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (سورة الأنعام  
الآية/ ١٠١) فقد خلق بقدرته الكائنات ، ولم يخلقها خلقاً  
عاجلاً ، بل عين خصائص كل ذرة وتفصيلها ، فيكون في

<sup>١</sup> العقيدة والعبادة والسلوك للعلامة الندوي : ٧٧ - ٧٨ ، صحَّ من حديث رسول  
الله ﷺ أنه قال : لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ، حتى يعلم أن ما  
أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه (رواه الترمذي)

يده عمل كل ذرة وآثارها ، ويملك قوة تغيير خصائصها متى شاء ، ويغيرها أحياناً حسب مشيئته ، وهذا كله في علمه الواسع ، وقد سجلت جميع أحواله الظاهرة منه والخفية في لوح محفوظ ، وحاله ومستقبله مثل ماضيه في علمه ، وفي عينه ، وهو تسجيل شامل كبير يكون صفةً وخصيصةً له .

#### الكتاب : تسجيل الكائنات :

ذكر الله تسجيل علمه باسم : الكتاب في موضع ، وفي موضع آخر بأمر الكتاب ، ومعنى الكتاب : مكتوب ومرقوم أي مقرر وثابت ، فتسجيل جميع ذرات الكون محفوظ عند الله العلي العظيم ، ويجري وفق ذلك كل شيء في الكون وخارجه ، وهو دائماً في رعاية خالقه ، وقدرته واختياره ، وكل جزء من أجزاء العلم المسجل لله تعالى ، بل خصائص كل ذرة من ذراته وأعماله التي أدوعت فيه وخصائص جميع المخلوقات قررهما الله تعالى ، وليس هذا فقط ، بل كل ما يوجد على الأرض وعلى الكرات الأخرى تحت علم الله ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (سورة النمل الآية/٧٥) .

لو كتبت جميع موجودات علم الله تعالى وقدرته وتفصيلها وصارت جميع بحار العالم مدداً ، وأشجاره أقلاماً لانتهى المداد وانكسرت الأقلام قبل كتابتها ، ولا تنتهي كلمات الله تعالى ، فكل ذرة من ذرات هذه الكائنات وكل قطرة من قطرات المياه التي تحمل خصائص وفوائد وتأثيراً تحتاج لجمع مباحثها إلى صفحات ، ولا يتصور إنسان

عن الأدوات التي تكون لازمة لتسجيل هذه المعلومات ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الآية : ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة لقمان الآية/٢٧) ويشير إلى ذرة منها قول الله تعالى : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (سورة الأنعام الآية/٥٩) .

**الكائنات مظهر علم الله تعالى :**

كل ما ظهر في هذه الكائنات وخارجها خلقها خالق الكائنات ، فإنه خلقها بإرادته وعلمه ، وكفاها إرادته وعلمه ، فلم يفعل شيئاً سواه ، إذا أراد شيئاً وقرره وجد ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (سورة النحل الآية/٤٠) وبداية عمله ونظامه مبنية على علمه ، قال الله تعالى : ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ❖ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (سورة الرعد الآيات/٢٨ - ٣٩) .

**نظام الكائنات المحكم :**

حينما خلق الله الأشياء بعلمه قرر لها أنواعاً وخصائص ونظاماً وغاية ، فمنها الجمادات مثل الحديد والحجر ، ومنها الأنواع النامية مثل الشجر والنبات وغيره ، ومنها الأشياء المتحركة والمخلوقات مثل الحيوانات والطيور والدواب التي تعمل عملها في نطاق ضيق ، ومنها مخلوقات مخيرة مثل الجن والإنسان وما فوقهما المخلوق السماوي الذي يأتي بكلمات الله

إلى الأرض مثل الملائكة ، ولها نظام محكم ومضبوط وكامل .  
وقد خيّر الله بين مخلوقات الأرض المختلفة الإنس  
والجن ، وكلفهم للأعمال الصالحة ، فلم يقصرهما في حدود  
مخلوقات جامدة ومتحركة ، بل رفع مكانة الإنسان بينهما ،  
وخيره في العمل حسب خياره وإرادته ، وقدر أشياء كثيرة في  
الدنيا تسهيلاً له ، فلما أكرم الإنسان بهذه التسهيلات أمر بأن  
يشكر ربه ويؤدي حقه ، وهو اختيار طرق الشكر الموضحة من  
الله تعالى ، وغايتها الرئية فيها أن يؤمن بربه ومالكة  
وخالقه ، ولا يشرك معه أحداً ، ولا يعبد أحداً سواه ، قال الله  
تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ❖ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ  
مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ❖ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ  
الْمَتِينِ ﴾ (سورة الذاريات الآيات/ ٥٦ - ٥٨) .

## الباب الثاني القرآن والإنسان

### القرآن دستور إلهي :

إن توجيهات الله تعالى للإنسان وإن كانت جديدة ، لكنها ليست جديدة عند الله عز وجل ، وهي جزء من علمه الدائم الباقي الذي لا يزول ، فإن علمه قد وسع كل شيء ، فلا يزال يفيض الله عز وجل على عباده المكرمين من الجن والإنس ما يحتاجون إليه من هذا البحر الذي لا ساحل له بواسطة ملائكته ، وعُرف هؤلاء المصطفون بالأنبياء والرسل ، وأُطلق على مجموعة من المعلومات التي أكرموا بها من الله عز وجل اسم الكتاب ، لأن خزانة العلم إنما تعرف باسم "الكتاب" الذي أنزله بألفاظه وتعبيراته ، وقد أنزل هذا العلم على الأنبياء والرسل الماضين ، وسمي بالكتاب كذلك ، ومن أهم هذه الكتب : الزبور والتوراة ، والإنجيل ، والقرآن الكريم ، أنزلت هذه الكتب على أقوام شتى ، وأنزل القرآن بوجه خاص على أمة محمد ﷺ ، وهو يشتمل على معان مهمة ومفاهيم عالية ، ليكون دستور القيم الإنسانية العالية وهادياً إلى الصراط المستقيم .

### الجن والإنس :

خلق الله الجن والإنس في المخلوقات الأرضية ، وأودعهما العقل والفهم ، وكان خلق الجن قبل الإنس ،

وأكرم الله واحداً من الجن نظراً إلى عباداته بمراتب عالية ،  
بحيث قرّبه إلى الملائكة ، وأذن له بالإقامة في الجنة ، فلما  
قضى الله تعالى أن يخلق الإنس ، وذكره أمام ملائكته في  
السماء الذين كانوا أعظم من المخلوقات الأرضية ، وكانت  
الطاعة فطرتهم ، وكان لا يمكنهم أن يفعلوا شيئاً ما ،  
بدون إذن منه ، قالوا : إن صفة الخلق الأرضي القتال وسفك  
الدماء ، فما فائدة وجوده ؟ رغم أننا مشتغلون بالحمد  
والتسبيح لك كل وقت ، رد الله تعالى عليهم بقوله : إني أعلم  
ما لا تعلمون ، اقرؤا هذه القصة في القرآن الكريم : ﴿وَإِذْ قَالَ  
رَبُّكَ لِمَلَائِكَةِ إِبْرَاهِيمَ اجْعَلْ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا  
مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ  
لَكَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ  
عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ ❖ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ  
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ❖ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ  
بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِبْرَاهِيمُ إني أعلمُ غيبَ السمواتِ والأرضِ  
وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (سورة البقرة الآيتان/ ٣٠ - ٣٣)

كان من حكمة الله تعالى أن يكرم الإنسان بصفة  
العلم ، فخلق خلقاً يجمع بين عبادة الله والشئون الأرضية ،  
وينجزها بأحسن وجه ، في ضوء التوجيهات الربانية ، فخلق  
الله أول إنسان وهو آدم عليه السلام ، وجعل له زوجه ،  
لتكثر ذريته ، وأوصاه بأنه إذا عاش باتباع أوامر الله  
واجتناب نواهيه نال شرفاً كبيراً وتحققت المهمة التي بُعث  
الإنسان لأجلها إلى هذا العالم ، ثم أمر الله الملائكة وإبليس

أن يسجدوا لآدم امتثالاً لأمره ، فسجد الملائكة كلهم إلا إبليس ، ظل قائماً على حاله ، فسأله الله عن عدم سجوده لآدم ، فقال : أنا خير منه ، خلقتني من نار وخلقته من طين ، والنار تفوق الطين ، هنا غضب الله على إبليس ، وأمره بالخروج من الجنة ، لأن الجنة ليست للعصاة المجرمين ، قال الله عز وجل : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة البقرة الآية/٣٤) فطرد إبليس من الجنة بالعصيان ، وصار عدواً لآدم عليه السلام مصاباً بالحسد والغضب ، وجعل يقول : لأغوين أولاد آدم ، ولما طرد إبليس من الجنة طلب الإنظار والمهلة إلى يوم القيامة ، قال الله عز وجل : اذهب ، فإنك من المنظرين ، فمن تبعك منهم لأملئن جهنم منكم أجمعين ، وقال لآدم : احذر عدوك ، ولا تقع فريسة له ، ولا تقرب هذه الشجرة فتكون من الظالمين ، قال الله عز وجل في القرآن :

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ (سورة البقرة الآية/٣٥) .

أي وإن جميع أسباب الجنة متوافرة ومباحة لك سوى هذه الشجرة ، ثم مكر الشيطان بعد مدة ، ووسوس لآدم ، ونسي آدم أن الله تعالى منعه من الشجرة ، فخدعه الشيطان وذكر له فوائد هذه الشجرة ورغبه إليها وقال له : تذوق قليلاً ، تجد فائدته بأنك تكون من الخالدين في الجنة ، قال الله تعالى : ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ (سورة البقرة الآية/٣٦) .

أكل آدم وزوجته حواء ثمر الشجرة بنسيان ، فنبههما



اللَّهِ تَعَالَى وَقَالَ : ﴿أَلَمْ أَنهَكُمَا عَن تِلْكَمَا الشَّجَرَةَ﴾، اسمعا ! ليست الجنة للعصاة ، أنتما خلقتما من الطين ، فاذهبا إلى عالم الطين ، هذا عقابكما ، وجعلا يتضرعان إلى الله ويستغفرانه ، فنظر الله إلى نسيانهما واستغفارهما نظرة رحمة ، وقال : قد غفرت ذنوبكما ، لكن يكون لكما ولذريتكما ابتلاء وامتحان ، بحيث تعيشون في الأرض ، وينظر الله إليكم كيف تعلمون وكم تقدمون عواطف الفداء إليه ، وكم تحققون الهدف الذي خلقتم لأجله ، تمكثون في الدنيا إلى مدة ، وتدخلون الجنة بطاعاتكم وأعمالكم الصالحة .

ومع ذلك ، فقد حذر آدم عليه السلام من إبليس أنه يعيش معك في الأرض ، فتنبه ! ألا يخدعك وذريتك ، هكذا أسكن الإنس والجن في هذه الأرض ، وصرفت عنايتهما إلى نيل العلم تحقيقاً للحاجيات التي يشعران بها في هذه الدنيا ، وألهما الفهم والاستفادة ليستفيدا من الوسائل التي وفرها الله تعالى في الأرض ، وينجزا أعمالهما ، فجعل الإنسان يختار الوسائل ويطبق قوانين الله على هذه الأرض بطاعته .

**كرامة الإنسان :**

أكرم الإنسان بالعلم ، وطلب منه أن يستعمله في الخير ، ويميز به بين الخير والشر ، ويؤدي واجب الشكر إلى الله تعالى ، لأنه منحه نعماً كثيرة وآلاء جسيمة ، ولا يتم هذا الشكر إلا بطاعته وعبادته ، قال الله عز وجل : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ❖ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ❖ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (سورة الذاريات)

الآيات/٥٦ - ٥٧) وقال : ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (سورة الملك الآية/٢) وقال : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ❖ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ❖ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ❖ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ❖ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (سورة العلق الآيات/١ - ٥) وقال : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (سورة الفاطر الآية/٢٨) .

### الوحي الإلهي والكتب السماوية :

منح الله عباده المكرمين من الأنبياء حظاً من علمه الواسع ، في صورة كتبه التي أنزلها على سيدنا داود وموسى وعيسى عليهم السلام وفي الأخير القرآن الذي أنزله الله تعالى على محمد ﷺ ، فإنهم تلقوها بالملائكة ، وبلغوها إلى الناس ، فكشفوا أمامهم محاسن الأعمال ومساوئها ، فتمت الحجة عليهم في هذا الشأن بعد نزول التوجيهات الربانية ، بأنه إذا بعثوا يوم القيامة سئلوا عن أعمالهم الصالحة والسيئة ، فالذين تبنوا المنهج الصحيح وآثروا رضا الله على رضاهم ، نالوا جزاء صالحاً ، والذين اتبعوا الهوى، ونبذوا مرضاة الله وراءهم ظهرياً ، - بيد أن الله هو خالقهم ومالكهم وهو على كل شيء قدير ، وقد وفر الله الأسباب والوسائل التي يحتاج إليها الإنسان ، وكلفهم أن يمتثلوا أوامره ، فلماذا ارتكبوا السيئات - فإنهم يعاقبون على سيئاتهم ، هكذا أطلع الله عز وجل الإنسان لمعرفة الخير من الشر والعمل بالخير ، على منهجين : القرآن الكريم ، وحياة النبي محمد ﷺ ، الذي طبق أحكام الله تطبيقاً دقيقاً على المجتمع الإسلامي ،

فكانت هاتان الوسيلتان طريقاً لمعرفة طاعات الله عز وجل .  
 إن هذا الكون الذي خلقه الله عز وجل جعل له  
 خصائص ومميزات ، وذكر خصائص مخلوقاته ونشاطاتها  
 وفوائدها ، وأودع في الإنسان المواهب التي يستطيع الإنسان أن  
 يدرك بها المعلومات النافعة والمهمة له ، فيستفيد الإنسان منها  
 حسب مقدرته ، كلما احتاج إليها .

خلق الله جميع ما في الكون بحيث يشتغل كل شيء  
 بطاعة ربه والشكر له ، فهو مفطور عليه ، كأنه مسير له ،  
 قال الله عز وجل : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا  
 تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء الآية/٤٤) .

لكن الإنس والجن جعلاً مخيرين إلى حد كبير ، في  
 الطاعة والشكر لله ، ليعرف الله أن هذين المخلوقين مع  
 تكرمهما بالنعمة والمنن من الله يشكران الله عز وجل أم لا ؟

## الإنسان في ضوء القرآن

العالم عالمان :

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم ضمن بيان الإنسان عالين اثنين ، أولهما عالم أرضي ، نعرفه بالدنيا ، وآخرهما عالم سماوي ، وهو يخرج من الحواس الإنسانية الخمسة وإدراك الإنسان الدنيوي المحدود ، يوجد في عالما الأرضي حيوانات ومخلوقات دنيوية أخرى ، وتحدث فيه الأحوال البدنية للحياة والشؤون المندرجة ضمن هذا العالم ، أما العالم السماوي فهو يرتبط بعقائد الإنسان وكونه صالحاً أو طالحاً ، ويظهر أثر الشؤون الدنيوية في نشاطات أعمالنا ، لكن أثر الشؤون الروحية يتجلى في الحياة الثانية التي تكون بعد فناء هذه الحياة من الله عز وجل ، وهذه الحياة الأبدية التي نعرفها في المصطلح الديني بالآخرة يُجزى فيها الإنسان جزاء أعماله الصالحة ويعاقب على ذنوبه ، إذا كان العمل صالحاً وجد الراحة الدائمة والنعمة الباقية ، وإذا كان سيئاً أصيب بالأذى المنقطع النظير أو العذاب ، قال الله عز وجل :

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ❖ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة القصص الآيات/ ٨٣ - ٨٤) .

إن العالم السماوي واسع ، وممتد في مساحات كثيرة ،

وهو مرتفع من الأرض وقريب من العرش الإلهي ، وكان بالنسبة إلى خصائصه يعيش هناك خلق روحاني يعرف بالملائكة ، فإن عملهم رفيع جداً ، وهو إطاعة الله عز وجل ، ينقادون لأمر الله ، ولا يصدر منهم عمل إلا بمشيئة الله تعالى ، فإن فطرتهم تخلو من إرادتهم الشخصية ، وهم يبتغون وجه الله تعالى ، قال الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ ❖ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (سورة النحل الآيات/٤٩ - ٥٠) .

خلق الله تعالى في هذا العالم الأرضي الجن غير الإنس والحيوانات ، وأودع فيهم عواطف الخصائص الأرضية ومقتضيات النفس مثل الإنس ، وليس فيهم جانب الهوى إلا وفقاً للطبيعة الأرضية ، فإنهم جعلوا مخيرين في الخير والشر ، فيقوم صراع بين هوى النفس ووسائل الخير ، وقد خلق الله الجن قبل الإنس ، فنال واحد منهم مكانة بعبادة الله تعالى ، فأذن له بالإقامة في الجنة .

#### طبيعة الإنسان :

لما أراد الله تعالى الذي هو خالق الكون أن يخلق خلقاً آخر في هذا الكون ، يحمل خياراً في الخير والشر ويملك مواهب ممتازة من الجن ، وكان أساس خلق الجن النار ، جعل أساس هذا الخلق الجديد الطين ، فقوي اتجاه التسرع والحرارة في الجن نظراً إلى فطرته ، وتكونت طبيعة هذا الخلق الجديد (الإنس) بالنظر إلى الطين ، في صورة التواضع

والخصائص المتنوعة ، وحدث اتجاه الضعف والاستكانة ، لأن الطين فطرته وضيعة وحقيرة ، قال الله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ (سورة المؤمنون الآية/١٢) ، فنشأ فيه جانب الهوى ، ولما كان الأمر كذلك ذكره بضغط نفسه وإطاعة الله تعالى مثل الجن ، ليلوهم أيهم أحسن عملاً ؟ قال الله عز وجل : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ❖ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ﴾ (سورة الملك الآيات/١ - ٢) .

بالرغم من أن هذا الخلق الجديد (الإنسان) خلق من طين لكن أمر الله ملائكته والجن بتعظيمه والسجود له ، رأى إبليس هذا الأمر بعين الحسد والضغن ، واستكبر وتعاضم ، وكره أن يسجد أمام الإنسان ، لأنه شعر بأن مكانته أهدرت مقابل الإنسان، ولم يصبر على هذه الكراهة، وذكرها أمام الله ، فعوقب بعضيان الله عز وجل، وأخرج من الجنة وطرد إلى الأرض ، ونزل غضب الله عليه بقوله : ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ❖ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ❖ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ❖ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ❖ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ❖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ❖ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ❖ وَإِنَّ عَلَيْكَ لعنتي إلى يوم الدين﴾ (سورة ص الآيات/٧١ - ٧٨) .

رشح الله هذا الخلق الجديد (الإنسان) لإقامة النظام

الإلهي على هذه الأرض ، وأكرمه بالخصائص التي تساعد على إقامة هذا النظام ، وأودع فيه صفة العلم والاستفادة منه ، فأخبره الملائكة ، فقالوا وهم يشعرون بحدوث نزاع وخصام بين أفراد هذا الخلق جراء شهواته ، لأنه مخلوق العالم الأرضي : إن هذا الخلق يسفك الدماء ويعيث الفساد في الأرض ، وأفادهم الله بميزة العلم وفوائده التي فطر عليها سيدنا آدم عليه السلام .

يتميز الطين بخصائص متنوعة ، فوضعت خصيصة الشدة في الحديد والحجارة ، وخصيصة اللين والنعومة في نباتاته المختلفة وأجزائه الكثيرة ، وصفة النار في بعض أقسامه ، كذلك وضع الله صفة البرودة في الماء وصفات الخضوع وإحداث اللين في الأشياء الأخرى ، فهذه الخصائص كلها تصل إلى جسم الإنسان مفردة من طريق الغذاء والهواء ، وقد منح الله الإنسان مواهب القيام بالمسئوليات الملقاة على عاتقه من رب العالمين ، في هذه الأرض ، وكشف حقيقة الإنسان هذه بهذه الآية قائلاً : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ ، ليست هذه الصفة في الجن بهذا القدر ، لأنهم خلقوا من نار فقط ، وتكون آثار النار وخصائصها حادة وسريعة ، ولما أراد الله تعالى تكريم الإنسان بخلافة الأرض خلق من أشياءه المخلوقة التي تتركب من مواهب متنوعة ، وأفاض عليه صفة العلم لأداء مسئولية الخلافة ، أو أخبر الملائكة بصفة الإنسان هذه لما سأله ، وذكرها في الإنسان ، قال الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ

يَحْمَدُكَ وَتُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ❖ وَعَلَّمَ آدَمَ  
الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ  
هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ❖ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا  
عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ❖ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ  
بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ  
غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿

(سورة البقرة الآيات/ ٣٠ - ٣٣) .

بالرغم من الخصائص المتعددة في الإنسان أودع الله في  
طبيعته جانب الهوى ليمتحن الله هذين المخلوقين واختيارهما  
في العمل لوجه الله تعالى ، وتبدو كمية الأعمال لله تعالى  
وكمية الأعمال الخاضعة للأهواء ، ليكون القضاء المبرم  
للدخول في الجنة والانتفاع من نعيمها ، ودخول جهنم بالحياة  
المخالفة لهم من الله تعالى ، قال الله عز وجل : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ  
الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا  
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ❖ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ  
بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿

(سورة القصص الآيات/ ٨٣ - ٨٤) ، وقال : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ  
وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ❖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ  
الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ  
الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿ (سورة النساء الآيات/ ١٢٣ - ١٢٤) وقال :

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ❖ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ❖  
وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ❖ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ❖ وَاتَّرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ❖  
فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ❖ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ  
عَنِ الْهَوَى ❖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿ (سورة النازعات الآيات/ ٣٤ - ٤١) .



كيف ينال الإنسان مرضاة الله تعالى ؟ فكشف هذه الحقيقة إماً بعلمه الذي أكرمه به ، وإماً بالوحي المنزل من السماء ، وبدأ إرسال رسله وأنبيائه ليطلع الناس على أعمال الأمم الماضية الصالحة والسيئة ، ويهديهم وفقاً لأزمانهم وأوضاعهم الخاصة ، وقد استمرت هذه السلسلة ، وحينما بدأ العهد الأخير اصطفى الله محمداً ﷺ كآخر رسوله تكملةً للأحكام والشرائع التي نزلت عبر القرون ، وسمي مجموعة هذه الأحكام الإسلام ، قال الله تعالى : ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ❖ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ❖ أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ❖ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ❖ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (سورة آل عمران الآيات/ ٨١ - ٨٥) .

#### مظاهر هذه الطبيعة :

وبما أن الإنسان خلقه الله عز وجل على الخصائص التي أكرمه بها ، فإنه خبير بدقائق طبيعته وأقسامها ، فإن جميع التوجيهات التي أتت إليه من طريق الوحي لاحظ فيها قدراته الفطرية العملية ، فهو يعرف أن هوى الإنسان إذا أثر

فيه كيف تكون حالته ، وماذا يكون موقفه وصلاحيته ،  
 وإذا ظهر عليه الرضا الإلهي كيف تكون حالته ، كشف  
 القرآن عن هذه المواقف بكلماته ، فتارة استعمل له كلمة  
 صالح ، ومؤمن ، ومسلم وكافر ومشرك وفاسق وفاجر  
 وغوي ، ومنيب وكنود ، وظلوم وجهول ، وعجول ، وقنوط  
 ويؤوس ، وشكور وكفور وحليم وأواه ، وتارة استعمل له :  
 لحبّ الخير لشديد ، وهلوع وجزوع ، ومنوع ومصالح ومفسد ،  
 وسعيد وشقي ، ومقتصد وسابق إلى الخيرات ، هذه الكلمات  
 تبين تنوع طبيعة الإنسان وتعددتها ، فقد روعيت هذه الجوانب  
 في تكليفه بالأحكام الشرعية ، وأخبر الإنسان بأنه يحمل  
 أصول نزعات متنوعة ، فعليه أن يلاحظها ، ويجتنب جوانب  
 النفسية التي ترشده إلى البهيمية وسوء العمل ولا يرجح  
 كفتها ، أما الجوانب التي تذهب به إلى الخير والخصائص  
 الإنسانية فعليه أن يستفيد منها ويقويها ، فإنه جعل مخيراً في  
 هذا الأمر ، قال الله عز وجل : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا  
 لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ (سورة البقرة الآية /٢٨٦) .

فإن القرآن ينصح الإنسان بما يوجد في القرآن من  
 أحوال نفسية الإنسان في سلوكياته وطبيعته ، وذكر لها  
 قصصها ، وراعى فيها جوانبه النفسية مراعاةً تامة ، مثال  
 ذلك أن سورة العاديات تبين موضوع العرب المهم في الحرب  
 وهو عدو الفرس وسرعته ، وقهر الأعداء بالركوب عليه في  
 جانب ، وفي جانب آخر تذكر أن الإنسان يكفر ربه ويرغب  
 في الأشياء المألوفة رغبة شديدة حتى ينسى الأضرار التي تلحق  
 به من الانقطاع عن المستقبل ، بتأثير هذه الاتجاهات .

أضف إلى ذلك نصيحة القرآن إياه بعبادة الله عز وجل ،  
شاكراً على ما أنعم الله من ذهابهم إلى الشام واليمن في رحلة  
الشتاء والصيف ، وصيانتهم من الأخطار المحدقة بهم تكريماً  
من الله تعالى لهم ، لأنهم كانوا سدنة بيت الله الحرام .

كذلك ذكرت سورة العصر مزايا الإنسان الناجح ،  
والجزء الأخير من سورة الحج تناول بيان عبادة الأصنام التي  
كانت تتم عن سفه وحمق الكافرين في أسلوب جميل ، لكن  
باختصار ، قال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ  
فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ  
اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ  
الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ (سورة الحج الآية/٧٣) تأملوا ، إنكم  
تذهبون إلى الأصنام تحقيقاً لحاجياتكم ، ولا تتفكرون شيئاً  
فيما أن الأصنام لا يمكن أن تدفع الذباب عنها ، بل إن الذباب  
إذا ذهب بندورها وقرابينها ما استنقذوها ، فليس شيء  
أعجب من مدّ يد السؤال إليها ، فلو أصررتهم على هذا  
لظنكم الناس ضعفاء .

إن مواقع الضعف هذه وأمثاله للطبائع الإنسانية توجد  
في القرآن الكريم ، ويشير القرآن إلى طبيعة الإنسان  
وطموحه وإصابته بمركب النقص وبلادة ذهنه ، وتلوح أمامنا  
من خلال القرآن صور شتى لقلب الإنسان وعقله وضميره .

#### ميزة الإنسان الحقيقية :

كيف كان الإنسان أرفع مكانة من الحيوانات ؟ هل  
بيده ورجله ؟ هل بضمه وعينه ؟ هل بطعامه وشرابه ؟ لا ، لأن

هذه الأعضاء تملكها الحيوانات أيضاً ، فالإنسان يمتاز عن الحيوانات بنواح شتى ، بحيث إذا أكل فكر فيما يأكل ، وإذا مشى أو مس شيئاً فكر فيه كذلك ، وقد أمره الله بأن لا يمد يده ظلماً واعتداءً على أحد ، بل يستعملها في صالح الناس ، وأكدته أن ينفع نفسه وينفع الآخرين ، ولا ينظر بعينه نظرة سوء ، فإذا كان حرّاً في استعمال هذه الأعضاء لم يبق الفرق بين الحيوان والإنسان، وخلقنا الله عز وجل إنساناً في معنى الكلمة ، وقد ذكر ذلك الله تعالى وقت خلق الإنسان أمام الملائكة : ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ تعجّب الملائكة من هذا الخلق الجديد ، وقالوا : إن الحيوانات من كل نوع ، والملائكة والجن موجودون ، أما عبادتكم والسجود أمامكم فنحن أولى وأحرى بها ، بل الكون كله مكب عليه ، فلا حاجة إلى خلق جديد ؟ ولماذا تخلق الإنسان ؟ نخشى أنه يضر ولا ينفع ؟ قال الله عز وجل بلسانهم : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (سورة البقرة الآية/٣٠) ردّ الله عليهم : ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة الآية/٣٠) أنتم لا تعلمون حكمة خلق الإنسان ، وأنا أعلمها ، إن عبادة الله وإن كانت مسئولية لازمة لكل مخلوق، وهذه المخلوقات مسيرة لعبادته ، لكن الله خلق الإنسان وكرّمه وخيره ، فإنك إذا شئت كفرت بالله، لكن صلاحك يكمن في الطاعة ، وقد أمرت بها ، قال الله عز وجل : ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (سورة البلد الآية/١٠) ونحن نلاحظ أن نفسك إذا مالت إلى العصيان فتملكها أم لا ؟ لأن هناك

منافع تتلطف إليها نفسك ، فتريد أن تعصي ، الأمر المهم أنك ترجح كفة النفس أو جانب الملك ، فأذا أطلقت حرة، كنت عاصياً لله ، وكنت معاقباً من الله عز وجل ، وإذا تماكنت نفسك صرت ميمون الطبيعة ومبارك الأمر ، وكنت دليلاً على إنسانيتك لأنك خلقت إنساناً ، لا لأن يضاف إلى زمرة المخلوقات نوع منها ، فالخلائق كثيرة ، هناك حيات وعقارب وبهائم وأنعام وسباع وأسود ، ويوجد مخلوق من كل نوع ومن كل صفة ، الأسد يأكل الحيوانات، والأغنام تأكل النباتات ، فكل نوع من الخلق موجود ، وكل صنف من الحيوان هنا ، فما الحاجة إليك ؟ الحاجة إلى أن تمثل سلوكك ، و خلقت لتمثيل سلوكك ، و خلقت للتخلي بالسلوك الحسن .

#### مستوى عظمة الإنسان :

إن فكرة الدين في القرآن جامعة ومشملة على صالح الإنسان ، وهي تتلخص في دستور كامل للحياة الإنسانية ، فلا اعتبار فيها للغة ومنطقة ولون جنس وجغرافية ، إن الدين يعتبر أن الناس كلهم إخوة ، إلا أنه يفرق بينهم بناءً على صلاحهم وفسادهم ، ويقول : إنهم عباد إله واحد ، وأولاد أب، فيأمر بعبادة الله وحده وينهى عن عبادة العباد والسجود أمام المخلوقات ، فيخبر الإنسان بدوره الرفيع ومكانته العالية على هذه الأرض ، ليؤدي واجباته نحو الله تعالى حسب مرضاة خالقه ومالكه على هذه البسيطة .

فكما أن القرآن ينهى الإنسان من الشرك في قسم

العبادة ويأمره بعبادة الله كذلك يمنعه في دائرة الأخلاق والسلوكيات من الكذب وإخلاف الوعد ، والخيانة وعدم الأمانة والفحشاء والغيبة والحرص والطمع والتطفيف في الكيل والوزن والرشوة والربا والبغض والحسد والأدواء الخلقية الأخرى ، ويلفت نظرة الإنسان مقابل ذلك إلى اختيار خصال حميدة من الصدق ، والعفة والأمانة والحياة والعدل وإيفاء العهد والعضو والإيثار ، فإذا تحلى الإنسان بهذه الصفات كانت إنسانيته بالغة إلى كمالها ، وإذا نقص فيها أو فرط في أدائها كان مستواه مثل ذلك خافضاً ، قال الله عز وجل :

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا ۚ إِنَّمَا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۖ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۖ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ۖ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۖ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۖ وَإِمَّا تَعْرِضْنَ عَنْهُمْ اكْبَهْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهُمَا فَكُلْ لَهُم قَوْلًا مَّيْسُورًا ۖ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۖ إِن رَّبَّكَ يُبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ

كَانَ مَنْصُورًا ❖ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ❖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ❖ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ❖ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ❖ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ❖ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿سورة بني إسرائيل الآيات/ ٢٣ - ٣٩﴾ .

#### الإنسان القرآني المطلوب :

ليست تعاليم القرآن لزمن دون زمن ، ولطبقة دون طبقة ، فإن توجيهاته وتعاليمه حتى فكرته عن الإنسان شاملة وجامعة ، فهذه الفكرة تضم إليها جوانب الحياة كلها، التي تجعل الإنسان إنساناً قرآنياً مطلوباً ، مثال ذلك عدم الانتقام من الظالم، والإحسان إلى الأعداء فضلاً عن الأخلاء ، واجتناب الرياء والبطالة والبخل والإسراف ، ومساعدة اليتامى والمساكين ، وإعانة الناس بعيداً من أي مصلحة ، وصلة الأرحام ، وخدمة الأبوين ، والشفقة على الصغار ، والتلاطف مع الأطفال ، وإكرام الكبار ، والإحسان إلى الجيران ، والتحلي بصفات القناعة والاستغناء عن الناس ، هذه الصفات كلها تأتي ضمن فكرة الإنسان القرآني ، وقد أكد الله عليها في القرآن الكريم لاختيارها في الحياة ، فقد اختارها الصحابة رضي الله عنهم في القرن الأول ، وعملوا بها ، وفهموها فهماً صحيحاً ، وقدموا مثلاً

حسناً للخصال الإنسانية الحميدة والمحامد المرضية ، وكانوا حاملينها في العهد المكي ، ولما قدموا المدينة تحمل الأنصار رضي الله عنهم المشاق في هذا السبيل وأعانوا المهاجرين ، ذكر القرآن الكريم هذه المناسبة في سورة الحشر : ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (سورة الحشر الآية ٩) وقد مدح الله في سورة الدهر مثل هذه الخصال : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (سورة الدهر الآية ٨) .

وسعت فكرة القرآن عن الإنسان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد حملت أمة محمد علي صاحبها ألف ألف تحية وسلام هذه المسئولية ، واعتبر من أعمالها الحسنة العمل الصالح بنفسها وإراحة الآخرين ، ورُغبت إليه ، قال الله عز وجل : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (سورة آل عمران الآية/١١٠) ، إن إرشاد الضال، وابن السبيل وإمطة الأذى عن الطريق جزء من الإنسانية ، وإن نسيان المنة بعد الإتيان بها ، وعدم المن ، وطلب الشكر ، والاجتناب من الرياء والسمعة يأتي ضمن فكرة القرآن عن الإنسان، فقد أمر عامة المسلمين: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ (سورة البقرة الآية/٢٦٤) ، لأن القول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التي يتبعها أذى ، فمن آداب الصدقات والخيرات أن تكون سرا، لا يراه أحد ، وأن تكون بطواعية النفس ، لا بالإكراه ، هذا من علامات النفاق ، ومضاد لفكرة القرآن عن الإنسان .

يتجلى من خلال هذا التفصيل سعة فكرة القرآن عن الإنسان وشمولها ، فهذه الفكرة جامعة تجمع أشكالا متنوعة



من المحاسن والمحامد ، فإن القرآن يركز على التواضع في جانب ، وفي جانب آخر يعلم إباء النفس وأنفتها ، كما أنه يحب اختيار الصبر على أحوال الفقر والفاقة كذلك يعلم العزة والجلال في بعض الأحيان ، وإن فكرة القرآن عن الإنسان تجمع بين هاتين القوتين : الجمال والجلال لنشر الأمن والرخاء في العالم ، فلا تحدث في المنتمين إليها العجز والمسكنة والهوان بل تبرز فيهم العزيمة الصادقة ، والطموح ، والحرية وإباء النفس وثباتها .

فالإنسان القرآني المطلوب يحمل نظاماً شاملاً للأخلاق الإنسانية في الدنيا ، يوافق مستواه الرفيع ، وجعله حسب الفطرة الإنسانية ونسبة العمل ، سهلاً سائغاً للعمل ، يستطيع كل فرد أو ملة أن يعمل به في كل زمان ومكان ، وهذا من ثمار فكرة القرآن عن الإنسان أن العبيد صاروا حكاماً ، والخدام أمراء ، وصار الوضيع محترماً ، وتبدل الانحطاط رقياً ، قال الله عز وجل : ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة آل عمران الآية/١٣٩) .



## الباب الثالث طاعة رب العالمين

غاية خلق الإنسان :

قد أرسل الله تعالى الذي خلق السماوات والأرض وما فيها من دابة ، الأنبياء والرسل إلى الناس لإطاعته واتخاذ حياة الخير والصلاح أسوة لهم ، وأنزل معهم الكتب ، ثم بعث خاتم النبيين بآخر الكتب السماوية للمرحلة النهائية في الحياة الإنسانية ، ليحقق الإنسان مهمة عبودية الله تعالى والخضوع له .

ولا شك أن هناك طريقتين لشكر الله وعبادته : أحدهما فطري بلا اختيار ، وثانيهما اختياري ، فكل النوعين من العبادة يتحققان من المخلوقات ، وقد أسندت إلى الجن والإنس الطاعة المخيرة ، رغم أن الخلائق الأخرى عجت طبيعتها واختمرت طبيعتها من العبادة ، فهذه المخلوقات التي كانت العبادة جزءاً من فطرتها تقوم بواجباتها فطرياً ، قال الله عز وجل : ﴿ تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (سورة الإسراء الآية/ ٤٤) وقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ ، كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (سورة النور الآية/ ٤١) .

### الإنسان مخير لا مسير:

وقد جعل الله تعالى الإنس والجن مختلفين من المخلوقات الأخرى ، وخيرهم بين العبادة وعدمها ، وأخبروا أنهم إذا عبدوه نالوا جزاء أعمالهم ، وإذا أعرضوا استحقوا العقاب ، وإن المخلوقات الأخرى تعبد فطرياً ، فقد جعل الله فطرتها بحيث إنها مطيعة لخالقها ومالكها ، لكن الإنس والجن خيراً في العبادة وعدم العبادة ، ليمتحن الله تعالى أنهما يؤمنان بالله ويطيعان له أم لا ، فالدار الآخرة التي هي الحياة النهائية يحاسب هذا الصنفان من المخلوقات أعمالهما ، ويكرمان بأحسن الجزاء أو يعاقبان بشرعقاب على القيام بالأمر الذي وكل إليهما أو الإعراض عنه ، ولا شك أن كون الإنسان مطيعاً في مرحلة الخيار يرتبط من رضا الله تعالى ، فإنه ليس مضطراً ، بل إنه يؤثر أمر الله تعالى حسب مصلحة فطرته على اختياره ، وهذا ما يرضاه الله تعالى ، فإنه أسكن في الدنيا الجن والإنس ، وفضل الإنس على الجن بالعلم ، وقدر الله أن يكون خليفته في الأرض نظراً إلى أهميته ، ولفت انتباه الناس إلى العمل حسب مقتضاه ، فلو شاء الله لفطر الإنس والجن على العبادة ، وجبلهما عليها ، لكن لا يتضح منه أن هذه العبادة تصدر منهما خياراً أم جبراً ، هذا هو السبب فيما إذا أمرهما الله بالطاعة والانقياد له قال : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ، لا انفصام لها والله سميعٌ عليم ﴾ (سورة البقرة الآية ٢٥٦) .

### الطاغوت وطرق إضلال الإنسان :

إن خيار الطاغوت أيضاً أي العصيان وأنواعه من الله تعالى ، ولا يمكن تفضيل مرضاة الله تعالى على إرادة الإنسان ورأيه إلا أن يكون الطاغوت موجوداً ، ويُميل إلى نفسه ، ويدعو إليه ، ويرغب كل إنسان فيما يشتهي ، وقد خير أحد الجن إبليس وذريته في الإضلال والغواية ، وأن يعمل عمل الطاغوت ، فنبه الله تعالى الإنس والجن أن الطاغوت يستميلكما إلى الشهوات التي تخالف مرضاة الله ، فأنتما في امتحان أنكما تطيعان الله أو تعملان بهوى النفس ، ولا شك أن عباد الله الذين يعاندون هذا الطاغوت ويبتغون رضا الله يخالفون الطاغوت ويؤثرون الطاعة الإلهية .

فكان في هذه الصورة امتحان هذين المخلوقين ، وقررت نتيجته في الحياة التي لا تنتهي بعد هذه الحياة أن الجنة ونعيمها لمن أطاع الله ورسوله ﷺ ، والحرمان كل الحرمان من نعيمها واستحقاق العقوبات الشديدة لمن عصاه ، وكفره ، فبدأ هذا الامتحان منذ أن وُلد الإنسان ، وما زال مستمراً عبر القرون ، فنبهه الله تعالى ولفظ نظره إلى نتائج أعماله الاختيارية وعين للإصلاح والوعظ رجالاً مصلحين ، عرفوا بالأنبياء ، فأنذروا قومهم ، وأنزل الله تعالى كلامه الذي ذكرت فيه أساليب مؤثرة للإفهام ، لئلا يكون عند الإنس والجن سبب لعصيانهما ، وأن لا يقولوا : ﴿ مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴾ ، قال الله عز وجل : ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا

﴿حَكِيمًا﴾ (سورة النساء الآية/١٦٥) .

ذكر الله تعالى في مواضع مختلفة للقرآن آياته البينات التي تشرح الخالق الحقيقي والحاكم المطلق ، ويقدر بها قدرة الله وسلطانه على أنه قادر على كل شيء ، يحيي ويميت ، وقد خلق جميع أسباب الحياة ، وهو يملك الموت والحياة ، فليس من الصعب معرفة رضاه وعدمه ، وتقدير نتائج طاعته وعصيانه ، قال الله تعالى :

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ❖ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ❖ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (سورة البقرة الآيات/٢٥٥ - ٢٥٧) .

فاهتدى أناس بالكتب الإلهية والأنبياء المبعوثين إليهم ، إلى مرضاة الله تعالى ، لكن أكثرهم ظلوا متبعين هواهم بتأثير الطاغوت ، وبدؤا يخالفون الأنبياء ، فكان من نتائج ذلك أن قد أهلكت أمم في هذه الدنيا ، وسوف تواجه في الآخرة أشد العذاب .

### الطريق الوسط :

فالذين آمنوا بالله وأطاعوا وأوامره سواء كانوا أمةً أو أفراداً ، واستفادوا من كلام الله وعملوا بشريعة الله تعالى ، ضربوا أروع مثال لابتغاء مرضاة الله ، إلا أن بعضاً منهم أفرطوا في العبادة وغلوا فيها ، فلم يختاروا هذا الأسلوب لرضا الله إلا برأيهم ، وتجشموا فيها المشاق التي لا تستطيع ، وجاوزوا فيها المواهب الفطرية ، فانحرفت بهم الطريق عن الصراط المستقيم ، وكلفوا أنفسهم أكثر مما كلفهم الله تعالى ، لأن الله قد أمر بعبادته مراعاةً للفطرة الإنسانية ، فالذين اعتدوا على أنفسهم قال الله تعالى عنهم : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ (سورة الحديد الآية/٢٧) وقد أمر الله نبيه ﷺ بالقيام بمسئولية الإطاعة والانقياد له التي ألقيت على كاهله ، بناءً على مواهبه الفطرية ، وقد أشارت إليه الآية المذكورة أعلاه ، وقد ذكر القرآن في مواضع متعددة على أن يؤدي الإنسان مقتضيات ضرورته البدنية ، ولا يألوا جهداً في إطاعة شريعة الله تعالى ، قال الله عز وجل : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (سورة البقرة الآية/٢٨٦) وقد جعل لهذين الأمرين ترتيباً بحيث لا ينسى الإنسان جانباً آخر ، فلما ذكر الله تعالى في سورة الجمعة أن الإنسان إذا نودي للصلاة فعليه أن يأتي إلى المسجد تاركاً عمله التجاري أو الزراعي أو ما أشبه ذلك ، أتبعه أن يشتغل بشغله بعد ما انتهت الصلاة ، قال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمٍ

الْجُمُعَةَ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ❖ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ❖ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿سورة الجمعة الآيات/٩ - ١١﴾ وقال في موضع آخر : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصَّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الأعراف الآية/٣٢) .

#### شمول الطاعة الإلهية :

حينما أمر الإنسان بالطاعة والعبادة وضع بجانب ذلك أن ما خلق من منافع أرضية حول الإنسان وما وفر من وسائل الراحة ، كله للإنسان ، ليكون عوناً له للعيش على هذه الأرض والقيام بعبادة الله تعالى ، بذلك يمكن أن يستفيد منها الإنسان سواء كان كفوراً أو شكوراً ، لكن الكافرين يكونون محرومين من الأشياء النافعة في الحياة الأبدية المستقبلية ، وينالها الشاكرون بنصيب أوفر ، فهذه المنافع لم يأذن الله للإنسان من التمتع بها فقط ، بل سهل لها كل صعب ، ولكن المهم الأهم في الانتفاع منها أن لا يكون مضاداً لسنة رسول الله ﷺ ، بهذه الطريقة جمع الله الدين والدنيا ، فإنهما يجتمعان معاً ، وذلك حسبما أشار إليه الله بواسطة أنبيائه في كتبه السماوية .

فالإسلام الذي بلغ إلى كماله بنينا محمد ﷺ نظام كامل شامل للحياة ، فيه مراعاة دقيقة لضرورات الحياة

الصحيحة مع شموله جوانب العبادة المتنوعة ، وقد أمر الإنسان بالجمع بينهما .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ :  
"المؤمن القوي خير ، وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ، ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله ، وما شاء فعل ، فإن "لو" تفتح عمل الشيطان ، (رواه مسلم : ٢٦٦٤) .

وعن أبي جحيفة وهب بن عبد الله رضي الله عنه قال :  
آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء ، فزار سلمان أبا الدرداء ، فرأى أم الدرداء متبذلة ، فقال لها : ما شأنك ؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا ، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً ، فقال له : كل ، فإني صائم ، قال : ما أنا بآكل حتى تأكل فأكل ، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له : نم "فنام" ثم ذهب يقوم ، فقال له : نم ، فلما كان من آخر الليل ، قال سلمان : قم الآن ، فصليا جميعاً ، فقال له سلمان : إن لربك عليك حقاً ، وإن لنفسك عليك حقاً ، فأعط كل ذي حق حقه ، فأتى النبي ﷺ ، فذكر ذلك له ، فقال النبي ﷺ : صدق سلمان . (رواه البخاري : ١٩٦٨) .

وجاءت قصة ثلاثة أصحاب رسول الله ﷺ في الحديث ، عن أنس قال : "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، وقالوا : أين نحن من النبي ﷺ ، وقد غفر له ما تقدم دنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبداً ، وقال الآخر : وأنا أصوم



الدهر ولا أفطر ، وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : أنتم الذين قلتُم كذا وكذا ! أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني (متفق عليه خ ٥٠٦٣ ، مسلم ١٤٠١) .

وقد جاء التصريح بأن النبي الذي يجمع أشياء مختلفة منوعة هو جدير بالاعتداء به والتأسي به ، فالإسلام نظام جامع ، ودين متزن يتفق وطبيعة الحياة الإنسانية ، وقد شرحه القرآن شرحاً وافياً كافياً وجعله معياراً للحق ، وأحبَّ الربانية بدل الرهبانية ، قال الله تعالى : ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (سورة آل عمران الآية/٧٩) وقال ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (سورة آل عمران الآية/١٩) وقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ❖ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة البقرة الآيتان/٢٠٨ - ٢٠٩) .



## الباب الرابع بعثة الأنبياء والرسول

عليهم الصلاة والسلام

إن الله تعالى خلق الكون وعمره بالمخلوقات الكثيرة، وأفاض على الإنس خاصة لباس العز والكرامة ، وميزهم عنها ، وأبدى قدرته بوجه خاص بحيث إن الإنسان كان خلقاً وضعياً ، أي خلق من طين يؤطأ ويداس ، لكن نفخ فيه الروح، فإنه يستطيع أن يبلغ بها إلى درجة لا نهاية لها ، ففي جانب جعل أصله وجوهره وضعياً ، وفي جانب آخر خص بمزايا رفيعة وخصائص عالية للعمل ، فكان الإنسان مجموعة الخير والشر ، لأن الروح التي نفخت فيه إذا ارتبط الإنسان بها أنجز أعمالاً جلية ، وإذا اتصل بأصله وجوهره أوشك أن يصل إلى أسفل سافلين .

فإن هناك صفتين للإنسان في بنيته ، وهما تؤثران تأثيراً كبيراً في مجالتهما ، فإنه قد وصل بواحدة منهما إلى مهوى سحيق تارة ، وضرب أروع مثال بأخراهما تارة أخرى ، فإن ما أودع في الإنسان من تمثيل دور رائع جعله الله عز وجل خليفة بأرضه ، لكن بشرط أن يكون قوي الرابطة بالروح التي نفخت فيه ، فمن أبعد نفسه عنها ورجع إلى أصله بلغ إلى الحضيض الأسفل ، قال الله عز وجل : ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ❖﴾

وَطُورِ سِينِينَ ❖ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ❖ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ❖ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ❖ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ❖ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ ❖ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿سورة التين الآيات/ ١ - ٨﴾ .

وكل الله إلى الأفراد الذين يحملون منصب الخلافة أن يصلحوا المجتمع الفاسد ويكوّنوا بيئة للعمل بأوامر الله تعالى ، والأهم المهم أن يقر الإنسان بأن الله عز وجل خالقه ، فلم يتركه هملاً ، بل قرر يوماً يجتمع فيه الأولون والآخرون ، فيحاسبهم ، فيجزى المحسنين ، ويعاقب المجرمين ، قال الله عز وجل : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ❖ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ❖ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ❖ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ❖ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ❖ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ❖ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ❖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (سورة الزلزال الآيات/ ١ - ٨) وقال عن الذين يعملون عملاً صالحاً : ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ❖ وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى ❖ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ❖ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ (سورة النجم الآيات/ ٣٩ - ٤٢) وقال في موضع آخر عن المحسنين والمجرمين : ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ❖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ❖ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ❖ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ (سورة النساء الآيات/ ١٢٢ - ١٢٦) .

إن مواهب العقل والفهم التي كانت لازمة لتطبيق نظام

الخلافة على هذه الأرض جعل الله الإنسان فيها مخيراً بعلمه وتجربته الإنسانية ، وأما ما لا يتعلق بعلمه وتجربته فإن الله كشفها وأرشد الإنسان إلى استعمالها على أحسن وجه بالوحي الذي أنزل على الأنبياء والرسول عليهم الصلاة والسلام، وكان هذا التفصيل والشرح أيضاً بالكتب المنزلة على الأنبياء وبالوسائط الأخرى ، فحينما سكنت واستقرت ذرية آدم على هذه الأرض وانتشر الفساد والانحراف عن الحق في الإنس جراء الشهوات والملذات وبهارج الدنيا وزخارفها ، اختار الله رجلاً منهم يملك سلوكاً رقيقاً لمهمة الإصلاح والإرشاد ، وجعله نبياً ، فكان يأتيه الوحي بالملائكة ويبلغ النبي المرسل من الله رسالته إلى أفراد ضالين من قومه ، فكثرت ذرية آدم عليه السلام كابراً عن كابر ، وكلما عمّ الزيغ والضلال في الناس طلباً لتسهيلات الحياة وإغواءً من الشيطان ، أرسل الله نبياً من أنبيائه منهم ، وإذا لم تكن النتائج مبشرة بالخير رغم جميع المساعي التي بذلت نحو هداية القوم نزل عذاب من الله تعالى على هؤلاء الناس ، فأهلك الأمم التي عصت الأنبياء والرسول عليهم السلام وأبادها إبادة تامة .

كان الأنبياء يندرون الناس من يوم الجزاء والعقاب ، ويلفتون أنظارهم إلى أن يعيشوا وفق الشريعة الإسلامية ، وإذا اشترأبت المعاصي أعناقها في المجتمع سعوا لإزالتها ومحوها سعياً حثيثاً ، فإنهم ما زالوا يوصون الناس بأن يؤمنوا بأن الله هو الخالق والمالك وهو رب العالمين ، لا شريك له ، وقد صرح الله بغاية الإنسان في هذه الدنيا قائلاً : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ

وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿١١٥﴾ وَقَالَ أَيْضًا : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَدًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون الآية/١١٥) .  
سيدنا نوح عليه السلام :

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم كثيراً من الأنبياء الذين نصحوا أممهم وأقوامهم ، فكان منهم سيدنا نوح عليه السلام ، الذي ما زال ينصح قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، لكن ما آمن به إلا قليل ، وظل أكثرهم عصاة مجرمين ، فنزل عليهم عقاب من الله ، وأغرقوا ، جاءت قصة نوح عليه السلام في القرآن في سورة هود : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ❖ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ❖ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ❖ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ أَنْلُزْمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ❖ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ❖ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ❖ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنُ الظَّالِمِينَ ❖ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ❖ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ❖ وَلَا

يَنْفَعَكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ  
يُغْوِيَكُمْ هُوَ رِيكُمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ❖ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ  
افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرَمُونَ ❖ وَأَوْحِيَ إِلَى  
نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا  
كَانُوا يَفْعَلُونَ ❖ وَاصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوْحِينَا وَلَا تَخَاطِبْنِي  
فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ❖ وَيَصْنَعِ الْفُلَكَ وَكَلَّمَا مَرَّ  
عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسَخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ  
مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ❖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ  
وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ❖ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قَلْنَا  
أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ  
الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ❖ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا  
بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنْ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ❖ وَهِيَ تَجْرِي  
بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ  
ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ❖ قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ  
يَعَصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ  
وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ❖ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي  
مَاءَكَ وَيَأْسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى  
الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ❖ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ  
إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ❖  
قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي  
مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ❖ قَالَ  
رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي  
وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ❖ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا  
وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَمَّتْهُمْ ثُمَّ

يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ❖ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ  
مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ  
الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿سورة هود الآيات/ ٢٥ - ٤٩﴾ .

### الأنبياء الآخرون :

وردت في القرآن بعد قصة نوح وقومه قصص هود  
وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام ، الذين صدعوا بالحق في  
أممهم عاد وثمود ولوط ومدين ، في أزمنة مختلفة ، فكانت  
قوم عاد في مرض الشرك والكبر وغير ذلك ، وقوم ثمود  
أيضاً في الشرك والعدوان وغير ذلك من الضلالات ، وقوم  
لوط في الشذوذ الجنسي وغوايات الترف والبذخ ، وقوم مدين  
في الشرك والتطفيف في الكيل والوزن ، والتجاوزات الخلقية ،  
فأعرض هؤلاء عن نصائح أنبيائهم وأصروا على نجاستهم  
وطغيانهم ، واستهزؤا بأنبيائهم ، وأذوهم إيذاءً شديداً ،  
فدمروا تدميراً بعذاب من الله تعالى .

بعد ذكر هؤلاء الأمم ، وبصفة خاصة وردت قصة  
فرعون وآله ، الذين نصحهم موسى عليه السلام أن يجتنبوا  
عصيان الله والإشراك به ، وأن يخلوا سبيل بني إسرائيل  
(أقلية مصر آنذاك) مبتعدين عن الظلم والقهر عليهم ، لكن  
فرعون مارس دعوى الألوهية والاعتداء على بني إسرائيل ،  
فاختار موسى عليه السلام أساليب مختلفة لنصيحة فرعون ،  
ولقن فرعون أن يختار منهجه وأسلوب حياته ، فنزل عليه  
العذاب بالعصيان ، الذي كان عبارة عن الإغراق في بحر  
القلزم ، وعلى كل ، كلما ازداد الفساد الخلقى والديني

والضلالة في أمم وذريات الإنس المختلفة ولم تجتنب العصيان والطغيان رغم دعوات متكررة من الأنبياء عليهم السلام ، ابتليت بنقمة الله عز وجل ، ولم تخلص نفسها من بطش الله تعالى وفتكه .

ذكر الله قصص هؤلاء الأنبياء وأقوامهم في سورة هود على سبيل المثال ، قال الله عز وجل : ﴿وَالىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ ❖ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ❖ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ ❖ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ❖ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ ❖ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴾ ❖ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ❖ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ ❖ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجِيًا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجِيًاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ ❖ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ ❖ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنْ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدًا لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ ﴾ ❖ وَالىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا



إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ❖ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ❖ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ❖ وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ❖ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْدُوبٍ ❖ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ❖ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ❖ كَأَنَّ لَمْ يَظُنُّوا فِيهَا إِلَّا أَنْ تَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدًا لِنُتْمُودَ ❖ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِينٍ ❖ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَأَوَّجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ لُوطٍ ❖ وَامْرَأَتُهُ قَانِمَةٌ فضحكت فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ❖ قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ❖ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ❖ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ❖ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ❖ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ❖ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ❖ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هُوَ لَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِي فِي ضَيْفِي

أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ❖ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ  
 مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ❖ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي  
 إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ❖ قَالُوا يَا لَوِطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا  
 إِلَيْكَ فَأَسْرِبْ أَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا  
 أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ  
 الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ❖ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا  
 وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ❖ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ  
 وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ❖ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ  
 يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ  
 وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ  
 ❖ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ  
 أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ❖ بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ  
 إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ❖ قَالُوا يَا شُعَيْبُ  
 أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا  
 مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَكِيمُ الرَّشِيدُ ❖ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ  
 كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ  
 أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ  
 وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ❖ وَيَا قَوْمِ لَا  
 يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ  
 هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ❖ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ  
 ثُمَّ ثُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ❖ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ  
 عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيَا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ  
 مُحِيطٌ ❖ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ  
 تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي

مَعَكُمْ رَقِيبٌ ❖ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ❖ كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ❖ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ❖ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْنَاهُ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ❖ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَتَسَّ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ❖ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَسَّ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ❖ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقِصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ❖ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿سورة هود الآيات/ ٥٠ - ١٠١﴾

وقال : ﴿وَالِي ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ وقال : ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا﴾ وقال : ﴿وَالِي مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ وقال : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾

(سورة هود الآيات/ ٥٠ - ١٠١) ووردت في سورة يونس مجملة قال الله تعالى : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكَيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ❖ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ❖ فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ ❖ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ

نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ❖ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿سورة يونس الآيات/ ٧١ - ٧٥﴾ ، وقد كشف القرآن عن مساعي هؤلاء الأنبياء وأقوامهم أنها حينما تمرغت في عصيان الله وكفرانه رغم ما أعلن الأنبياء لهم وأسروا في الدعوة أخذهم الله شرّاً أخذ ، وعاقبهم بجرائمهم وطغيانهم ، قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (سورة هود الآية/ ١١٣) .  
سيدنا إبراهيم عليه السلام :

ورد ذكر سيد الأنبياء إبراهيم عليه السلام في القرآن في مواضع متعددة ، وبأساليب مختلفة ، فقد ضرب أروع مثال في طاعة الله تعالى ، ينذر وجوده في الطاعات ، فإنه آمن بخالقه ومالكه من بصيرته منذ الصغر ، ودعا إليه بكل نشاط ، وقدم في هذا المجال تضحيات جبارة كانت أعلى نموذج للفداء والطاعة ، فإنه ألقى في النار على قوله كلمة لا إله إلا الله ، فرضي به ، واستمر في جهره بالحق ، ثم نفي من وطنه فترك وطنه الحبيب في سبيل الله عز وجل ، واستسلم لأمر الله تعالى أيضاً أن يترك ولده الرضيع الأثير الذي ولد بعد انتظار شديد وبتأخير ، وأمه في واد غير ذي زرع ، على مئات من الأميال ، ورضي فرحاً مسروراً بأن يؤثر حب الله عز وجل على حب هذا الابن الحبيب الوحيد وأمه .

ثم امتحن الله تعالى طاعة إبراهيم مرة ثانية أن هذا الولد إسماعيل الذي ترك في أرض غير مسكونة ومكان

قفر، وظل حياً يرزق ، ثم شب وصار ولداً مطيعاً لوالديه ، صالحاً في نفسه ، أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يذبحه ، فانقاد إبراهيم عليه السلام لهذا الأمر ، ومرة أخرى ضحى بحب ابنه ، وحينما بدأ إمرار السكين على حلقومه أخبر بقبول عمله ، فجاء كبش من الجنة وذبح بصورة عملية ، كانت هذه الطاعة مثالية ، بحيث إن الله جعل إبراهيم عليه السلام أحب الأنبياء ، وكل تضحياته التي كانت رفيعة الشأن والمنزلة بالقبول من الأنبياء الآخرين ، وخلع عليه لقب خليل الله تعالى ، فقد جاء في القرآن الكريم : ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (سورة النساء الآية/١٢٥) ، ونقل الله سبحانه وتعالى قبوله وتوفيقه إلى نسله ، الذي دعا له سيدنا إبراهيم عليه السلام ، لكن الله عز وجل قال حين استجابته دعاءه : إن توفيقه هذا يستمر إلى أولاده الذين يسلكون الصراط المستقيم ، ويجعلون أنفسهم أهلاً له ، قال تعالى : ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (سورة البقرة الآية/١٢٤) وقال الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ❖ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلَّلَنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ❖ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (سورة إبراهيم الآيات/٣٥ - ٣٧) .

لقد قام إبراهيم عليه السلام بامتثال أمر أدق وأصعب طلباً لمرضاة الله ، بروح من الفداء والتضحية ، فأكرمه الله

تعالى بلقب خليل الله ، وكان نبياً حبيباً عند ربه ، فأخرج الله آخر نبيه محمداً ﷺ من ذرية إسماعيل عليه السلام .  
 رفع الله مكانة إسحاق ولد إبراهيم عليه السلام ، فكان هو ، وابنه ، ثم حفيده يوسف أنبياء ، ولم تنزل سلسلة النبوة باقية في ذرية يعقوب التي تعرف ببني إسرائيل ، لكن قضى الله أن يكون في ذرية إسماعيل آخر وأعظم نبي ، ويسند إليه مسئولية الهداية والإرشاد في الأوضاع التي قد بلغت فيها الدنيا إلى أحط الدرجات من التسفل والانهيار ، وكادت تبشير العهد الأخير تطلع ، فكانت نبوة محمد ﷺ إلى يوم القيامة .

#### سيدنا موسى عليه السلام :

إن بني إسرائيل ، الذين كانوا أولاد يعقوب من نسل إبراهيم عليه السلام ، ولد فيهم أعظم الأنبياء في بني إسرائيل موسى عليه السلام ، جاء ذكره في القرآن الكريم ضمن أولي العزم من الرسل .

إن بني إسرائيل هاجروا إلى مصر ، حينما صار يوسف عليه السلام ملكاً لها ، واستقروا فيها إلى مدة ، لكن اضطهدوا من فرعون حاكم مصر المشرك ، لأنهم كانوا في أقلية ، فبعث الله سيدنا موسى عليه السلام ليكون مبعث خلاصهم من ظلم فرعون ، فبذل موسى عليه السلام سعيه في نصح الملك الظالم الفتاك في عصره ، ودعاه إلى التوحيد والشرك ، وقاوم طغيانه وقهره ، ثم قام داعياً في بني إسرائيل ، الذين أنجاهم الله موسى عليه السلام من ظلم

فرعون في مصر ، وواصل جهوده للإرشاد والتوجيه وإصلاح العقائد وتسديد الأعمال ، وكان مما امتن الله به عليه أنه كلمه تكليماً ، وناداه بكليم الله ، وأنزل عليه التوراة ثاني الكتب السماوية ، التي هي مجموعة توجيهات وإرشادات للهدى والطاعة .

إن فرعون وقومه قد عاثوا في الأرض ، وكان بنو إسرائيل في أقلية ، فكلما ولد فيهم ولد قتله فرعون وقومه ، وإذا ولدت بنت تركوها لتكون خادمة لبيوت فرعون ، فكانت الطبقة المتخلفة المضطهدة للبلاد تتعرض للظلم والفساد أكثر مما كانت، ورغم ذلك كله كان فرعون يعتبر نفسه إلهاً ، ويجبر الناس على عبادته والسجود له ، ويعلن بكلمات صريحة : ما لكم من إله غيري ، ونصحه سيدنا موسى عليه السلام كثيراً ، واستمر في نصحه حتى انقضت مدة ، لكن لم يمتنع فرعون عن عدوانه ، فجاء عقاب من الله تعالى ، فأغرق فرعون وآله وأتباعه في البحر، وتخلص بنو إسرائيل من ظلم فرعون ، وكان من فضل الله وإنعامه على بني إسرائيل أنه جعلهم شامة بين الأمم ، وأحلهم محلاً رفيعاً بين جميع طبقات الناس .

قيّض الله تعالى موسى عليه السلام لهداية بني إسرائيل، وبارك فيهم ، فسمى الذين اختاروا تعاليمهم وعملوا بها يهوداً ، لكن بعد مدة جعل اليهود يعرضون عن هداية أنبيائهم ، حتى وصلوا إلى مظاهر الشرك ، وأصرروا على اقتراف الأمراض الخلقية ، وخانوا وظلموا واعتدوا على الآخرين .

فألقامهم الله تعالى في لجة من المصايب بالأمم الأخرى، لكنهم لم يرتدعوا عن اعتداءاتهم وسيئات أعمالهم ، أضف إلى ذلك ظلمهم على الأنبياء وقتلهم ، حتى دبروا خطة قتل سيدنا عيسى عليهما السلام في نهاية المطاف ، فجعل الله كيدهم في نحورهم ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ❖ لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون ❖ وحسيبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون ﴿ (سورة المائدة الآيات/ ٦٩ - ٧١) . وقال : ﴿ يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنأ الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعصونا عن ذلك وأتينا موسى سلطاناً مبيناً ❖ ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ❖ فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً ❖ وكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً ❖ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً ❖ بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً



❖ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ❖ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ❖ وَأَخَذْنَاهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿سورة النساء الآيات/ ١٥٣ - ١٦١﴾ .

سيدنا عيسى بن مريم عليهما السلام :

لما عم الانحراف عن دين الله ، وانتشر الزيف والضلال في بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام بعث الله تعالى عيسى عليه السلام لإصلاحهم ودعوتهم إلى الله تعالى ، وأكرمه بأنه كان يتكلم في الصغر ، ويجهر بالحق في السر والعلن ، وبشر الله تعالى مريم عليها السلام التي كان لها من قضائه أن تكون أماً بواسطة ملك ، استغربت مريم من أنى يكون لها ولد بدون زوج ، فأزال الله حيرتها واستغرابها ، وردت قصتها مفصلة في آيات القرآن الكريم ، التي تناولت بذكر بعثة عيسى عليه السلام وخصائصه وتعليم الناس الأخلاق وتفهمهم الآيات البيّنات وغيرها - قال الله تعالى : ﴿إِذْ قَالَتُ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ❖ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ❖ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ❖ وَيَعْلَمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ❖ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ

بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ❖ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ النُّورِ وَالْأُحْلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رِيبِي إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿سورة آل عمران الآيات/٤٥ - ٥٩﴾ .

حينما وجه بعض شرار الناس التهمة إلى مريم أشارت إلى صبيها عيسى عليه السلام لمعرفة الحقيقة ، ذكر القرآن قصة إبداء عيسى عليه السلام الحق في حضن أمه قائلاً : ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ❖ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ❖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ❖ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ❖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ❖ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ❖ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَاكِدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ❖ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿سورة مريم الآيات/٢٩ - ٣٦﴾ .

لم يقبل قوم عيسى عليه السلام دعوته ورسالته كما كان يجب عليهم ، واعترف الآخرون بنبوته ، ولقب هؤلاء المعترفون بالمسيحيين وأتباع عيسى عليه السلام ، واشتهر لقبهم بالنصريين نسبةً إلى قرية عيسى : الناصرة ، إن بعض الغلاة في عيسى عليه السلام قد أفرطوا فيه فضلوا عن الطريق المستقيم ، واعتبروا عيسى عبد الله ورسوله أرفع من البشر ، وقالوا : هو ابن الله ، هذا القول كان بالغ الشناعة والإفك ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا

﴿كَذِبًا﴾ فَأَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ عِقَابًا مِنْ عِنْدِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :  
 ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۖ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۖ تَكَادُ  
 السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۖ أَنْ  
 دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۖ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۖ إِنْ  
 كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (سورة  
 مريم : الآيات/ ٨٨ - ٩٣) .

وذكر الله في موضع آخر حال الضالين : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ  
 يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ  
 دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ  
 إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي  
 نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (سورة المائدة الآية/ ١١٦) ، كان  
 عيسى عليه السلام يدعو الناس إلى الحق ، ويدعوهم إلى  
 الله ، ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ ، قال الله تعالى :  
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ  
 مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ  
 أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنَّا طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَائِفَةٌ  
 فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (سورة  
 الصف الآية/ ١٤) .

حينما لم يؤد بنو إسرائيل واجبات الله ورسوله نزع  
 النبوة منهم ، ونقلت إلى أسرة إسماعيل التي بعث فيها محمد  
 ﷺ نبياً ، فكانت نبوته مناب الأنبياء الماضين عليهم الصلاة  
 والسلام ، وشريعته جامعة الشرائع السابقة ، وأعلن بأن  
 يكون نبي بعده في هذه الفترة ، فكان ﷺ نبياً إلى الساعة ،  
 وأنزلت عليه أحكام وقوانين على أكمل وجه ، فوجب العمل

بدينه وقوانين كتابه ، ونزل عليه القرآن آخر الكتب السماوية ، الذي سجلت فيه وصايا الفوز والهداية .

بعث الله تعالى بعد ستة قرون من سيدنا عيسى عليه السلام خاتم الأنبياء محمد ﷺ ، وقد بشر بقدومه سيدنا عيسى عليه السلام ، وجاء ذكره في القرآن الكريم ، قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ النُّورَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (سورة الصف الآية/٦) .

بعث هذا النبي الأخير بصفاته العظيمة الجليلة وجاء بصورة أكمل وأشمل في تعاليم الأنبياء التي كانت مطبقة من قبل ، فواجهه عداءً شديداً ، قال الله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (سورة الصف الآية/٦) ولما جعل الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، وصار أتباع محمد ﷺ في عدد لا بأس به ، سمي الدين الذي جاء به الرسول ﷺ بالإسلام ، الذي أعلنه أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام ، قال الله عز وجل : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (سورة الحج الآية/٧٨) وقال : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (سورة آل عمران الآية/٨٥) .

## سيدنا محمد رسول الله ﷺ

### خصائص البعثة المحمدية :

بعث الله سيد الأولين والآخرين ، خاتم النبيين سيدنا محمد رسول الله ﷺ في هذا العهد الأخير ليدعو الناس إلى سبيل الهدى ، ويحثهم على العمل بأحكام الله تعالى ، وقد توقفت سلسلة إرسال الأنبياء والرسل التي كانت مستمرة لهداية الناس قبل بعثته ﷺ ، على سيدنا عيسى عليه السلام ، لأن قوم عيسى عليه السلام قد عاملوه معاملة جائرة فتوقفت من شؤمهم نعمة إرسال الأنبياء والمرسلين ، وما زالت متوقفة إلى ستة قرون ، وحرم الناس دعوة الأنبياء الذين كان يأتيهم الوحي الإلهي ، فيبلغونه إلى أقوامهم ، ويرشدونهم إلى الحق والصواب ، من الإساءة إليهم ، ثم كان فضل الله على الناس إذ بعث فيهم سيدنا محمداً ﷺ كآخر الرسل ، متصفاً بجميع خصائص الهداية ، وأتم سلسلة النبوة عليه ، وجعل نبوته في نهاية المطاف ، وقد كان هناك تعديل أو تغيير يسير في تعاليم الأنبياء الذين جاءوا من قبل ، نظراً إلى الظروف والملابسات الخاصة ، فأوقف الله هذا الأمر ، وجاءت الأحكام الدينية في الإسلام جامعة وكاملة ، هذه خصيصة لم يُعطَ أحد من الأنبياء قبله ﷺ ، قال الله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ﴾ (سورة المائدة الآية/٣) .

والخصيصة الثانية العظيمة التي أكرم بها سيدنا محمد رسول الله ﷺ أن السيرة المثالية والخلق النبيل والسلوك الطيب الذي تلقاه ﷺ من الوحي اعتبر نموذجاً ، وصار واجب الاتباع للناس إلى يوم القيامة كمنهج حياة حسن صالح ، بحيث لا يكمن الفلاح والنجاح إلا فيه ، فعلى الناس قاطبة أن يصوغوا حياتهم وفقاً لتعاليمها ، وبما كان قضاء الله تعالى أن تكون حياته أسوة خالدة وباقية للحياة الإنسانية فقد جعل الله تعالى منذ ولادته إلى وفاته في كل مرحلة من مراحل حياته مواقف تظهر منها أمام الناس أسوة الإنسان المثالي ، ويكون ﷺ أكمل وأصلح وأرفع إنسان ، ويكون عمله نموذجاً في كل مرحلة من مراحل الحياة الإنسانية ، وكان الوحي الإلهي يعلمه ويربيه بعد نبوته باستمرار ، وبما أن لوح قلبه وطبيعته كان صافياً ، ولم يكن عليه أثر القراءة والتعليم فرسم عليه الوحي الإلهي رسماً واضحاً .

**التربية الإلهية :**

هناك أمثلة في القرآن والحديث ، تبين أن الوحي الإلهي كيف يربيه ويؤدبه ﷺ ، فمثلاً مرة كان النبي ﷺ مشغولاً مع صناديد قريش يدعوهم إلى الإسلام ، وكان يطمع في إسلامهم رجاء أن يسلم أتباعهم ، فبينما رسول الله ﷺ مشغول بمن عنده من سراة قريش إذ جاء إليه صحابي مؤمن مخلص أعمى ، فرأى من مصلحة الدعوة أن هؤلاء لم يتوجهوا إلى الدعوة وسمع كلمة الحق إلا بعد جهد جهيد ، فلا بد من العناية بهم ، فلم يلتفت ﷺ إلي الصحابي التفاتاً

ملحوظاً ، ففكره الله تعامل نبيه هذا أن هناك رجلاً مؤمناً منقطعاً إلى الله في جانب ، وفي جانب آخر رجلاً منحرفين عن الدين ، تائرين عليه ، فلا يناسب تفضيلهم على الرجل المؤمن الصالح ، فنزلت هذه الآيات : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ❖ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ❖ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْكِي ❖ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ❖ أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى ❖ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ❖ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكِي ❖ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ❖ وَهُوَ يَخْشَى ❖ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ❖ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ (سورة عبس الآيات/ ١ - ١١) .

كذلك نبه الله محمداً ﷺ في أسرى بدر ، بعد نجاحه في غزوتها ، ولم يؤيد رأيه الذي أبداه من فكرته ، وهناك مناسبات أخرى عديدة أمر فيها النبي ﷺ بالتعديل في رأيه ونال النبي ﷺ من بداية عمله التربوية الإلهية والتوجيه الرياني ، واعتبر أعلى نموذج للناس ، ويتجلى جانب تربية وتعليم النبي ﷺ من الله بصفة خاصة في سورة الضحى ، ذات مرة خطر بباله أن عناية الله عز وجل ربما ضعفت به ، فقال الله عز وجل : ﴿وَالضُّحَى ❖ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ❖ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ❖ وَلَا آخِرَةَ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ❖ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ❖ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ❖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ❖ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ❖ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ❖ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ❖ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (سورة الضحى الآيات/ ١ - ١١)

أخبر الله تعالى بإقسام الصباح والمساء في الآيات الأولى وهو يخاطب محمداً ﷺ : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ❖ وَلَا آخِرَةَ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ أي لم يتركك ربك ، ولم ييغضك ، والآخرة خير لك من الدنيا ، وسيمنحك الله نعماً

وآلاء تسرّك ، ألم تكن يتيماً في المجتمع ، فجعل لك أسباباً تقوي حياتك ، فيه إشارة إلى أن الله تعالى ألقى في قلوب الجد والعم شفقةً ومحبةً لولده بعد وفاة والديه ، فكان يشفقان عليهما مثل أولادهما .

أخبر في الآيات التي تليها ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ أي إنك كنت حيراناً في اختيار منهج الحياة ، فهداك إلى الصراط المستقيم ، فيه إشارة إلى أن النبي ﷺ كان كارهاً مجتنباً كل نوع من التقاليد الجاهلية فجعل الله تعالى له بيئة وأعطاه فطرة كانت منعزلة عن الموروثات الجاهلية ، وذات حيطة فيها ، فكان ﷺ بعيداً كل البعد من سيئات هذا المجتمع ، وحذراً منها ، ولما بلغ سن الرشد جعل يقضي أوقاته في غار خارج مدينته ، وحيداً فريداً ، ويتفكر في نعم الله وينعزل عن المجتمع .

وقال في الآية الثالثة ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ كنت عائلاً فأغناك ، فيه إشارة إلى أن النبي ﷺ لما بلغ سن الرشد أرشده الله إلى العناية بالاقتصاد والمعيشة ، فصار غنياً باختيار وسائل مناسبة لها .

وقال في الآية الرابعة : ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ أي إياك أن تشدد على اليتيم وتعامل معاملة القسوة مع السائل ، واذكر أمام الناس ما أنعم الله به عليك من النبوة والتوفيق الخالص .

#### حِكم التربية الإلهية :

قد قضى الله تعالى أن يحملّ آخر أنبيائه محمداً (ﷺ)



من المسئوليات التي لا يطيقها عامة الناس ، فاجتاز من بداية عمره بمراحل صعبة وشديدة في حياته ، كانت ممهدة لمهمته ورسالته وتجرع المرائر في الإنسان ، لأن المصائب تفتق القرائح ، وتجلي عن المواهب المكنونة ، فواجه مشكلة اليتيم أولاً ، ولم يبلغ بعد ولادته سن الشعور والإدراك حتى توفي أبوه ، ولما بلغ السادسة من عمره توفيت أمه ، رغم أن زملاءه كان أبواهم أحياء ، ومعلوم أن هذه الحالة تكون أشد تأثيراً في قلب طفل صغير السن ، من أذى ذهني ، وهزيمة قلبية ، وبعد وفاة الوالدة كان الجد يشفق عليه ثم إنه انتقل إلى رحمة الله تعالى في عامه الثامن ، لا يمكن أن يتحمل طفل مثل هذا الحرمان عامة ، ويضل عن الصراط المستقيم بفقدان المشرفين الأصلاء عليه ، فلا تمثل حياته سلوكاً طيباً ، ولا يتحقق حلمه ، لكن استبدل الله عز وجل هذا الحرمان بالفضل الإلهي ، وتوفرت له الهمة الموهوبة أن قد نشأت فيه عواطف تحمل الأحوال الصعبة واختيار السبل حسب الحاجة والإرادة ، منح الله هذه الهمة محمداً ﷺ بصفة خاصة ، فكان النبي ﷺ يدرك مقتضيات الأوضاع والحوادث ويواجه تحديات الحياة بأحسن طريق ، ويعيش بين الناس عيشة سعيدة ذات سماحة ، ويقضى حياته طاهرة ، ولما شب قليلاً رعى الأصنام على أجرة طلباً للرزق ، ولما صار شاباً باشر مهنة التجارة التي كانت شائعة في أسرته . وكانت عند النبي ﷺ تسهيلات اقتصادية ، بحيث شعر بالضيق الاقتصادي لعمه أبي طالب ، لأنه كان له أولاد ، فاقترح أمام عمه العباس بن عبد المطلب أن يتكفل هو ومحمد ﷺ بولدين له على الأقل ، ويوفرا لأبي طالب سهولة ويسراً ،

فقبل العباس هذا الرأي ، واختار هذا واحداً ، واختار محمد ﷺ آخر ، وكانت تبعة عقيل بن أبي طالب على العباس ، وتبعة علي بن أبي طالب على رسول الله ﷺ ، وظلا عندهما طول حياتهما .

وإن زواج أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها كان مبنياً على الحكمة الإلهية ، فهذه المرأة التي خطبها عدة أشرف مكة من ذوي أرحامها فاعتذرت إليهم قبلت خطبة سيدنا محمد ﷺ ، وكانت متقدمة في السن من النبي ﷺ بخمسة عشر عاماً ، ومن فراسته ﷺ أنه آثر زوجة صالحة قد أحكمتها التجارب على زوجة جميلة مماثلة لعمره ، كأن هذا الاختيار جزء من قدر الله تعالى لتكون هذه الزوجة معاوناً على عمله الدعوي العظيم الذي يبده ﷺ بعد خمسة عشر عاماً ، فتم هذا بتوفيق الله بطريق فطري قبل نزول الوحي ، ثم ابتدأت سلسلة التعليم والوحي الإلهي بعد إكمال الأربعين سنة من عمره .

ولا شك أن التوجيهات والوسائل الفطرية التي يتلقاها النبي ﷺ قبل نبوته من الله ، والوحي الإلهي بعد نبوته صارت بديلاً لتعليمه الدنيوي في أي مدرسة أو جامعة ، فكانت حياته وسيرته اصطبغت بصبغة الله بدلاً من الوسائل التعليمية الإنسانية ، وصارت حياته إيمانية خالصة ، ونموذجاً إنسانياً كاملاً ، واعتبرت أسوة وقدوة للمؤمنين كلهم إلى يوم القيامة ، قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (سورة الأحزاب الآية/ ٢١) .

### شخصية رسول ﷺ منارة النور العالمية :

نظراً إلى خصائص حياته الشاملة المثالية لزم أن لا نكتفي بالعمل بتعاليمه الدينية فحسب ، بل نتبع حياته الطاهرة بأقصى ما يمكن ، حتى تكون حياتنا مرآة صادقة لأسوته ﷺ ، إن حياة النبي ﷺ بمحاسنها الإنسانية والمثالية ما كانت أسوة لأهل الإيمان فحسب ، بل هي مصباح الدجى للناس كافة ، فقد جعل محمداً ﷺ مدراراً للخير ينتفع به الجاحدون لنبوته فضلاً عن المؤمنين ، وقد بُعث رحمة للعالمين ، كما صرح بذلك الله في كتابه العزيز : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الأنبياء الآية/١٠٧) .

بذلك كانت شخصية رسول الله ﷺ منارة النور العالمية الدائمة لهداية الإنسانية وفلاحها ، نلتقط منها في جانب ، الأحكام الإلهية التي أكرمنا الله بها بالوحي ، وفي جانب آخر نختار الصفات الموجودة في حياة النبي ﷺ الطيبة ، لتسير حياتنا على خطة الفلاح والصلاح المرسومة في سورة الفاتحة : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ، إن الإسلام دين عالمي ، جامع ، شامل لجميع جوانب الحياة الإنسانية ، ودين أبدي ، وبكونه أبدياً تكفل الله بصيانته ، لتستمر الاستفادة منه إلى يوم القيامة ، واختير لصيانة هذا الدين ذريعتان : القرآن وسنة رسول الله ﷺ ، القرآن كتاب إلهي ، نزل من فوق سبع سماوات ، يصدق شرائع الأنبياء الكرام السابقة ويقدم تعاليم واضحة وتوجيهات ربانية وفقاً للأجيال والأزمان الآتية إلى يوم القيامة ، وقد وعد الله بصيانته في كتابه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرُزُّنَا

الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ، ومعنى صيانته صيانة الدين والسيرة والأخلاق ، وإن حياة النبي ﷺ الطاهرة صورة صادقة للقرآن ، مرة سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن ، أي إن سيرته موافقة للقرآن ، وهذه السيرة نجدها في صورة الأسوة الحسنة ، وأمرنا الله تعالى باختيارها ، فكان علماء المسلمين وأصحاب المغازي والسير ما زالوا يؤلفون كتب السيرة لتوجيه الناس إلى الصراط المستقيم ، وإنهم رووا من الصحابة الكرام الذين ما كانوا كعامه الرجال ، بل هم أصحاب الصدق والوفاء والأمانة والدين ، الممدون بأنفسهم على رسول الله ﷺ ، المؤمنون بالله ورسوله وكتابه إيماناً صادقاً ، وقد صدق القرآن بصلاحتهم وتقواهم ، ورد في آخر آية من سورة الفتح : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (سورة الفتح الآية/٢٩) .

#### جامعية السيرة النبوية :

إن تدوين السيرة النبوية ليس وراءه إلا أن تبقى وتدوم الاستفادة من الأسوة الحسنة ، وإن ما ألف من كتب حول السيرة ما بين مفصل ومختصر ، وبعض المؤلفات لم يكشف

فيه إلا جانب واحد ، فتكونت مكتبة عظيمة قيمة عن السيرة ، وهي تبرز جوانب متنوعة لسيرة النبي ﷺ وتكشف جامعية وشمولية هذه السيرة المثالية الرفيعة .

يتحدث العلامة السيد سليمان الندوي (المتوفى ١٩٥٣م) عن جامعية السيرة المحمدية وأبديتها وكمالها وشمولها في محاضراته: "ولن تجد الجمع بين هاتين الخصلتين المختلفتين (الجلال والجمال) جمعاً قوياً عزيز الوجود إلا في حياة محمد ﷺ ، فإنه هو الذي مثلت حياته أعمالاً كثيرة متنوعة ، بحيث تكون فيها الأسوة الصالحة ، والمنهج الأعلى للحياة الإنسانية في جميع أطوارها ؛ لأنها جمعت بين الأخلاق العالية ، والعادات الحسنة ، والعواطف النبيلة المعتدلة ، والنوازع العظيمة القويمة. إذا كنت غنياً مثرياً ؛ فاقتد بالرسول ﷺ عند ما كان تاجراً يسير بسلعة بين الحجاز والشام ، وحين ملك خزائن البحرين ، وإن كنت فقيراً معدماً ؛ فلتكن لك أسوة به وهو محصور في شعب أبي طالب ، وحين قدم إلى المدينة مهاجراً إليها من وطنه ، وهو لا يحمل من حطام الدنيا شيئاً ، وإن كنت ملكاً ؛ فاقتد بسننه وأعماله حين ملك أمر العرب ، وغلب على آفاقهم ، ودان لطاعته عظمائهم ، وذوو أحلامهم ، وإن كنت رعيةً ضعيفاً ؛ فلك في رسول الله أسوة حسنة أيام كان محكوماً بمكة في نظام المشركين ، وإن كنت فاتحاً غالباً ؛ فلك من حياته نصب أيام ظفروه بعدوه في بدر ، وحين ، ومكة ، وإن كنت منهزماً - لا قدر الله ذلك - فاعتبر به في يوم أحد وهو بين أصحابه في صفة المسجد ، وإن كنت واعظاً ناصحاً ومرشداً أميناً ؛ فاستمع إليه وهو يعظ الناس على

أعواد المسجد النبوي ، وإن أردت أن تقيم الحق ، وتصدع بالمعروف ، وأنت لا ناصر لك ، ولا معين ؛ فانظر إليه وهو ضعيف بمكة ، لا ناصر ينصره ، ولا معين يعينه ، ومع ذلك فهو يدعو إلى الحق ، ويعلن به ، وإن هزمت عدوك وخضدت شوكته ، وقهرت عناده ، فظهر الحق على يدك ، وزهق الباطل ، واستتب لك الأمر ؛ فانظر إلى النبي ﷺ يوم دخل مكة ، وفتحها ، وإن أردت أن تصلح أمورك ، وتقوم على ضياعك ؛ فانظر إليه ﷺ وقد ملك ضياع بني النضير ، وخيبر ، وفدك ، كيف دبّر أمورها ، وأصلح شؤونها ، وفوضها إلى من أحسن القيام عليها ، وإن كنت يتيماً ؛ فانظر إلى فلذة كبد آمنة وزوجها عبد الله وقد توفيا وابنهما صغير رضيع ، وإن كنت صغير السن ، فانظر إلى ذلك الوليد العظيم حين أرضعته مرضعته الحنون حليلة السعدية ، وإن كنت شاباً ؛ فاقراً سير راعي مكة ، وإن كنت تاجراً مسافراً بالبضائع ؛ فلاحظ شؤون سيد القافلة التي قصدت بصرى ، وإن كنت قاضياً ، أو حكماً ؛ فانظر إلى الحكم الذي قصد الكعبة قبل بزوغ الشمس ليضع الحجر الأسود في محله ، وقد كاد رؤساء مكة يقتتلون ، ثم ارجع البصر إليه مرة أخرى ، وهو في فناء مسجد المدينة يقضي بين الناس بالعدل ، يستوي عنده منهم الفقير المعدم ، والغني المثري ، وإن كنت زوجاً ؛ فاقراً السيرة الطاهرة ، والحياة النزيهة لزوج خديجة ، وعائشة ، وإن كنت أباً أولاد ؛ فتعلم ما كان عليه والد فاطمة الزهراء ، وجد الحسن والحسين ، وأيا من كنت ، وفي أي شأن كان شأنك ، فإنك مهما أصبحت ، أو أمسيت ، وعلى

أي حال بت ، أو أضحيت ؛ فلك في حياة محمد ﷺ هداية حسنة وقدوة صالحة تضيء لك بنورها دياجي الحياة وينجلي لك بضوئها ظلام العيش ، فتصلح ما اضطرب من أمورك ، وتثقف بهديه أودك ، وتقوم بسنته عوجك ، وإن السيرة الطيبة الجامعة لشتى الأمور هي ملاك الأخلاق ، وجماع التعاليم لشعوب الأرض ، وللناس كافة في أطوار الحياة كلها ، وأحوال الناس على اختلافها ، وتنوعها ، فالسيرة المحمدية نور للمستشير ، وهديتها نبراس للمستهدي ، وإرشادها ملجأ لكل مسترشد<sup>١</sup>.

جُعِلَ محمد ﷺ نبياً ، ثم إمام الأنبياء وخاتمهم في قوم أميين ، تبدو منه حكمة عظيمة أيضاً أن كل رجل يحمل معلومات من بدايته ، وهذه المعلومات تكون مبنية على رؤيته وعلى أقوال سائرة في بيئته ، ثم يتعلم ، فتكون لديه ثروة قيمة من المعلومات ، وقد حصل عليها من معلمه أو مدرسته ، وهي تكون معاونة له في شئون حياته وأمورها الأخرى ، ويكون حياة جديدة ، ومنهجاً ونظاماً ، جعل الله محمداً ﷺ أمياً ، ثم علمه بالوحي ودرسه في مدرسته بكلامه ، فلم يكن متعلماً حسب النظام العام في الدنيا ، بل كان متأدباً في أعلى مدرسة إلهية ، حيث تعرّف على حقائق ومواهب لم ينلها أحد ، فقد اختيرت هذه الطريقة لإبلاغ الأحكام الإلهية والتعاليم التربوية إلى الناس ، فجعل الناس يتلقون كلاماً

<sup>١</sup> الرسالة المحمدية للعلامة السيد سليمان الندوي ص/١١٧ - ١١٨ بتعريب الشيخ محمد ناظم الندوي .

أنزل عليه من الله خالق الكون ، قال الله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (سورة الجمعة الآية/٢) وقال : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة الحشر الآية/٧) وقال : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (سورة الأحزاب الآية/٢١) وقال : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ❖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (سورة النجم الآيتان/٣ - ٤) .

فما كان النبي ﷺ ناشر ومبلغ القرآن الكريم فقط ، بل ترجمانا صادقا لرضوان الله ، وإن القرآن الذي هو كلام الله ، والحديث النبوي الذي هو كلام الرسول ﷺ كلاهما جزءان من الوحي المنزل على محمد ﷺ ، ووسيلتان لهداية الناس ، فكما كان القرآن رحمة للناس كذلك جعل النبي ﷺ رحمة للإنسانية ، ولقب برحمة للعالمين من عند الله ، قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة سبأ الآية/٢٨) .

وجعل النبي ﷺ أستاذاً ومربياً للأجيال الإنسانية ، ومبلغاً للعلم الرياني ، قال الله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (سورة التوبة الآية/٣٣) وقال : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ❖ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (سورة الأحزاب الآيتان/٤٥ - ٤٦) .



## منهج التعليم والتربية في القرآن لآخر نبي وأمته

قد واجه رسول الله ﷺ في حياته قبل نبوة محمد ﷺ أوضاعاً جعلته أهلاً لتحمل المسؤولية الصعبة للنبوة ، وأدائها على أحسن وجه ، فنشأت عنده مواهب للقيام الحسن بهذه المسؤولية الضخمة ، إذا ألقينا نظرة على حياة النبي ﷺ قبل النبوة تجلى لنا أن الله تعالى قدر له ظروفًا مستتبة في تكوين شخصيته ، واجه اليتيم بهزيمة القلب واليأس ومركب النقص، إما بحرمان شفقة ونصح الوالدين أو عدم مبالاة الناس به بسبب اليتيم ، وهذه الحالة تؤثر في أخلاق وسلوكيات اليتيم تأثيراً كبيراً ، وإذا قدر لهذا اليتيم ناصح ومشرف مثل الوالدين تبدلت هزيمة القلب واليأس بالثقة بالنفس والصبر والمصابرة ، لقد توافرت للنبي ﷺ مثل هذه الحالة ثم ساعده على اتصافه بالمثل العليا ونشأة الثقة بالنفس فيه انتماؤه إلى قريش ولا سيما في فرع بني هاشم ، فقال ﷺ أعلى درجة لحسن الظن والتقدير والتبجيل في المجتمع ، وجعل الناس يلقبونه بالصادق الأمين ، بعد ما رأوا سلوكه الرفيع وخلقه النبيل، والمراد بالصادق الذي يوافق قوله عمله ، ويقوم بأمره بطريقة حسنة، هذا هو معنى الصدق ، فلقب ﷺ بالصادق ، وهو لا يعني إلا أن يطابق قوله عمله في حياته

ويقوم به بأحسن أسلوب ، والمراد بالأمين أداء الحقوق والمسئوليات أداءً صحيحاً ، ولقبة الناس آميناً لأنهم رأوا هذه الخصيصة بصفة ممتازة ، ما كان التعليم والتعلم سائداً في مجتمعه حسب التقاليد العامة ، فكان تأثير ذلك أن فطرته وتكوين ذهنه لم يتأثر بتأثيرات الأساتذة ومناهج الدرس ، التي تكون حاملة لموادها وأفكار وميول المعلمين ، فبفقدانهما كان تكوين شخصيته تحت دائرة فطرية وقيم أسرية رفيعة ، فلم تأت فرصة للتأثير بأفكار الأساتذة أو بالنظام التعليمي والتربوي الذي اختاره الناس ، فترى النبي ﷺ خلقياً وعقدياً تحت حالات جيدة بسيطة معينة من الله تعالى ، كما ورد في سورة "الضحى" .

كان مجتمعه نظراً إلى الفطرة الإنسانية ترجماناً لصورته الأصيلة ، وكان مجتمع عرب أميين ، لم يتأثر بمنهج تعليم أو ثقافة ، لأنه لم يعم فيهم التعليم ، وكانوا منقطعين عن العالم الخارجي ، وقد قصرتهم الحياة الأسرية في قرى محدودة وكان لقريش مكة مجتمع خاص وممتاز بين العرب ، وكان معترفاً به لدى العرب ، وقد توافرت لهذا المجتمع أسباب جعلته مجتمعاً صالحاً لأنه كان سادن الكعبة المقدسة ، ففضى رسول الله ﷺ أربعين سنة بصلاحة وطهارة خلقه ، ثم اختير للنبوة ، وكان توجيهه وتربيته بالوحي الإلهي ، فاكتملت شخصيته لأداء مسؤوليات نبوته بأحسن طريق ، وتأثيره على بيئته ، ولا يزال يفيض الله عليه بالإرشادات والتوجيهات حسب الحاجة في مشاكل هذا السبيل ، وكلما حزبه أمر أو أصابه همّ في أحواله المختلفة

أوحى إليه ، فيسكن فؤاده ويطمئن قلبه .  
 لما آذاه أبو لهب أحد أعمامه ﷺ برفض دعوته وأقام  
 جبهة ضد الدعوة الإسلامية ، واستعمل لذلك كلمة مؤذية  
 ومهينة وقال: تبا لك ، فأخبر في الآيات التي نزلت عليه لتقويه  
 فؤاده : هلاك وويل لأبي لهب ، ولزوجته التي تشتغل بعمل  
 وضيع ، وإنهما سيصابان بعذاب شديد في الآخرة بعد هذه  
 الحياة الفانية ، أي إنه يظلم نفسه ، ويهلك ، فليس لك أن  
 تتفكر فيه ، قال الله عز وجل: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ❖ مَا  
 أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ❖ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ❖ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ  
 الْحَطَبِ ❖ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ (سورة المسد الآيات/ ١ - ٥) .

ولما طعن في نفسه ﷺ أنه ليس له ولد ذكر ، رغم أن  
 الولد الذكر كانت له أهمية كبيرة لدى العرب ، وكانت  
 تجري فيهم الحروب فإذا كان في الأسرة أولاد ذكور كان  
 الفتح قريباً ، وحينما طعن المشركون في نفسه فخفف الله  
 تعالى حزنه بالوحي الإلهي أننا قدرنا لك الكوثر النعمة  
 العظمى ، فعليك أن تصلي لله تعالى وتحر على اسمه ، إن  
 شأنك لا يبقى ولا يدوم ، ولا شك أن الذريات والأسر بالأولاد  
 الذكور تستمر ، لكن سلسلتك تمتد بدون الولد الذكر  
 بدرجة فائقة ، وتنتهي سلسلة شأنك ولا تدوم ، قال الله  
 تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ❖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ❖ إِنَّ  
 شَأْنَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ (سورة الكوثر الآيات/ ١ - ٣) .

هذه أمثلة لبعض السور الوجيزة ، وإن هناك سوراً  
 كبيرة أيضاً نزلت على النبي ﷺ لتسليته ﷺ ، فعلى سبيل  
 المثال أن سورة القصص ذكرت فيها قصة موسى عليه

السلام، وقد حدثت له أحوال في طفولته وأيام صباه كاد موسى يقتل ، لكن الله عز وجل نجاه فنشأ وترعرع لدى أعدائه وأجانبه وجعلهم الله تعالى ذريعة لصيانتة عليه السلام من القتل ، وصانه الله تعالى ، ثم اضطر إلى أن يهاجر ، فنصره الله هناك ، وجعله نبياً ، وبعد نبوته قابل الملك الذي كان عدواً له شديداً ، لكن الله تعالى ما زال ينجيه ، وفي الأخير دمر الله أعداءه ، هذه الأحوال تشبه الأحوال التي حدثت في زمن النبي ﷺ ، الواقع أن همومه ﷺ تكون خفيفة بل زائلة بتلاوة هذه القصة .

نزلت سورة يوسف تحقيقاً لهذا الهدف ، وقد أصر إخوانه على قتله في صباه ، لكن الله نجاه منهم ، ثم اجتاز يوسف عليه السلام أحوالاً صعبة مهينة عند الآخرين ، لكن الله وقاه هذه المخاطر ، وخلق أسباباً لتشريفه وتكريمه ، ونال شرفاً صار به نائب الملك ، ثم أكرم بالنبوة ، وهو شرف ثنائي مزدوج ، فأبدى انطباعاته على أن من يعيش بالحذر والحيلة ويتحمل المصائب بصبر وطمأنينة ، لا يضيع الله أجر هؤلاء المحسنين ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (سورة يوسف الآية/٩٠) .

إن أمثال هذه الآيات التي نزلت في مواقفه الحرجة لتقوية فؤاده تحدث كيفيات نفسية واجتماعية في صورة غلبته على الأعداء ، ثم كان الوحي ينزل ، فيرشده إلى الصدق والصواب ، ويتربى أصحابه ورفاقه ، فكان القرآن وسيرة الرسول ﷺ مرآة بعضها بعضاً ، ويشير إلى ذلك قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : كان خلقه القرآن .

بهذا الأسلوب من التوجيهات الربانية قام مجتمع رفيع لا يوجد نظيره في التاريخ الإنساني ، وكان هذا المجتمع للصحابة رضي الله عنهم الذين كانوا لا يجدون مثيلاً له نظراً إلى حب وعظمة النبي ﷺ ، ويعتبرون عمله أسوة ونموذجاً لهم ، فاصطبغوا بهذه الصبغة التي أفاض الله على نبيه ، فلم يكن الوحي الإلهي قد ربي النبي ﷺ فقط ، بل قام بتربية أصحابه أجمعين ، وقد ذكر الله أمثله في مواضع متعددة في القرآن الكريم : قال الله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (سورة الأنفال الآيات/ ٧٢ - ٧٥) .



## الباب الخامس

### القرآن الكريم

#### آخر كتاب للهداية الربانية

إن العلم الذي وُهب للاستقامة على الصراط المستقيم مصدره الوحي المتلو أي الكلام الرباني الذي جاء في سورة القرآن، ولمزيد من الإيضاح والبيان مُنح الوحي غير المتلو وهو الحديث النبوي الشريف ونزل القرآن الكريم بطريق معجز جامع وفي أسلوب فريد منوع ، يليق بجلال الله وعظمته ، فجمع فيه جميع جوانب الحياة بأحسن وجه ، وذكرت فيه فكرة جامعة للدين ، واعتقاد الله عز وجل إلهاً ، وسيدنا محمد رسول الله ﷺ آخر نبي ، وشروط عبادة رب العالمين ، والإيمان بالله والإيمان بالآخرة والإيمان بالرسول والأنبياء والملائكة والكتب السماوية والإيمان بالغيب والجنة والنار ، وحقيقة الروح ، ومعرفة الحق والباطل ، والجن والشياطين ، والعقيدة والعمل ، والدعوة إلى الحق ، والقتال ، والقضايا الاجتماعية ، وتزكية الأخلاق ، والأحكام القضائية للشئون المالية ، والأمور السياسية ، والزراعة والتجارة ، وقصص مؤثرة ومفيدة للأمم الماضية ، واستعراض للديانات الأخرى ، أضف إلى ذلك أن الله تعالى قد وعد بحفظ القرآن كآخر الكتب السماوية المنزلة ، وأكمل الصحف لمعرفة الخصائص

الإنسانية إلى يوم القيامة ، وهياً له وسائله وأسبابه ، وجعل منهجه سهلاً وجديراً بالعمل ، يستمر به حفظه بكل أمانة ، ذاك أن تلاوته وقراءته جعلت عبادةً ، فلزم أن تقرأ آياته في الصلوات كلها ، ولا تقبل صلاة بدونها ، ثم خُصَّ أجر جزيل بتلاوته ، يعتبر كل مسلم صادق قراءته وتلاوته مفيدة ولازمة نيلاً لأجره ، ويعنى بحفظه تحقيقاً لهذه الحاجة ، فيحفظه آلاف من الناس ، فلا تحفظ كلماته ومفرداته فحسب ، بل كل حرف من حروفه ، لأن رجلاً إذا أخطأ في قراءته وتلاوته آخذه مئات من الناس وصححوه .

على كل ، فإن هذا الكتاب الأخير ، المنزل من الله الذي هو مصدر الأحكام الإلهية والهداية الربانية يحمل توجيهات لجميع جوانب الحياة الإنسانية ، وقد ذكرت فيه الأمور اللازمة لها ، فأخبر الإنسان بكل ما يحتاج إليه ، وورد ذكر عدة أمم على سبيل المثال ، ضلت سواء السبيل ، فأرسل الله الأنبياء والرسل لهدايتهم ، وحذروا من العواقب التي أصيبت بها الأمم الماضية ، فقال ضمن العذاب الذي أصيبوا به في الحياة الدنيا : ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ (سورة الزمر الآية/٢٦) .

إن هذا الكتاب الأخير المنزل من الله جزء من كتاب علمه الشامل "أم الكتاب" ، وكان ثقيلاً على السماوات والأرض والجبال بنسبته إلى الله تعالى مباشرة ، لكن جعل قلب الإنسان صالحاً لقبوله ، هدايةً للناس ، وقد نزل القرآن وهو يحتوي على الجوانب التي لها علاقة بالحياة العملية للإنسان ، لأنه آخر الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء من

رب العالمين ، وورد فيه ذكر طغيان عديد من الأمم الماضية والتخويف من عواقبها على سبيل المثال ، بحيث يملك الإنسان خيار الهداية والتذكير أو الاستهانة بها معاً ، فإذا استفاد منها واعتبر وجد جزاء حسناً لها ، واستحق الجنة مقراً سماوياً ، وإذا لم يعرف قدرها ، كان مقره جهنم خالداً فيها .

**نزول القرآن وصيانتة :**

قال الله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ❖ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ (سورة الشعراء الآيات/ ١٩٣ - ١٩٤) .

فكان الملك جبرئيل عليه السلام يأتي بالوحي من الله تعالى إلى محمد ﷺ ، ويُسمعه ويردده ويملي عليه ، قالت أم سلمة رضي الله عنها : كان جبرئيل عليه السلام يملي الوحي على رسول الله ﷺ ، ثم رتبت السور والآيات المكتوبة بغاية من الدقة والحذر وفق الوحي المنزل ، في عهد خلافة أبي بكر الصديق في نسخة ، ثم أعدت نسخ عديدة وأرسلت إلى مناطق مختلفة في خلافة عهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، بكل حيطة وحذر ، فانتشرت وعمت هذه النسخ بطريقة كاملة وبنظام موثق في المناطق ، وجعل الله لحفظها إلى يوم القيامة نظاماً فطرياً يحفظ به آلاف من الناس ، وهم منتشرون في جميع أنحاء العالم ، فلا يرى أدنى خلاف في قراءتهم وحفظهم .

**أسماء مختلفة للقرآن :**

إن المفسر المشهور والمؤرخ الكبير والكاتب النابغ أبا الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الذي يُعرف



بالإمام السيوطي ، والذي بلغت تصانيفه ٥٦١/ مؤلفاً ، ذكر في كتابه القيم : الإتيان في علوم القرآن ج ١/ ٥ ، خمسة وخمسين اسماً للقرآن الكريم ، فمن مزاياه الأساسية أن أصلها يوجد في سور القرآن ، نذكر هنا عدة أسماء :

الكتاب ، المبين ، الكلام ، الفرقان ، القرآن ، الكريم ، النور ، التنزيل ، الموعظة ، الحكمة ، الهدى ، الخير ، البيان ، النعمة ، الروح ، الرحمن ، المبارك ، المصدق ، الحبل ، الصراط المستقيم ، الوحي العربي ، الحق ، العلم ، الهادي ، العجب ، العروة الوثقى ، الصحف ، المكرم<sup>١</sup>.

هذه الأسماء كلها تدل على الصفات والخصائص التي توجد في الكلام الإلهي ، واستعملت في القرآن منسوبةً إليها ، وذكر في الإتيان ٤٥ اسماً للقرآن مزيداً أيضاً غير هذه الأسماء ، لكن اسم القرآن معروف ، ومتداول كثيراً في الأمة الإسلامية لغةً ومعنى ، وهذه الكلمة ليست صفة فحسب ، بل ذكرها الله تعالى في كتابه ، وهي محبوبة لديه ، وقد استعملت هذه الكلمة في مواضع متعددة من كلامه الإلهي لمجموعة من الأسرار والدقائق ، وورد ذكر القرآن عدة مرات في الكلام الإلهي : مثلاً قال الله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ (سورة البقرة

<sup>١</sup> قال السيوطي : قال أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك المعروف بشيدلة في كتاب البرهان : اعلم أن الله سمى القرآن بخمسة وخمسين اسماً ، (النوع السابع عشر في معرفة أسمائه وأسماء سورته . الإتيان ج ١ / ١٤٣ - ١٤٦) .

الآية/١٨٥) وقال : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ (سورة يونس الآية/٦١) وقال : ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ (سورة بني إسرائيل الآية/١٠٦) وقال : ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ (سورة طه الآية/١١٤) وقال : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ (سورة الفرقان الآية/٣٢) وقال : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْ مَعَادٍ﴾ (سورة القصص الآية/٨٥) وقال : ﴿طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ❖ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة النمل الآيتان/١ - ٢) وقال : ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ (سورة الروم الآية/٨٥) .

**الوحي الإلهي ونزوله :**

الإنسان يحتاج إلى العلم في هذه الدنيا ، فقد خلق الله له ثلاثة أشياء يعرف بها الأمور اللازمة لحياته ، إحداها : الحواس الخمس للإنسان (العين ، الأنف ، الفم ، اليد ، الرجل) وثانيها : العقل ، وثالثها : الوحي .

إن الوسيلتين الأوليين يكثر استعمالهما عامة ، وعم لهما رواج ، ويعتبرها أهل الدنيا من الأمور الكافية ، ولا شك أن تأثيرهما وإن كان كثيراً ، لكن إلى حد ، لا تبلغان إلى ماوراءهما ، والذريعة الثالثة : الوحي ، فلا يعرف بالحواس ولا بالعقل ، يل يوحى إلى عبد اصطفاه الله تعالى لرسالته ، وهو يكون في صورتين : متلوة وغير متلوة ، فالوحي المتلوة ينزل في كلمات الله وحروفه الخالصة ، وسمي بالكتب

السماوية ، وبما أن حروفه منزلة من الله تعالى فتكون تلاوته مبعث أجر ، وقد أنزل هذا الوحي المتلو على الأنبياء والرسل في الأمم الماضية ، كالتوراة والإنجيل ، وآخر سلسلة له القرآن الكريم وهو يجمع بين أحكام الكتب السماوية الماضية والأحكام الجديدة ، أما الوحي الذي ينزل في صورة صحيفة وكلمات معينة وألهمت معانيه ومواده قلوب الأنبياء ، فسماه النبي ﷺ بالوحي غير المتلو (الحديث النبوي) ، وله نوعان أيضاً ، وقد بينه النبي ﷺ بالإشارة إليه أن الله سبحانه قال ، أو يقول ، ويعرف بالحديث القدسي وهو نوع خاص أعلى درجة للحديث الشريف ، فهذه الأحاديث ليست بكثيرة، وتراث الحديث الشريف غير ذلك ، الذي يفصل أحكام الشريعة ، والوحي المتلو تفسيرا للقرآن الكريم .

انتهت مدة نزول الوحي المتلو على سيد المرسلين محمد ﷺ ، فلا ينزل على أحد ، وليست الحاجة إليه ، بكونه خاتم النبيين لا نبي بعده .

#### كيفية مختلفة لنزول الوحي :

كان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ في صور مختلفة ، جاء في صحيح البخاري عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ : أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده عليّ ، فيفصم عني ، وقد وعيت عنه ما قال ، وأحياناً

يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني ، فأعي ما يقول <sup>١</sup> .  
 وحينما ينزل الوحي بهذه الصورة كان النبي ﷺ يشعر  
 بشدته ، وورد في آخر قطعة من حديث عائشة رضي الله عنها  
 قالت : ولقد رأيتُه ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد  
 فيفصم عنه ، وإن جبينه ليتفصد عرقاً ، وتارة تشتد هذه  
 الحالة حتى كادت الدابة تتأقل إلى الأرض بثقل الوحي ، هذا  
 هو الوزن السماوي المقدس العظيم للكلام الإلهي الذي يظهر  
 جلياً ، رغم أنه جعل صالحاً للقبول والتحمل ، وكان أثره أن  
 فخذ رسول الله ﷺ مرة كانت على فخذ زيد بن ثابت رضي  
 الله عنه ، فبدأ نزول الوحي فشعر زيد رضي الله عنه بثقل  
 شديد ، وأحس أن فخذه ﷺ ترض فخذه ، قال عمر بن  
 الخطاب رضي الله عنه : إذا نزل الوحي كان له (النبي ﷺ)  
 دوي كدوي النحل .

والصورة الثانية للوحي أن يتمثل له الملك رجلاً ، ويأتيه  
 في صورة بشر ، بوحي الله تعالى ، بهذه المناسبة يأتي جبريل  
 عليه السلام رسول الله ﷺ في صورة دحية الكلبي ، وفي  
 بعض الأحيان في صور أخرى .

والصورة الثالثة أن يرى جبريل عليه السلام في صورته  
 الأصلية ، لكن وقع هذا مرتين فقط ، كما ورد في الحديث  
 الصحيح <sup>٢</sup> .

<sup>١</sup> باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ رقم الحديث / ٢ .

<sup>٢</sup> مسروق بن الأجدع - رحمه الله - قال : «قلت لعائشة : يا أمتاه ، هل رأى  
 محمد ربّه ؟ فقال : لقد فف شعري مما قلت ، أين أنت من ثلاث ، من حدتكنهن  
 فقد كذب ، من حدتكن أن محمداً رأى ربّه فقد كذب ، ثم قرأت : { لا

والصورة الرابعة أن يكلمه الله بدون واسطة أو بواسطة ، ونال رسول الله ﷺ هذا الشرف العظيم في اليقظة مرة في المعراج ، غير أن الله تعالى كلمه في الرؤيا أيضاً مرة .  
والصورة الخامسة أن ينفث جبريل عليه السلام في روع محمد ﷺ بدون تمثله صورة ، وهي تعرف بنفث في الروع<sup>١</sup> .  
نزل القرآن في ليلة القدر من رمضان المبارك إلى السماء الدنيا ، ثم استمر نزوله في مجموعة آيات قصيرة أو قطع كبيرة آيتين أو أربع آيات أحياناً ، وركوعاً أو ركوعين أحياناً أخرى ، أو سورة حسب الحاجة والمناسبة ، على قلب رسول الله ﷺ ، وتم ذلك في ٢٣/عاماً أخيراً من عمره تدريجياً ، واختير أسلوب التدرج ليسهل له فهمه ويحفظه في قلبه ، ونظراً إلى حدوث التغيير في طبائع العرب وعاداتهم وأمزجتهم ووجهاً أنظارهم النفسية .

تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ، وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ { الأنعام : ١٠٣ }  
ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين ، وفي رواية قال : قلت : لعائشة : «فأين قوله : {ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى} [النجم : ٨ - ٩] قالت : ذلك جبريل عليه السلام ، كان يأتيه في صورة الرجل ، وإنه أتاه هذه المرة في صورته ، التي هي صورته ، فسد الأفق ، وفي أخرى : ألم يقل الله عز وجل : {ولقد رآه بالأفق المبين} [التكوير : ٢٣] ؟ {ولقد رآه نزلة أخرى} [النجم : ١٣] ؟ فقالت : أنا أول هذه الآية سأل عن ذلك رسول الله ﷺ - فقال : إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خُلِقَ عليها غير هاتين المرتين ، ورأيته مُنْبِطاً من السماء ، ساداً عِظْمُ خَلْقِهِ ما بين السماء إلى الأرض ، (جامع الأصول في أحاديث الرسول) .

<sup>١</sup> انظر للتفصيل : الإلتقان في علوم القرآن للسيوطي ، ومناهل العرفان للزرقاني ، والبرهان في علوم القرآن للزركشي .

القرآن محفوظ في اللوح المحفوظ عند الله عز وجل :  
 ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ (سورة البروج الآيات ٢١/ - ٢٢) لا يمكن أدنى تغيير فيه ، ثم نزل على رسول الله ﷺ بحفظ وصيانة بالغين تدريجياً .

قد بدأ قبل نزول القرآن إراءة الرؤى الصالحة ، وهي صورة تشبه الوحي الإلهي ، وبدأت سلسلتها حينما كان النبي ﷺ يتشوق إلى ذكر الله في الخلوة ، وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه (وهو التعبد) الليالي ذوات العدد ، ثم جاءه ملك من الله تعالى في الغار نفسه ، في بداية نبوته ، وأقرأ عدة آيات من القرآن ، فابتدأ نزول الوحي القرآني عليه .

كانت بداية نزول القرآن يوم الخميس ١٧/رمضان المبارك في عام ٤١/من مولد النبي ﷺ ، الموافق ٦١٠م ، بعد صلاة المغرب ، وكان النبي ﷺ مشغولاً في الذكر الإلهي في غار حراء بوادي العصب ، وكان الناس يسمونه في الزمن الجاهلي بجبل الحمراء ، واليوم بجبل النور ، وهو على بُعد ثلاثة أميال من الكعبة المقدسة بمكة ، ثم نزلت خمس آيات من القرآن فيه ، وهي أول آيات سورة العلق ، ثم انقطع الوحي عنه فترة ، فظل رسول الله ﷺ حزيناً ، ثم استمر نزول الوحي ، وظهر جبريل عليه السلام أمام رسول الله ﷺ في صورته التي إذا رآها أحد دهش وتحير ، ونزلت عدة آيات هذه المرة على رسول الله ﷺ ، وما زالت تنزل تدريجياً زمن إقامته بمكة ، وتختزن في ذاكرة رسول الله ﷺ تارة في سورة وجيزة ، أو في كاملة طويلة تارة أخرى ، وتصل إلى المسلمين الجدد ، سواء كانوا قريباً من النبي ﷺ أو بعيداً ، وكان

المسلمون يحفظون القرآن سماعاً من رسول الله ﷺ في أذهانهم، واستمر نزول الوحي على رسول الله ﷺ بعد هجرة المسلمين إلى المدينة المنورة ، فوفقاً للوحي الرياني كان رسول الله ﷺ يملئ سور القرآن بنسق وترتيب ، حتى نزل آخر وحي عليه بعرفة مساء يوم الجمعة في ٩/ذي الحجة عام ١٠/من الهجرة ، المصادف ٦٣٢ م ، هذا الوحي الأخير هو الآية الثالثة ، من سورة المائدة ، فكانت مدة نزول القرآن الكاملة ٢٢عاما وشهرين و ١٢/يوماً ، إن ترتيب القرآن يختلف ترتيب نزوله ، وهو يبتدئ من سورة الفاتحة إلى سورة الناس .

يشتمل القرآن من سورة الفاتحة إلى سورة الناس على ٣٠/جزءً ، وجمعت ١١٤/سورةً ، عدد آياته ٦٦٦٦ ، وعدد كلماته ٧٧٤٣٩ ، والعدد الضخم لحروف القرآن ٢٢٣٩٣٧ ، وفي القرآن ٥٥٨ ركوعاً ، وسبعة منازل .

#### أول وآخر ما نزل من القرآن :

أول ما نزل من القرآن خمس آيات ابتدائية ، ذكر فيها أن القراءة والتعليم منوطان باسم الله عز وجل ، ومثل هذا الأمر يحمل أهمية كبيرة لرجل أُمي ، وفيه إشارة خاصة بأن العلم كانت له أهمية خاصة عند بداية هذه الأمة ، أما انتماء العلم إلى الله عز وجل فمعناه أن حصول العلم باسم الله تعالى واجب ، وفي الآيات ذكر القلم أيضاً الذي هو ذريعة لنشر العلم ، وخلوده وتوسعة نطاق نفعه ، قال الله : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ . ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ . ﴿ اقرأ وربك الأكرم ﴾ . ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ . ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ .

(سورة العلق الآيات/١ - ٥) .

وآخر ما نزل هو ما قال الله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة الآية/٢٨١) .

هذه الآيات ترشد الإنسان إلى نهايته في الدنيا أنه يغادر هذه الدنيا ، فيحاسب في الآخرة على ما عمل ، ثم يجزى جزاء أعماله الصالحة والسيئة<sup>١</sup> .

#### السور المكية والمدنية :

مكث رسول الله ﷺ ١٣/عاماً بعد النبوة في مكة المكرمة ، ثم هاجر إلى المدينة المنورة بإذن ربه ، والمدينة تقع على بعد ٤٥٠ كم من مكة المكرمة ، فالسورة التي نزلت قبل الهجرة في العهد المكي تعرف بالسور المكية ، والسور التي نزلت بعد الهجرة في العهد المدني تعرف بالمدينة ، ومجموعها ١١٤/سورة ، فعدد السور المكية ٨٦ ، والمدنية ٢٨ ، إن السور والآيات المكية قصيرة ومختصرة ، والسور المدنية طويلة مفصلة<sup>٢</sup> .

إن السور المكية تشتمل عامة على التوحيد ، وإثبات الآخرة وتصوير أحوال الحشر والنشر وتسلية النبي ﷺ ، وعلى ذكر قصص الأمم الماضية ، ورد فيها ذكر الأحكام والقوانين قليلاً ، وبالعكس أن السور المدنية تتناول ذكر قوانين الاجتماع

<sup>١</sup> الإقتان في علوم القرآن ج/١ /٦٨ - ٨١ .

<sup>٢</sup> مناهل العرفان للزرقاني ١/١٧٦ .



وسياسة المدن، وأحكام القتال والحدود والفرائض .  
 إن أسلوب السور قوي محكم ، وتكثر فيها  
 الاستعارات والتشبيهات والتمثيلات ، والمفردات ، وإن أسلوب  
 السور المدنية بسيط معتدل .  
**المنازل :**

في القرآن سبعة منازل ، أولها من سورة الفاتحة إلى  
 سورة النساء ، وثانيها من سورة المائدة إلى سورة التوبة ،  
 وثالثها من سورة يونس إلى سورة النحل ، ورابعها من سورة  
 الإسراء إلى سورة الفرقان ، وخامسها من سورة الشعراء إلى  
 سورة يس ، وسادسها من سورة الصافات إلى الحجرات ،  
 وسابعها من ق والقرآن المجيد إلى سورة الناس ، وتكتب عند  
 كل حد كلمة "منزل" .

#### تقسيم السور والآيات وترتيبها :

إن الترتيب القائم في القرآن ليس ترتيب نزوله ، وكان  
 نزول القرآن وفقاً للأحوال والمناسبات المختلفة ثم رتب ترتيباً  
 خاصاً بالتلاوة ، وإن سورة العلق تقع في الترتيب في القرآن ٩٦  
 رقماً ، لكنها أول سورة نزولاً ، وإن سورة الفاتحة أول سور  
 القرآن بالترتيب ، لكنها السورة الخامسة نزولاً ، فالترتيب  
 القائم في القرآن باعتبار المعاني ، وهو بوحى من الله تعالى .  
 كلما نزلت سورة ، أو آية ، أشار جبرئيل عليه السلام  
 على رسول الله ﷺ بموضعها في الترتيب ، ويملي عليه ، ثم  
 يحفظها الصحابة رضي الله عنهم بهذا الترتيب ، إن تقسيم  
 السور وترتيبها وترتيب آياتها توقيفي ، أي منزل من الله

تعالى، لم يذكره النبي ﷺ من قبل ، فكما أمره الله تعالى أخبر به الناس ، حتى إن أسماء سور القرآن وعددها ، وبدايتها ونهايتها وعدد مجموع آياتها والوقف عليها محددة من الله تعالى ، وليس فيها دخل لمشيئة النبي ﷺ ورأيه وإرادته واختياره ، وقد قسم العلماء الماهرون القرآن إلى أجزاء وركوعات ومنازل ، ليسهل حفظه وتلاوته ، وتؤدي الصلاة وأركانها باعتدال وسكينة ، فلا تكتب هذه العلامات في المتن ، بل في الحواشي خارج المتن .

**كتابة القرآن :**

الميزة البارزة للقرآن التي لم يتصف بها كتاب إلهي آخر هي أن القرآن لا يزال يُتلى من أول يومه ، ويعلم ويدرس ويكتب ، ولم يحدث في حروفه وجمله أدنى شك وشبهة ، وابتدأت كتابته من اليوم الرابع لنزوله ، فإن خالد بن سعيد هو أول الصحابة السعداء ، الذي تشرف بكتابة الوحي بعد دخوله في الإسلام في العهد النبوي ، وقد عين رسول الله ﷺ ٤٥/صحابياً لكتابة الوحي ، وحنظلة بن الربيع كان يلزم النبي ﷺ كل وقت ، ليقيد الوحي الذي ينزل عليه فوراً ، وحينما يفرغ الكاتب من كتابته كان يستمع النبي ﷺ إلى ما كتب ودون ، وإذا صدق النبي ﷺ ببراءته من اختلاف القراءة ، وصحة النطق وسلامته من الخطأ ، أعلن لحفظه وكتابته إعلاناً عاماً ، ثم يحفظه الحفاظ ويكتبه الكاتبون، فكانت خطوات الصيانة الكتابية واللسانية لترتيب وجمع القرآن قد كملت بأمر من الله تعالى بواسطة

جبرئيل عليه السلام تحت إشراف رسول الله ﷺ مباشرة ، هذه حقيقة ناصعة جلية كالشمس في رابعة النهار ، اعترف بها غير المسلمين أيضاً ، قال سروليم ميور : هذا القول مدعم بالدلائل أن جميع القرآن متفرقاً أو النسخ المكتوبة للقرآن كله ، كانت عند الصحابة رضي الله عنهم في العهد النبوي، وقال الدكتور رادويل : كانت نسخ القرآن موجودة في عهد النبوة بصورة خطية .

### جمع وتدوين القرآن :

١- على كل ، فكان من المقرر من الأزل ومن أول الأمر في اللوح المحفوظ أساليب وكيفية نزول القرآن وآياته ومعانيه لمصالح دعوية ، وكيفية ترتيب آياته وسوره أي كانت وسائل تنزيل وجمع وصيانة القرآن معينة في علم الله عز وجل من قبل ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (سورة الفرقان الآية/٦) .

كيف لا ؟ لأن هذا الكتاب نزل من عند رب العالمين ، فإن كان نزوله من الله العليم الخبير لكان من اللازم أن تكون خطتا ترتيبه أي ترتيب نزوله وترتيب جمعه ثابتين في علم الله تعالى .

٢- ولما كان القرآن في اللوح المحفوظ الذي هو مهبط التجليات الربانية والإشراقات الإلهية ، كان عند ذلك هذان المنهجان للترتيب ، لأن فيه جميع التفاصيل عن تغييرات العالم ، وخص القرآن هذه الصورة بالذكر ، قال الله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ❖ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ (سورة البروج الآيتان/ ٢١ - ٢٢) .

اسم اللوح المحفوظ الثاني : الكتاب ، كم يحيط هذا السُّفْر بالعلوم والمعارف ، فسره القرآن الكريم : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (سورة الأنعام الآية/٣٨) .

وقد عبر ديوان الحقائق والمعلومات هذا في القرآن عن اسم "أم الكتاب" ، قال الله تعالى : ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْتِخِبُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (سورة الرعد الآية/٣٩) .

كان رسول الله ﷺ يعتني بإملاء القرآن فضلاً عن حفظه ، عن عثمان رضي الله عنه قال : كان دأب رسول الله ﷺ أنه كلما نزلت آية من القرآن يقول لكتاب الوحي : ضعوا آية كذا في موضع كذا ، ففي العهد النبوي قد حفظ عدد كبير من الصحابة القرآن وكتبوه ، تحقيقاً لصيانتهم وعدم تعرضه للضياع ، وكان عدد الحفاظ ما يقارب عشرة آلاف ، أما الصحابة رضي الله عنهم الذين كان القرآن عندهم محفوظاً في صورة مكتوبة فكما قال الحافظ بدر الدين العيني شارح صحيح البخاري باسم "عمدة القارئ" : عددهم لا يحصى .

قد اختير من الأشياء الثابتة الباقية القوية في العهد النبوي لكتابة الوحي : وهي الرقاع ، والجلد ، والليف ، واللخاف (صفائح الحجارة) ، والأكتاف ، وعظام الإبل ، والعسيب ، والكرانيف ، وقطع الأديم ، والجلد الرقيق ، والأقتاب ، وقطع كبيرة من أحمال الإبل ، لتكون هذه الكتابات مصونة إلى مدة طويلة من طوارئ الزمان ، وقد حفظ كثير من الصحابة القرآن بمرأى ومسمع من النبي ﷺ ، وكتبوه ، فصار محفوظاً في صدور الحفاظ مثل اللوح

المحفوظ ، لكن ما كان مجموعاً في مجلد واحد ، بل كان مبعثراً مكتوباً على أشياء مختلفة ، وكان عند عدد من الصحابة وفي أمانتهم .

استشهد سبع مائة من حفظة القرآن في معركة اليرموك ضد مسيلمة الكذاب ، في عهد خلافة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، اضطرب له قلب سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه شعوراً بحاجة الساعة ومقتضيات الوقت والأخطار المحدقة بالقرآن ، وأشار على سيدنا أبي بكر الصديق بجمع القرآن فوراً في صورة كتاب ، لأن القرآن ما زال باقياً حتى الآن في صدور حفاظ القرآن ، قبل أبو بكر رضي الله عنه اقتراح عمر رضي الله عنه شعوراً بفداحة الأمر وحاجة الوقت ، واستكتب النسخ الخاصة المسموعة مباشرة من النبي ﷺ بعد شهادات مؤيدة من أجزاء هذا القرآن المختلفة التي نزلت في اللهجات القرشية للغة العربية وقد نزل عليه ، بغاية من الإتقان والسعي المضني ، وسمي بالمصحف ، ثم أعدت نسخ جديدة نقلاً عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، وبما أن الصحابة كانوا من قبائل شتى ، وكانت لهجاتهم وطرق نطقهم مختلفة ، يتلون بها القرآن ، وكانت هذه اللهجات مسموعة باسم سبعة أحرف ، فكان من الممكن أن يلتبس الأمر بفقدان الوحدة في النسخ المختلفة ، بناءً على فروق لهجات القرآن ، عاجلاً أو آجلاً ، فتقدم سيدنا عثمان رضي الله عنه إلى التفكير في أن دوائر الإسلام قد توسعت في العهد العثماني ، ودخل الناس من بلدان شتى في الإسلام فيمكن أن تحدث خلافات غير مناسبة ، رغم أن اختلاف لهجات القرآن حق ، وطلب سيدنا عثمان من

أم المؤمنين السيدة حفصة أصل المصحف ، وخص عديداً من الصحابة زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن حارث ، رضي الله عنهم ، بإعداد نسخ منه فنشروا هذه النسخة الأساسية للقرآن ، في لهجة قريش وخط الكوفة ، هذه النسخة المضبوطة للقرآن كانت مطابقة لنسخة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وكانت موثوقاً بها من العهد النبوي ، فلم يكن هناك مندوحة لتسرب أي فرق واختلاف إلى القلوب والأذهان عن صحة القرآن الكريم ، ثم أرسلت نقولات لها إلى المراكز العلمية أمثال مكة المكرمة والمدينة المنورة والكوفة والشام ، والبصرة ، واليمن ومدين ، ليتلو الناس وفق اللهجة الأصيلة غير اللهجات المختلفة حذراً وحيطة ، وبعث مع كل مصحف قارئاً مطلعاً على اللهجة العربية الخالصة ، لئلا يبقى خلاف للقراءة البتة ، ووضع سيدنا عثمان رضي الله عنه مصحفاً من هذه المصاحف عنده ، يطلق عليه اسم المصحف العثماني<sup>١</sup> .

وعرف سيدنا عثمان رضي الله عنه بجامع القرآن بإنجاز هذا العمل المهم ، أي جامع الأمة الإسلامية على قراءة واحدة ، أما جمع القرآن فقط فقد كان في العهد النبوي غير مرتب ، وفي العهد الصديقي كان مرتباً .

استحسنت الأمة مآثرة سيدنا عثمان رضي الله عنه ، وأيدها جميع الصحابة رضي الله عنهم ، قال علي رضي الله عنه : لا تقولوا عن عثمان إلا الخير ، أقسم بالله ! أن ما قام

<sup>١</sup> الجامع الصحيح للإمام البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن

به في شأن المصحف كان بمشورتنا ورأينا .  
 إن نسخ القرآن الكريم كانت خالية من النقط والإعراب، فكان يصعب قراءتها للعجم ، فلما اتسعت دائرة الإسلام إلى البلدان العجمية كانت الحاجة إلى أن توضع النقط وتشكل كلمات القرآن ، لأن يتلو الرجال الذين ليسوا عرباً قحاً بسهولة ، فتمت الموافقة على خطوات لازمة .  
 يوجد من بين هذه المصاحف العثمانية القديمة مصحفان سالمين من كل نقص وعيب ، أحدهما في تاشقند ، وثانيها استانبول ، ولا يزالان موضع حيرة واستغراب لذوي البصر والبصيرة ، وآيتين من آيات قدرة الله ، إن النسخ الحالية للقرآن موافقة تماماً للمصحف العثماني ، فالقرآن موجود عندنا من دون تحريف أو تعديل ، أو نسخ ، أو نسبة زيادة ، وبدون فرق واختلاف ، بفضل الله وقدرته وكرمه في صورته الأصلية ، هذا دليل صيانة إلهية للقرآن وكونه كلاماً إلهياً ، لا يرد ، ويصدق الآن قول الله تعالى صحيحاً مائة في المائة بصورة عملية ، قال الله عز وجل : ﴿وَأَنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ❖ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ (سورة حم السجدة الآيتان/ ٤١ - ٤٢) وقال : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (سورة الحجر الآية/ ٩) وقال : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (سورة القيامة الآية/ ١٧) .<sup>١</sup>

<sup>١</sup> راجع لمزيد من التفصيل عن كتابة الوحي وجمع وتدوين القرآن : الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ، ومناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ، وتاريخ القرآن لمحمد طاهر الكردي ، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان ، وعلوم القرآن للدكتور صبحي صالح .

## الباب السادس

### فضائل القرآن الكريم

إن أهم ما يمتاز به القرآن الكريم أنه بريء عن كل شبهة ، وكتاب هداية وإرشاد ، ذكر الله هذه الحقيقة في القرآن بهذه الكلمات فقال : ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة البقرة الآية/٢) ، وأيُّ مزية أعظم من أن الله سمّاه موعظةً وشفاءً وهدى ورحمةً وفضلاً ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتُكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ❖ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (سورة يونس الآيات/ ٥٧ - ٥٨) .

ومن فضائله الجمّة أنه ذكر وموعظة للعالمين ، قال تعالى : ﴿إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (سورة ص الآية/٨٧) ، وهذا القرآن مفخرة وشرف للرسول ﷺ ولأمته ، قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ (سورة الزخرف الآية/٤٤) ، والفضيلة التي ينفرد بها القرآن أن مصدره علم الله عز وجل ، وهو حق ، ويهدي إلى الحق ، وإن جميع أخباره وأحكامه مبنية على الصدق والعدل، قال الله تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (سورة الزمر الآية/٢) وقد تكفل الله بحفظه وصيانتة ، فقال : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ❖ فَإِذَا قُرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ❖ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾



(سورة القيامة الآيات/١٧ - ١٩) والفضيلة البارزة بين فضائل القرآن أنه سهل من حيث المعاني والمفاهيم ، ويتسم لفظه وأسلوبه بالسهولة واليسر ، فلا صعوبة فيه للفهم والذكر ، ويوجد في الدنيا ملايين من الحفاظ والمفسرين ، هذا يدل على عظيم فضله وغاية كماله ، قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (سورة القمر الآيات / ١٧ - ٢٢ - ٢٣) .

ومما يتبين منه فضيلة القرآن الكريم أنه يوجه الناس إلى أرشد فكر وأحسن سلوك ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (سورة الإسراء الآية/٩) .

وقد اعتبر القرآن الاشتغال بوظائفه الثلاث أعظم عبادة : تلاوة القرآن ، وإقامة الصلاة ، والإنفاق في سبيل الله ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ (سورة فاطر الآية/٢٩) ، وقال رسول الله ﷺ : خيركم من تعلم القرآن وعلمه<sup>١</sup> .

### مكانة القرآن بين الكتب السماوية الأخرى :

كانت هناك كتب سماوية أيضاً قبل نزول القرآن ، لكن لم يبق كتاب سماوي على أصالته سوى القرآن الكريم، وقد حُرِّفَتْ ألفاظها ونصوصها ، فقد دونت التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام بعد وفاته ، وألحقت أبواب عديدة بها تتعلق بالتنبؤات قبل موسى عليه السلام وبعده ، ولا

<sup>١</sup> صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن رقم/٥٠٢٧ .

تزال الإضافات جاريةً ، ثم تعددت تراجمها التي كانت مختلفة عنها تماماً .

وكذلك الإنجيل دونه تلاميذ عيسى عليه السلام بعد رفعه إلى السماء ، ثم أضيفت إليه قصص حياة عيسى عليه السلام وأقواله ، فلم يبق الإنجيل على أصالته في كلمات الله عز وجل ، حتى لا يمكن أن يجزم القول عن أقوال سيدنا عيسى عليه السلام أنها ثابتة عن سيدنا عيسى عليه السلام ، فهناك تناقض شديد في الروايات ، ويوجد تفاوت ملحوظ في روايات الأناجيل الأربعة ، وكتابتها ، لكن لا يشعر اليهود والنصارى بأدنى حرج وتحريف فيها ، فلم يكن هناك فكرة لحفظ الكلام الإلهي لفظاً ومعنى قبل القرآن الكريم ، وهكذا دواليك في الكتب السماوية الأخرى .

إلا أن القرآن الكريم الذي نزل على سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ كان قد مُنِعَ ﷺ من أن يزيد حرفاً من عنده ، حتى لم يكن له خيار أن يبدل كلمة مكان كلمة ، إن الله تعالى يوحي كلامه إلى جبريل عليه السلام ، وهو يأتي به إلى محمد ﷺ ، ثم يقرأ ﷺ أمام الناس ، بالألفاظ والكلمات التي أخبره بها جبريل عليه السلام ، وقد كان النبي ﷺ مأموراً بأن لا يسرع في تلاوة القرآن الكريم ، بل عليه أن يستحضر الكلام الإلهي بألفاظه ومعانيه في ذهنه ثم يتلوه أمام الناس ، كان الهدف وراء ذلك أن يثبت الكلام الإلهي بمعانيه في قلبه وعقله مثلما تثبت ألفاظه فيهما .

كان القرآن الكريم يدون تدريجياً في حياته ﷺ كلما نزلت آياته ، وكان له كتاب يكتبونه ، ثم كان النبي ﷺ يعيد

تلاوة القرآن كاملاً مرة في السنة ، ويوحى إليه عن آيات كل سورة : أين موضعها من القرآن ، فلم يكن للنبي ﷺ أدنى تدخل في ترتيب الآيات وسورها ، فرتبها النبي ﷺ بوحي من الله عز وجل . هكذا عني بحفظ القرآن ، ودون القرآن بكل حيطة في مصحف ، وهو متداول لدى مسلمي العالم بأسره اليوم ، فليس فيه زيادة حرف ونقصه ، ولم يقع تعديل في ترتيب السور وآياتها ، وبقيت قدسيته وفضيلته كما كانت وقت نزول القرآن الكريم ، وتبقى بإذن الله تعالى إلى يوم القيامة .

**القرآن في ضوء شهادات الأعداء :**

أبدى المستر "كونت" انطباعات عن القرآن في الكلمات الآتية :  
 "دُهِشَ العقل الإنساني أن مثل هذا الكلام كيف نطق به لسان رجل كان أمياً ، اعترف الشرق بأجمعه بأن النوع البشري عجز عن تقديم مثيله لفظاً ومعنى من كل ناحية ، هذا هو الكلام الذي طمأنت أساليبه المعجزة قلب سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأمن بالله إيماناً صادقاً ، هذا هو الكلام الذي حينما تلا جعفر بن أبي طالب بعض آياته التي تتعلق بولادة سيدنا عيسى عليه السلام أمام النجاشي همعت عيناه ، وصرخ البطارقة بأعلى صوت أن هذا الكلام صدر من المصدر الذي كان منه كلام عيسى عليه السلام"<sup>١</sup>.

وجاء في الموسوعة البريطانية :

"إن معاني أجزاء القرآن المختلفة يتفاوت بعضها بعضاً ، فكثير من الآيات تشتمل على توجيهات دينية وخلقية ، وجاء

<sup>١</sup> شهادة الأقوام ص/١٤ .

فيها التذكير بعظمة الله تعالى ورأفته وفضله عن طريق مظاهر الكون وتاريخ إلهامات الأنبياء ، وذكر فيها أيضاً عن طريق محمد (ﷺ) أن الله هو الواحد الأحد ، وقادر على كل شيء ، وأن الوثنية وعبادة العباد حرام مطلقاً ، وصحيح ما يقال أن القرآن أكثر الكتب المعاصرة في الدنيا قراءة وتلاوة وفهماً ودراسة<sup>١</sup>.

وقال المؤرخ الشهير بانجلترا الدكتور غبن في تأليفه :  
 "وقد اعترف جميع سكان الأرض من بحر أطلنطا إلى نهر كنكا بالهند بأن القرآن روح البرلمان ، والقانون الأساسي ، فليس هو للدين فقط ، بل للأحكام التعزيرية والقوانين التي يتوقف عليها سير الحياة ، وحياة النوع البشري منوطة به ، وله علاقة قوية بترتيب ونسق الحياة الإنسانية ، الواقع أن شريعة محمد (ﷺ) تحتوي على جميع شعب الحياة ، وقد دونت بأسلوب قانوني وقاعدة حكيمة ، لا يوجد لها نظير في العالم كله"<sup>٢</sup>.

**القرآن مهيمن على الكتب السابقة ، وآخر سلسلة للوحي الإلهي**  
 ما موقف القرآن عن الكتب السابقة خاصة وعن الأنبياء والرسل الماضين عامة ؟

يمكن أن نذكره في ثلاث نقاط للإيضاح والتفصيل :  
 ١- لا يسلم القرآن بأن مسافات الأوقات والأزمان أو اختلافات الأمم المختلفة يمكن أن تبدل وجه الصدق والواقع ،

<sup>١</sup> الموسوعة البريطانية ج/١٦ ص/٥٩٩ .

<sup>٢</sup> الموسوعة البريطانية ج/٥ الباب الخامس .

فالصدق ظاهرة واحدة شاملة وغير منقسمة ، وهو جزء لا يتجزأ ، بل الأصح أن يقال : هذه ظاهرة مسلمة معترف بها ، وجديرة بالتقدير والتسليم .

وقد بعث الأنبياء والرسول لنشر هذه الظواهر الواقعية والحقائق العالمية الشاملة وتوسعة نطاقها في أمم مختلفة ، فيجب لكل مؤمن أن يؤمن بجميع الأنبياء والرسول الذين واصلوا سير نشر الصدق والعدل حيناً لآخر .

٢- وقد حوى القرآن في آياته جميع هذه الحقائق ، وصدقها

تصديقاً كاملاً ، فإنه أكد مراراً : أيها الناس : صدقوا بسلسلة الوحي والرسالة التي بدأت من آدم عليه السلام وانتهت على سيدنا محمد رسول الله ﷺ ، وآمنوا بجميع الأنبياء من غير تمييز وتفريق : قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالَّذِي نَزَّلَ مِن قَبْلُ﴾ (سورة النساء الآية/١٣٦) وقال : ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (سورة البقرة الآية/١٣٦) .

وقد سمي القرآن "ذكر الأنبياء الماضين والكشف عن الحقائق العالمية الغابرة في آياته" بالهيمنة ، وهو مهيمن ، وهو نكته ثانية أخرى في هذا الشأن ، قال الله تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (سورة المائدة الآية/٤٨) .

المهيمن من أسماء الله الحسنی أيضاً ، قال الله تعالى :

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ  
 الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾  
 (سورة الحشر الآية/٢٢) .

٣- ما معنى "المهيمن" أصلاً؟ الواقع أنه لا توجد كلمة  
 جامعة في الأردنية لكشف هذا المعنى .

تأملوا مدلولات كلمة "المهيمن" ينكشف لكم أن  
 القرآن كلما استعمل كلمة المهيمن عن التعاليم السابقة ،  
 كان معناها أنه لم يحتفظ فقط بروح التعاليم السابقة  
 وجوهرها من حيث كونه شاهداً وأميناً ، بل لاحظ وأشار  
 بصفة كونه مهيمناً إلى مواقع التحريف، ومواضع التغيير  
 والتبديل ومواطن الزيغ والانحراف؟ وكيف أخطأت أو زلت  
 الأمم الماضية في فهم الحقائق الدينية والعمل بها"١.

<sup>١</sup> مطالعة قرآن للشيخ محمد حنيف الندوي ص/٣١ - ٣٣ ، باللغة الأردنية .

## الكلام الرباني واللغة العربية

كل كلام ينطق به الإنسان يحمل ثلاثة جوانب ،  
 أولها أصل الفكرة التي يبلغها إلى المخاطبين ، ثانيها الصورة  
 اللفظية التي تحملها هذه الفكرة ، وثالثها أسلوب عرضها  
 وطريقة أدائها ، فمراعاة هذه الجوانب تجعل الكلام جميلاً ،  
 ويكون الكلام مؤثراً ، وتارة يكون هدف الكلام إخبار  
 المخاطب بحقيقة الأمر ، وتارة توجيه عقله وقلبه إلى وجهة  
 صحيحة ، أما إخبار المخاطب بحقيقة الأمر ، فهو في وسع  
 كل إنسان يملك رصيماً من اللغة ، لكن إذا كان توجيه  
 العقل والقلب إلى وجهة خاصة كان اختيار الكلمات المناسبة  
 لهذا الغرض وترتيبها لازماً ، وكلما راعى المتكلم هذه الأمور  
 بإتقان استطاع أن يقوم بأداء الكلام على أحسن وجه .

القرآن الكريم كلام رب العالمين وخالق الكون  
 والخلائق كلها ، فإن الله ليس هو خالقاً لها فقط ، بل هو  
 مبدع مواهبها أيضاً ، فكلامه لا يكتفي بالإخبار بشيء ،  
 بل يمكن في قلوب وعقول المخاطبين غاية خلقهم وكلمات  
 نافعة لهم ، وقد خلق الله مواهب فهم المخاطبين وكيفية  
 قلوبهم وعقولهم ، فمن يدرك نسبة فهمهم وإدراكهم وموهبة  
 قبولهم سوى الله تعالى ؟ وهو يعلم أن مواهب الناس كيف  
 يختلف بعضها عن بعض ، وما قيمة هذا الفرق ؟ وما مقتضيات

فوائدها ، من يعرفها سوى الله عز وجل ؟ فالكلام الذي ورد في القرآن كان مشتملاً على أحسن صورة بهذه الاعتبارات ، ما هي المعاني التي يفهمها عامة الناس ؟ وما هي المفاهيم التي يناسب عقول الأذكياء ؟ هذه الميزة جعلت القرآن معجزة خارقة ، ولا تزال تتكشف أمام العلماء والباحثين في أربعة عشر قرناً جوانب جديدة لميزة القرآن هذه ونجاحه في تحقيق الغايات ، والآن حينما قد انقضت أربعة عشر قرناً تتجلى مناح جديدة أخرى له .

إن لكل كلام باطناً ، فيختفي فيه الغرض الحقيقي للكلام ، الذي تُنتقى لبيانه الكلمات المؤدية لمعناه ، ويستعملها كل إنسان حسب مواهبه ، وإن قيمة الظاهر مثل اللباس ، ويكون الباطن داخلاً فيه ، ويُعرف الباطن بالظاهر، وإن باطن المخلوقات ولا سيما باطن الإنسان جعل متنوعاً ، وعميقاً ودقيقاً .

إن دقائق باطن الإنسان كثيرة ، يصعب أداؤها في صورة ظاهرة للعبارة من جهد إنساني ، وخاصة إبداء الأحاسيس ، التي يكمن فيها الكبر والغرور ، والتواضع وكسر النفس وعلو الهمة والثقة بالذات ، والتسرع والشعور بالاستعلاء ومركب النقص ، وقوة العمل وضعف الهمة ، والفخر ، والإعجاب بالنفس ، والرياء والتوكل ، والكراهة وطيب النفس وبعض حالات الهم والغم ، والغبطة والحسد والمحبة والبغض وتصوير الخيال والحب والمقت ، هذه هي كيفيات متنوعة ، لا يستطيع إنسان أن يبيدها كاملة وفق ذلك ، وإن أبدت هذه الكيفيات في العبارة بوضوح لا يمكن



أن يفهمها السامع أو القارئ كاملاً ، لكن خالق الإنس والجن الذي هو خالق كل شيء يعرف هذه الخصائص ، ويُدرك مواهب إدراك القارئ أو السامعين ، فما راعى منها في خطاب الإنسان لا يوجد له مثال ، كذلك يحمل كلامه تأثيراً قوياً مشيراً للشعور والوجدان ، وبما أن مهمة خلق الإنسان جعلت عالية ، فخطب الناس تحقيقاً لهذه الغاية ، فالكلام الإلهي يشتمل على دقائق مؤثرة للكلام ، وليس في وسع الإنسان أن يفهم ما وضع فيها من مراعاة خاصة في أدائها ، وقد جعله الله تعالى بأن يصل الكلام إلى المخاطبين وفقاً لأفهامهم ، ولا يقولوا : قد كنا عن هذا غافلين .

كان مخاطبو القرآن مباشرة العرب أو الرجال الذين لهم معرفة باللغة العربية ، فكانوا يتأثرون بالكلام المؤثر ، ويحملون ذوقاً عالياً لفهم الكلام العربي ، ويدركون أسراره إلى حد كبير ، فاستفادوا منه حسب الحاجة استفادة كاملة ، وهي مستمرة إلى الآن ، وإن ما ألقى عليهم من مسئولية إبلاغه إلى الناس ، فتمت هذه الوظيفة بأحسن وجه ، فالذين يحملون ذوقاً عالياً للكلام العربي يتأثرون بالقرآن الكريم أشد تأثيراً ، لا يوجد له مثال في موضع آخر ، يندهشون برؤية المزايا المكنونة في ألفاظ القرآن ، ويقولون : ما هذا قول البشر ، هذا كلام إلهي ، فيستفيدون منه ويؤدون حقه ، لكن الذين لهم شغف زائد بالعلم ، وإدراك تام في معرفة دقائق الكلام ومميزاته ، يعرفون كل المعرفة أن القرآن أشد تأثيراً وتنوعاً للخصائص ، بل كل كلمة حتى كل جانب يحمل معجزة ، ويمكن للإنسان أن يستفيد منه

حسب الحاجة ويفهمه إلى حد كبير ، وليس في وسع إنسان أن يصوغ كلاماً مثله ، فلو اجتمع الناس كلهم و سعوا في صياغة كلام بل آيات مثل القرآن لعجزوا عن ذلك ، وقد حاول بعض الناس في سابق الزمان محاولة خبيثة له ، لكن الله عز وجل كشف عوارها ، وبين زيفها للناس ، وأنها كلام من صنع البشر ، لا علاقة له بكلام الله تعالى ، وقد صرح القرآن بهذا الواقع فقال : ﴿ قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (سورة الإسراء الآية/٨٨) .

**كتاب لا تبلى جدته :**

فإن القرآن الكريم آخر الكتب السماوية ، الذي أنزله الله عز وجل لإصلاح النوع البشري في الدنيا وإحراز الفوز في الآخرة ، وهو منارة نور لنيل رضا الله تعالى ، لا يستغني عن إشرافاتها أي إنسان ، ومن يستغن عنها ، يحرم النجاح الحقيقي السرمدي ، فإن القرآن الكريم يحمل درجة سامية ومكانة عالية كبيرة ، لأنه كلام مقدس إلهي ، وتكون تلاوته عبادةً وسبباً لابتغاء وجه الله عز وجل ، وتكون معانيه ومفاهيمه أداة لكسب الصلاح في الدنيا ونيل النجاح في الآخرة ، وهو بخصائصه وصفاته منبع حقائق ودقائق ومصدر أسرار ورموز، تتكشف جوانبها المتنوعة، وكوامن لآليها دائماً، وتتماثل أمام الأعين فوائدها الجديدة ، وقد أشار القرآن الكريم إلى أنه "نور" ، و "مبين"

<sup>١</sup> ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ (سورة المائدة الآية/١٥) .

١، و "حكيم" ٢، و "عربي" ٣، و "ذكرى" ٤، ورحمة و "شفاء" ٥، و "فرقان" ٦، و "مبارك" ٧، و "عزيز" ٨، و "كريم" ٩، و "علي" و "أم الكتاب" ١٠، فالقرآن كتاب يحمل صفات وخصائص متنوعة ، وليس هناك كتاب أنفع وأوفى بحاجات النوع البشري من القرآن الكريم .

### نفسية ادخار الأموال وموقف القرآن نحوها :

يتميز البشر بالتعددية في طبائعهم وخصائصهم ، إلى مدى بعيد لا يعلمه إلا الله ، لأنه الخالق والمودع فيها الدقائق والميزات ، إنه يبين الأحكام في القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى لإرشاد الناس إلى الصراط المستقيم ، وإيقاظه من سباته وفقاً لتنوع أمزجتهم ، ومراعاةً لنفسياتهم ، ويوجد في

١ ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (سورة المائدة الآية/١٥) .

٢ ﴿ذَلِكَ نُورُهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة آل عمران الآية/٥٨) .

٣ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة يوسف الآية/٢) .

٤ ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِيَتَذَكَّرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأعراف الآية/٢) .

٥ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة يونس الآية/٥٧) .

٦ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (سورة الفرقان الآية/١) .

٧ ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (سورة الأنعام الآية/٩٢) .

٨ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّ لَهُمْ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ (سورة فصلت الآية/٤١) .

٩ ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ (سورة الواقعة الآية/٧٧) .

١٠ ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ (سورة الزخرف الآية/٤) .

القرآن الكريم نماذج كثيرة تكشف القناع عن هذا الأمر في أسلوب مؤثر ، وهي مبعثرة في مواضع شتى ، فمثلاً تبين سورة التكاثر أن الأثرة الشديدة والولوع بتحقيق شهوات قد يسري في الإنسان إلى حد كبير ، فينهمك في التنافس في هذا الأمر حتى يحين موته ، ويطلع على سوء عاقبته ، فيتأسف ويتحسر ، ثم يرى بأم عينه نهاية غفلته ونسيانه في صورة جهنم، ويتصور ، بل يشاهد مؤاخذه الله على أعماله ومحاسبته عليها ، قال الله عز وجل : ﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ ❖ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ❖ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ❖ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ❖ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ❖ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ❖ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ❖ ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (سورة التكاثر الآيات/ ١- ٨) .

#### صورة إنسان منغمس في ملذات الدنيا :

كذلك صورَّ الله تعالى في سورة الماعون صورة إنسان ينغمس في حياة الأثرة والانطلاق ، ويعرض عن قبول القول السديد ، وإطاعة الله عز وجل ، ويرفض أحكام ربه في بداية أمره ، ثم كان موقفه أنه يجتنب كل الاجتناب مواساة الآخرين ، يدع اليتيم وينهره ولا يحض الناس على طعام المسكين ، ويتغافل عن أداء الصلاة ، ويباشر أعماله رياءً وسمعةً ويبخل على الناس بشيء متواضع حقير ، قال الله عز وجل : ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ❖ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ❖ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ❖ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ❖ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ❖ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ❖ وَيَمْنَعُونَ

﴿الْمَاعُونُ﴾ (سورة الماعون الآيات/١ - ٧) .

أربعة شروط للإنسان الناجح :

اقرأ - أيها القارئ الكريم - سورة "العصر" في القرآن الكريم تعرف أن الله سبحانه وتعالى يبين شروط الإنسان الناجح في هذه السورة الوجيهة ، فلا يبتعد من خسارة فادحة للحياة إلا الإنسان الذي امتثل أوامر الله تعالى ، وعمل أعمالاً صالحة ، وتواصى بالخير ، وتجشم كل ما يحدث من صعوبات أو مخالقات في سبيل الله بابتسامة ، وأشار على الناس بالصبر والاستقامة في الحق ، قال الله عز وجل : ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (سورة العصر الآيات/١ - ٣) .

القرآن الكريم زاخر بأمثلة كثيرة :

إن دراسة القرآن الكريم توضح لكل ذي بصر وبصيرة أن أمثلة كثيرة منوعة ذات تأثير بالغ ذكرت في القرآن الكريم حول إصلاح وهداية النوع البشري من خلال طبائعه وأمزجته ، يوفر القرآن الكريم بذلك أسباب الهداية مع مراعاة نفسية جميع الناس ويقدم لهم قانوناً أكمل وأشمل ، يغطي جميع مناحي الحياة ، ويلاحظ الفطرة الإنسانية ملاحظة ، يقع كلامه موقعه من السامع على مستواه ، ويجد فيه كل إنسان بغيته ، ويكون فيه وقاية من زلة وخطأ ، فكان القرآن كتاب هداية ورشد للنوع البشري لا يوجد له مثيل في تاريخ كتب الديانات .

### حياة العرب وتأثير بيئتهم على القرآن :

كانت حياة العرب منعزلة عن المدنية ، ولا توجد لديهم أسباب الرفاهية ، والاقتصاد ، بل هي شبه مفقودة ، فكان العرب يضطرون إلى إرهاق الجسد وإتعب النفس ، وكان إباؤهم وحماستهم القومية والدينية ، تبعثهم على المقاتلة والمحاربة بأسرع ما يمكن ، رغم ذلك كله كانوا يحملون قيماً وأداباً بإقامتهم في المناطق الجافة ، وتشتعل بها نيران الحرب فيما بينهم ، وبالإضافة إلى ذلك كانت إعانة المسافرين وإكرامهم فطرتهم في مثل هذه المناطق ، وهم يتمتعون بعاطفة المواساة للمسافرين والضيوف كثيراً ، وإن حروبهم تارة تستمر إلى سنين طوال ، نظراً إلى الحاجة الاقتصادية ، وكانوا على أهبة تامة لهذه الحروب ، فتحقيقاً لهذا الغرض كانوا يحتاجون إلى كثرة الأولاد والأسلحة الحربية التي يؤدي فيها الأولاد دوراً بارزاً ، وإن الفرس الفاره الجميل الذي كان أسرع عدواً أحب إليهم من الجواهر الغالية ، وكانوا يفتخرون بصفات الخيول فيشعل ذكر بطولاتهم وصفات خيولهم في الحرب قلوبهم ويملؤهم حماسة وقوة ، فلما أراد الله أن يحرضهم على قبول الهداية أنزل ضمن السور الأخرى سورة "العاديات" في أسلوب معجز مع مراعاة نفسياتهم : قسماً لهذه الخيول المسرعة الجري ، مثل البرق ، جرياً تثير فيه أخفافها النار وتمتلئ أفواهها باللعب ، وهي تغير صباحاً على الأعداء ، وتثير النقع من أقدامها وتخوض في خضم الأعداء ، هكذا يأسر القرآن عقولهم وقلوبهم ، ويقول

مشوقاً لهم : "إن الإنسان لربه لكونود" ، وهو يرى ويشاهد كنوانه وكفرانه بالنعمة ويعقله ، يعني أن الله تعالى أسبغ عليه نعما جليلة ، ومنحه ما يوافق نفسيته وهواه من مباح ومسرات ، لكن هذا الإنسان لا يلتفت إلى طاعة الله تعالى وشكر النعمة ، ويمارس أعماله طلباً للنفع المادي ، مجاوزاً حدود الله عز وجل حتى إذا بعثر من القبور ، وعرض أمامه ما أسلفت يداه حاسبه الله حساباً شديداً ، قال الله تعالى :

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ❖ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ❖ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ❖ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ❖ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ❖ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ❖ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكٍ لَّشَهِيدٌ ❖ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ❖ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ❖ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ❖ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ (سورة العاديات الآيات/١ - ١١) .

وقد ورد في سورة الحج ذكر عبادة التماثيل المصنوعة ظناً منها آلهة من دون الله تعالى ، وذلك مع مراعاة النفسية الإنسانية خاطب الله عز وجل الكافرين بنعمه : أيها الجاحدون لنعمة الله تعالى ! إن التماثيل التي تتنادونها وتستغيثون بها كآلهة من دون الله لتحقيق حوائجكم ، لن يمكنها أن تخلق شيئاً صغيراً حقيراً ، مثل الذباب ، وإذا اجتمعت هؤلاء الآلهة الكاذبة لإنجاز هذا العمل ما استطاعت، إن خلق الذباب لها صعب ، وإذا جلس الذباب يأكل الحلوي التي وضعت لديها ، أو ذهب بها ، ما استتقدتها منه ، ما أضعف السائل والمستؤل ! وما أحقر الطالب والمطلوب ! ، وهم لا يعرفون مكانة الله عز وجل وقدره ، قال الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ

فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ  
اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ  
الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ❖ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ  
عَزِيزٌ ﴿سورة الحج الآيتان / ٧٣ - ٧٤﴾ .

اللافت للنظر في الآيات المذكورة أعلاه أن الله تعالى  
أودع هنا لطمأنة النفس أسلوبياً نفسياً أن الإنسان جعل ما  
صنعه بيده ، إلهاً ، فليس في وسعه أن يخلق شيئاً حقيراً ، مثل  
الذباب ، وأعرض عن الله تعالى الذي هو عظيم وقادر على  
كل شيء ، وخلق الله الكون كله ، وخلق جميع  
المخلوقات، وخلق كل شيء حسب إرادته ، وأودع فيه مواهب  
وقدرات بمشيئته ، فإن الأصنام التي يعبدونها لا يمكنها خلق  
الذباب ، فإن يسلبها الذباب شيئاً لا يستنقذوه ، ثم قال :  
انظروا ، كم ضعف عباد الآلهة التي نحتوها بأيديهم ، إن  
رعاية نفسية الإنسان والانسجام مع وجدانه ومشاعره توجد  
نماذجه في القرآن الكريم ، حيث يخاطب بأسلوب يقع في  
القلب كل موقع ، فينكسر طلسم الجهالة والطقوس التي  
تصورها الإنسان في ذهنه ، إن دل هذا على شيء فإنما يدل  
على الإعجاز الفني للقرآن الكريم .

**الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم :**

خاطب القرآن قراءه ومستمعيه على قدر عقولهم  
ومكانتهم ، هناك ألفاظ ومفردات لبيان معنى العلو  
والارتفاع، حينما استعملها للعصاة المتمردين مثل فرعون قال :  
﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ (سورة القصص الآية/٤) إشارة إلى



العصيان والظلم ، وعلو النفس ، وحينما استعمل هذه الكلمة في معنى رضا الله تعالى استعار منها كلمة "العلي" دون "العالِي" ، قال عز من قائل : "العلي الكبير" (سورة الحج الآية/٦٢) وقال : ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (سورة البقرة الآية/٢٥٥) هذا في موضع المدح ، وذلك في موضع الذم .

### كتاب يخاطب العقل والقلب معا :

القرآن كتاب يجمع بين دفتيه كلاماً يوافق العقل والقلب معاً ، يتحير الإنسان بمجرد سماعه ويعترف بأنه كلام الله المقدس ، ومثال ذلك ما ظهر من قصة إسلام عمر رضي الله عنه ،<sup>١</sup> حينما سمعه من رسول الله ﷺ ، هذا المنهج الإعجازي للقرآن الكريم يقدم أمام الدعاة العاملين في حقل الدعوة الإسلامية نموذجاً حياً .

مما لا شك فيه أن هذه الصحيفة السماوية نعمة من الله غالية ، توافرت لأهل الأرض ، خاصة في المناسبة التي لا يوجد على الأرض أي مخلوق استفاد من الرسالة السماوية والكلام الرباني مثلما استفاد الإنسان من القرآن ، وبما أن الكلام السماوي يحمل قوة لا تستطيع الأرض أن تحملها ، لكن الله أنزل الكلام المفعم بالقوة السماوية بقدرته وحكمته في صورة اللغة الإنسانية ، فصارت هذه اللغة جديدةً بإكمال الحاجيات الإنسانية ومقتضياتها على أتم صورة منذ نزول القرآن ، وكانت مواهب ناطقيها لفهمها وإدراك معانيها

<sup>١</sup> (١) سيرة ابن هشام ج/١ ص/٣٤٢ - ٣٤٦ .

مستحكمة ، بذلك تمهد سبيل الاستفادة من الكلام الرباني للناس من هذه اللغة ، وقد أشار الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم إلى عظمة الكلام الإلهي وحاجة الناس إليه بقوله :  
**﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾**  
 (سورة الحشر الآية/٢١) .

ثم وجه الخطاب في الآية الأولى من القرآن نزولاً إلى الاستفادة من أعلى المواهب للإنسان ، (العلم) ، وهذا العلم لا يحصل للإنسان إلا بمعرفة اللغة ، بذلك يتفوق الإنسان على جميع مخلوقات الأرض ويتميز به ، والعلم نعمة غالية من الله تعالى ، ما زال الإنسان يستفيد منه للرفي الشامل في حياته المادية والمعنوية ويكون محتاجاً إليه في المستقبل .  
**موضوع رئيسي للقرآن الكريم :**

إن هداية الإنسان وإخراجه من الظلمات إلى النور موضوع رئيسي بين جميع خصائص القرآن الكريم وفوائده اللامتناهية ، قال الله عز وجل : **﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾** (سورة إبراهيم الآية/١) ، إن الله خالق كل شيء في الكون ، ومسير له في وظيفته ، فهو مطلع على كل شيء ، وبصير بالطبائع الإنسانية وخصائصها ، إنه يعلم جوانب الخير والشر في الإنسان ويعرف حالاته الظاهرة والباطنة ، فبالجملة أن الله تعالى خاطب الناس مع مراعاة الطبيعة الإنسانية وحاجيات الحياة ، فاختر لهدايتهم اللغة

التي كانت لغة مخاطبيه ، حتى إن الأميين منهم كانوا يدركون معانيها ويفهمونها ، وإن ألفاظ هذه اللغة وأسلوبها الذي ينسجم مع فهمهم وشعورهم اعتنى به القرآن أيضاً ، وهو يخاطب نفسية الإنسان وعقله ، هذا هو السبب فيما إذا ضرب على الوتر الحساس ، وأثر في العقل والقلب معاً ، الواقع أن هذا التأثير لم يوجد في أسلوب كلام إنساني ، ولم يشهد التاريخ مثاله ، فكان القرآن الكريم معجزة كاملة ، وإن كانت الاستفادة منها سهلة ميسورة للإنسان ، وهو يقرؤه ويفهمه ، قال الله عز وجل : ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (سورة العنكبوت الآية/٤٣) أنزل هذا الكتاب على سيدنا رسول الله ﷺ لمهمة عظيمة ، بعيدة عن الأغراض المادية الدنيوية ، فقد أشير فيه إلى التخويف من الضلالة والغواية وعاقبتها الوخيمة في جانب ، وفي جانب آخر يوجد فيها ذكر آيات عظمة الله تعالى وقدرته ، وصرفت عناية الإنسان إلى الدور العظيم الذي يمثله على الأرض ، بذلك يسهل فهم قدرة الله تعالى وحكمته للإنسان على أساس العلم الذي أودع الله فيه بوجه خاص ، قال الله عز وجل عن العلم : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ❖ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ❖ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ❖ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ❖ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (سورة العلق الآيات/١ - ٥) وقال : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئُوا الْأَنْبَابِ﴾ (سورة الزمر الآية/٩) وقال : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (سورة فاطر الآية/٢٨) ، فالعلم هو المفتاح الذي يفتح به الإنسان جميع المغاليق ، ويبحث عن فرص

مواتية جديدة في مختلف شعب الحياة ، وإن القرآن يوجه الأمة العربية التي كانت أمية أن تهتم بالعلم ، ليكون زينةً لحياته وذريعةً لصلاحها ونيل جميع الإمكانيات التي تكون مساعدة في المستقبل ، وقد أقسم الله بالقلم ، والقلم هو أعلى شيء يكتشف للإنسان نواحي جديدة للعلوم والفنون، قال الله تعالى : ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (سورة القلم الآية/١) .

جعل الله عز وجل كلامه جزءاً من كتابه الذي سماه: بالكتاب من خزينة علمه وإرادته ، وخزينة العلم هذه تختص بخالق الكون وصانعه ، فعلم صفاته وقدرته بحر لا ساحل له، ولا يُعرف مبتداه ومنتهاه ، وقد منح الله العالم الإنساني نزراً يسيراً من كتاب علمه ومعرفته في صورة القرآن الكريم، قال الله عز وجل : ﴿الْمِ ذِكِّ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة البقرة الآيتان/١ - ٢) هذا هو العلم الذي يوجد جزء منه في القرآن الكريم كتاب الله العزيز ، وهو كلام مقدس يميز بين الحق والباطل ، أنزله الله تعالى بعباده ليكون ذريعةً لسعادتي الدنيا والآخرة ، وقد أمر الله سبحانه وتعالى الإنسان بأن يطلب نجاحه في الدنيا والآخرة ، ويسأل بهذه الكلمات : ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (سورة البقرة الآية/٢٠١) ، وعلمه أن يقول : ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (سورة آل عمران الآية/١٩٤) ، هذه الآيات ترشد الإنسان إلى أهداف حياته الأصلية .

### ثلاثة أنواع لمعاني القرآن :

قال الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة النور الآية/٣٤) ، تشير هذه الآية إلى ثلاثة أنواع من المعاني المذكورة في القرآن الكريم :

١- آيات القرآن التي هي واضحة ومبينة ، يستطيع الإنسان أن يستفيد منها ، فهو يقرأها ويفهمها ، هذه الآيات تهدي إلى الصراط السوي للحياة المثالية ، وهي مفعمة بأنواع من مظاهر الكون والعلوم والفنون المنوعة ، ودالة على الحقائق الكونية التي هي مسلمة ومصدقة ، وكاشفة للإنسان عن عقيدة صحيحة وطريق يؤدي إلى سبيل النجاة في الدنيا والآخرة .

٢- يكشف القرآن عن قصص الأمم الماضية التي نبذت نصائح أنبيائها ورسلاها وراءها ظهرياً ، ولم تطع ولم تستفد ولم تعتبر من الدلائل الكونية والبراهين السماوية فأهلكت وقطع دابرها .

٣- تكثر أساليب النصيحة والموعظة في القرآن الكريم التي تفتح قلوب المتقين وتحثهم على القيام بأعمال الخير ، وتشير بعض الآيات إلى هذا الجانب ، قال الله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (سورة الزمر الآية/٢٧) ، وقال : ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (سورة الفرقان الآية/٦) .

ذكر الله تعالى عظمة كلامه وجلال أسلوبه المعجز وأنه يشتمل على آيات مغيبات يقصر عن إدراكها الحواس الإنسانية ، قال الله عز وجل : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة هود الآية/٤٩) .

وهناك آيات تبين الإعجاز البياني والعلمي في أسلوب التحدي ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (سورة الإسراء الآية/٨٨) ثم قال : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (سورة القصص الآية/٤٩) .

على كل ، فإن القرآن مشتمل على أنواع مختلفة من أسلوب البيان وبلاغة الكلام ، بذلك يسهل فهم وإدراك معاني هذه الآيات ، وتكون الدلائل الكونية والطبيعية معاونة في إدراكها ، وتأتي في إطارها قصص الأمم الماضية وأحوالها ويساعد علم المغيبات الإنسان على الهداية ، وهذا جانب له فقط ، يماثل موضوع القرآن .

أما جانب القرآن الذي هو عبارة عن جمال وروعة الكلام الظاهري وأداء المعنى فلا يخلو من الإعجاز أيضاً ، لأن فيه كلمات مؤثرة ، وتنوع أسلوب البيان والفصاحة الساحرة والبلاغة الباهرة زمن فصحاء العرب وبلغائهم الذين نزل فيهم القرآن ، وكانوا على قمة عالية من فصاحة اللغة وبلاغتها ، لكن لما سمعوا القرآن دهشوا ، وحينما تحداهم القرآن خضعوا أمام الإعجاز القرآني وبلاغته ، فإن الأسلوب

المؤثر الذي اختاره القرآن في ذكر قصص الأمم السابقة والوصف البارع للجنة والنار ويوم القيامة أعلى مثال للبيان والبلاغة ، ولا يكون نظام أقوى وأحسن للوصف من هذا ، فإن قلوب السامعين والقارئین تمتلئ رعباً ودهشةً .

أما أسلوب الوصف فهو يحيط بقلوب العباد كلها ، فيوجد تنوع عظيم في استعمال الألفاظ حسب الأحوال والمناسبات المختلفة ، مثلاً كلمة "الريح" ، فقد أريد بها معنى العذاب والهلاك باستعمالها مفردة ، كما ورد في قصة قوم عاد وموضع أخرى ، لكن حينما استعملت هذه الكلمة جمعاً أريد بها معنى الخير والعافية ، الذي ورد ذكره ضمن إنزال المطر لصالح النباتات والأشجار ، وهنا كلمة "نعمة" ، إذا كان استعمالها بكسر النون أريد بها معنى صفة الخير والنفع ، وجعل رحمة للعباد المؤمنين ، لكن حينما استعملت بفتح النون أريد بها معنى الأمور التي ظاهرها خير وفلاح ، وباطنها من قبله عذاب ، كما جاء في القرآن للكفار والمترفين : ﴿وَنَعْمَةٌ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ ، كذلك كلمة الخطأ ، استعملت للشئون الدنيوية صيغة الثلاثي المجرد ، وللشئون الدينية الثلاثي المزيد فيه ، وله غير ذلك من الأمثلة .

وقد يوجد اتزان عجيب لصوتية الألفاظ في استعمالها ، كما ورد في آخر سورة مريم : ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ﴾ فإنه يحمل تطابقاً صوتياً بالنظر إلى المعنى ، فتدل صوتية الألفاظ على معانيها مباشرة .

وتحقيقاً لهذا الهدف ألف العلماء مؤلفات كثيرة لبيان الخصائص والميزات البلاغية للقرآن ، منها ما يبين الإعجاز

---

---

القرآني في الألفاظ والمعاني ، ومنها ما يشتمل على التنبؤات التي ظهرت بعد نزول القرآن ، ولا تزال تظهر فينةً لأخرى ، ومنها ما يشمل أصناف الاستدلال المختلفة والكائنات والطبيعات ، ومنها ما يتعلق بالقصص التي هي للأمم الماضية، وكما يوجد فيها أحكام وأمثال مؤثرة .

#### كتاب معجز :

تناول القرآن الكريم لهداية الناس وصلاحهم ، لفظاً ومعنى أفضل أساليب الكلام وعلم النفس الإنساني ، تتجلى من التدبر في آياته نكت يندهش أمامها القارئ ، ويزداد يقينه ويعترف بأن القرآن هو الكتاب المعجز ، فالذي يقرأ القرآن ويتلوه بذهن مفتوح يتأثر به للغاية ، ويؤمن به قائلاً : آمنا وصدقنا ، ولا شك أن القرآن كتاب هداية ومنازة نور لإيصال حياة الإنسان إلى الصراط المستقيم .



## خصائص القرآن الكريم

القرآن الكريم يحمل أبرز صفات وأرفعها لفظاً ومعناً ، لأنه كلام الله رب العالمين ، العليم والخبير ، فمعاني القرآن في صالح الإنسان ، فلا يكون كلام أرفع شأنًا وأكثر نفعاً ، ولا أبلغ وأفصح وأشد تأثيراً من القرآن ، وأنزل القرآن في العرب ، فاختيرت له اللغة العربية ، قال الله تعالى : ﴿ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ❖ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ❖ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (سورة حم السجدة الآيات/ ٢ - ٤) .

قد بلغت اللغة العربية زمن نزول القرآن أعلى قمة من الفصاحة والبلاغة ، إن ناطقيها وإن كانوا أميين ، لكن قد كانت لهم عناية بالغة بأداء الكلام على أفصح لسان ، فكانوا مطلعين على جوانب تأثيرها بذكائهم وحسن فهمهم ، وحينما نزل القرآن باللغة العربية استغرب أدباؤها وشعراؤها من أن قد نزل كلام أشد بلاغةً من كلامهم ، فاضطروا إلى إظهار عجزهم واستكانتهم ، وكل من سمعه اعترف بفصاحته وبلاغته .

### كتاب مبين وهدى للعالمين :

ذكر الله تعالى في كتابه العزيز الذي هو أعظم وأبلغ كلام ، وهدى للعالمين ما يؤكد الإيمان بخالق الكون وخلائقه ، والعمل بأحكامه وشرائعه ، ويبين أخلاق الناس

وعواقب الأبرار والأشرار منهم ، وكل ذلك في أسلوب رائع مؤثر ، وبما أن الله خالق الناس ، خلقهم على وجه الأرض لعبادته وتمثيل أرفع وأصلح دور كخليفة الله في الأرض ، وخيرَه في اتخاذ منهج ، ليحقق غاية خلقه ، وجعل له حياة بعد موته ، ليجزى جزاء أعماله في الدنيا ، وينال أكرم جائزة عند الله تعالى ، فأرشد الإنسان بواسطة الأنبياء إلى المعلومات المشتملة على الفرق بين الأعمال الحسنة والأعمال القبيحة ، ومنحه دستوراً للاستقامة على الصراط المستقيم ، وسماه القرآن لتلاوته وقراءته .

#### عظمة القرآن وقدسيته :

وبما أن القرآن كتاب رب العالمين ، فهو يحمل قدسيةً موافقةً له ، مرتفعة من الخصائص الأرضية ، فلو لم يجعل القرآن موافقاً للأرض ، ونزل في صورته الأصلية ، على قطعة من الأرض ، لا تتحمل الأرض عظمته وقدسيته ، وقد أشار الله تعالى إلى كيفية عظمة القرآن في كتابه ، قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (سورة الحشر الآية/٢١) ، لكن أنزل القرآن هدى للناس بواسطة الملك المخلوق السماوي على أفضل وأرفع إنسان ، يملك الخصائص العلوية وهو سيدنا محمد ﷺ ، فقال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ❖ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ❖ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ❖ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ (سورة الشعراء الآيات/١٩٣ - ١٩٦) وكان ﷺ يستثقل وقت نزول القرآن ما يرتعد منه رعباً ، ويتصبب عرقاً ، لكن أنزل هدايةً

للناس، فورد في القرآن: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ  
لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة البقرة الآية/١٨٧) .

ولفت الله انتباهنا إلى عظمة القرآن وعلو شأنه وارتفاع  
مرتبته من المراتب الأرضية ، وما له صلة قوية وخاصة بالله عز  
وجل أنه كلام رب العالمين ، قال الله تعالى : ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا  
الْمُطَهَّرُونَ ❖ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❖ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ  
مُدْهِنُونَ﴾ (سورة الواقعة الآيات/٧٩ - ٨١) .

وذكر الله شهر رمضان وخصيسته بأنه يتميز بنزول  
القرآن فيه ، قال الله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ  
الْقُرْآنُ﴾ (سورة البقرة الآية/١٨٥) ، والليلة التي نزل فيها القرآن  
ذكرت فضيلتها العظيمة ، بل أنزلت سورة كاملة لبيان  
الرابطة بينهما ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ❖  
وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ❖ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ❖  
تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ❖ سَلَامٌ هِيَ  
حَتَّىٰ مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾ (سورة القدر الآيات/١ - ٥) .

وجعل الله القرآن ذريعة بيان الحقائق الأرضية لهداية  
النوع البشري ، قال الله تعالى : ﴿الْم ❖ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ  
هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة البقرة الآيتان/١ - ٢) فتجلى منه أن عظمته  
وخصائصه سماوية ومفعمة بالنور ، وهي مقدسة وعظيمة ، فإن  
كان نزوله على الأرض مباشرة ، لا تتحمل ثقله ، لكن أنزل  
على الإنسان رحمةً عليه وانتفاعاً به رغم أنه مخلوق أرضي .

**كلام حكيم وجليل :**

فإن هذا الكتاب قد أنزله الله تعالى رب العالمين من

فوق سبع سموات ، لأنه كتاب إلهي ، فإن له طرفين : يرتبط الطرف الأعلى من الله ، والطرف الثاني أنزل لهداية الإنسان إلى الأرض ، وخاصةً جميع المؤمنين الذين يعيشون في هذه الدنيا ، ففي جانب يتصل برب العالمين ، وفي جانب آخر جعل نافعاً للخلق الذي يحمل وظائف سماوية ، وقد جعل الله كتابه السماوي ومعانيه العظيمة هادياً للخلق الأرضي (الإنسان) في لغة جميلة عذبة .

أما معاني القرآن ومفاهيمه فإنها تتعلق بما يجب معرفته لهداية الإنسان ، وتشرح للناس عظمة رب العالمين وآلائه ، أضف إلى ذلك فصاحته وحسن أدائه ، اللذين يسهل بهما فهم هذه المعاني والعمل بها ، نظراً إلى فهم الإنسان قدمها الله تعالى في قالب الكلمات الإنسانية ، ليفهمها الإنسان ، ويتأثر بها قلبه وعقله بعد سماعه فوراً ، وقد وقع مراراً زمن نزول القرآن أن كل من سمعه من مناوئي الإسلام أولع به ، وآمن به قائلًا أن هذا الكلام العظيم المؤثر كلام رب العالمين ، ليس في وسع إنسان أن يصوغ مثله ، فتحدى القرآن نفسه بقوله : ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ فكان هذا القرآن أثقل على الأرض وأحمل للقدسية السماوية وأنفع لأشرف الخلائق ، المتصف بالخصائص الأرضية ، وجعل أسهل كلام لنقل المعاني العالية في قلوب الناس ، وأكثر تأثيراً في النفوس ، فاتصف بلسان عربي مبين ، وقال : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ (سورة القمر الآية/١٧) .

اختار القرآن أسلوباً موافقاً لنفسية المخاطبين وعقولهم

لبيان الحق ، كما جاء في الرعد : ﴿المرتلک آیات الکتاب  
 وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ❖  
 اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ  
 وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ  
 الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ❖ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ  
 فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ  
 يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ❖ وَفِي الْأَرْضِ  
 قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٍ وَجَنَاطٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ  
 يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَلُ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي  
 ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ❖ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَنَّىٰ كُنَّا  
 تُرَابًا أَنَّىٰ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ  
 الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ❖  
 وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ  
 وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ  
 ❖ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ  
 وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ❖ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ  
 وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ❖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ  
 الْمُتَعَالِ ❖ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ  
 مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ❖ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ  
 خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا  
 مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ  
 مِنْ وَالٍ ❖ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ  
 الثَّقَالَ ❖ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ  
 الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ

الْمَحَالِ ❖ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ  
 لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ  
 وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ❖ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ❖ قُلْ مَنْ رَبُّ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ  
 لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ  
 تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ  
 فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ  
 ❖ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا  
 رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ  
 كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا  
 مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ❖  
 لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ  
 مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ  
 الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ❖ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أَنْزَلَ  
 إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ  
 ❖ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ❖ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ  
 مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ❖  
 وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا  
 رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَعُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى  
 الدَّارِ ❖ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ  
 وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ❖ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ  
 بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ❖ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ  
 مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ

أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ❖ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ❖ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ ❖ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ❖ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ❖ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابُ ﴿سورة الرعد الآيات/ ١ - ٣٠﴾ .

### كلام معجز ريباني :

أنزل القرآن منجماً بالوحي على سيدنا محمد ﷺ في ٢٣/عاماً ، وروعي في إنزاله المناسبات والأمكنة ليدركه الناس إدراكاً تاماً حسب الحاجة والواقع ، وكان غرضه الأساسي هداية الناس وتوجيههم إلى الصراط المستقيم ، غير أنه كلام الله مباشرة ، فيحمل قدسية عظيمة ، وكانت تلاوته عبادةً ، وله مكانة أعلى وأسمى من مكانة الناس ، رغم أنه موافق لفهم الناس ، وبهذا الذوق الإنساني كانت فيه مراعاة أصناف الكلام، فيوجد تنوع في أساليب الكلام ، وإن ما يكون من مناهج مختلفة لتأثير الشعر بالإضافة إلى خصائص النثر يتجلى فيه جمال كلتا الناحيتين ، فكان أسلوب القرآن يتميز بالحلاوة الأدبية أيضاً ، وإذا حاول رجل في كتابة النثر عجز عن تقديم كلام أو مفاهيم مثله ، لأن العاقل اللبيب من أهل العرب وإن كان يدرك معناه ، وإن كانت الألفاظ مفهومة

لديه ، ليس في وسعه أن يصوغ كلاماً مثله ، وكل كلام كان خارجاً عن نطاق رجل ، وأنزل من الله موافقاً لطبائع الناس يعرف بالمعجزة ، فالقرآن معجزة بصفاته العالية المتنوعة ، والمعجزة لغةً هو الأمر الذي كان موافقاً لمشاهدة الناس وإدراكهم ، لكن كان خارجاً من وسعه ، ويصعب على الإنسان محاكاته ، فإن العرب الذين كانت لهم براعة تامة في العربية ، ويمتلكون ناصية البيان لم يستطيعوا محاكاة فصاحته وأسلوب بيانه ، وقد تحدى القرآن مراراً وتكراراً أنكم إذا كنتم في شك من الكلام الإلهي فأتوا بمثل هذا القرآن ، لكنهم لم يتمكنوا منه ، وبالعكس من ذلك أنهم إذا سمعوا القرآن نظراً إلى براعتهم اللغوية ومعرفتهم القوية للألفاظ والعبارات ، اضطروا إلى أن يعترفوا بكلامه الإلهي ، ثم يستوحوا الهداية بالعمل به ، نجد لذلك أمثلة كثيرة في العرب الأولين ، الذين استسلموا أمام بلاغة القرآن ، رغم أنهم يملكون زمام العربية ، والذين لا يؤمنون بالقرآن حينما يتلى عليهم القرآن يجعلون أصابعهم في آذانهم ، ولا يصغون إليه أبداً ، لأنهم عرفوا كل المعرفة أن القرآن الكريم يؤثر تأثيراً كثيراً فورسماعه ، فكيف يمكن الإنسان أن يغلق أذنه وقلبه ، وكيف يكون بعيداً من الانقياد له والتسليم به .

إذا ساد الظلام الحياة الإنسانية ، بسبب عبادة النفس وحب الدنيا ، وكانت ظواهر الحق والصدق غارقة في الظلمات تجلت الحقائق باستضاءة نور القرآن ، وكذلك فإن النوع البشري الذي جعل أعلى وأشرف المخلوقات الدنيوية قدم أمامه أن يحرز هذا المنصب الجليل ، ويختار ما أودع فيه من



كلمات العقل والحكمة ، وبناء على هذه الكلمات سمي القرآن بكلمة : "الحكيم" أيضاً .

وهناك حقائق إعجازية كثيرة في هذا الكلام المتميز بالصفات والمحاسن الإلهية ، ورد ذكرها في القرآن الكريم في مواضع شتى ، وكل ذلك جزء من علم الله الواسع الذي يحيط بقدرته الله الدائمة الأبدية وغيرها من الأشياء ، وقد مُنِحَ الإنسان لهداية الناس حسب الحاجة ، وهو يحمل قوة لا تعادلها قوة الأشياء الأرضية مثل الجبال ، وحتى الإنسان الذي صنع من طين ، لا يتحملها ، قال الله تعالى : ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الحشر الآية/٢١) فحينما جعل الله هذا الإنسان خليفة ، وهب بعضاً منهم قوة زائدة ، ينوء بهذا العمل العظيم بواسطة ، وإلا كادت تقضي على الإنسان ، فضلاً من أن تتصدع الجبال وتحرق .

وكذلك فضل الإنسان على المخلوقات الأخرى ، وكُلِّفَ أن يشكر الله على هذه النعمة وغيرها ، لا يمكن أن يؤديه غيره من المخلوقات ، وهذه خصيصة لا يستطيع الإنسان أن يشكر الله حق شكره ، قال تعالى : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (سورة التين الآية/٤) .

**كلام مؤثر بليغ :**

قد أودع الله في كلامه ما يستفيد منه الإنسان في جوانب مختلفة لحياته ، وتوجد فيه توجيهات للحياة الإنسانية ، وحقائق عن الخير والشر ، لا يتأثر الإنسان بها فقط ، بل يولع بفضل القدرة الإلهية ، ويستسلم لعظمته ، هذا

ما يتعلق بمعانيه ومفاهيمه ، أما صورته اللفظية وجانبه الظاهري فإن جوانبه المنوعة من حسن البيان وتفهم المعاني التي تحمل قوة وتأثيراً للعقل الإنساني لا تزال تتكشف أمام البلغاء والفصحاء من اللغة العربية ، وتستمر هذه السلسلة منذ ١٤/قرناً ، وتكون دليلاً على نزول هذا الكلام من الله عز وجل كمعجزة إلهية .

إن القرآن يعرف نفسه في كلمات وجيزة ، حيث يقول في بداية سورة البقرة ، قال تعالى : ﴿ اَلَمْ يَكُنْ لَكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (سورة البقرة الآيات/ ١ - ٣) .

#### صفة الإقناع في القرآن :

"إن القرآن الكريم - وهو كتاب الإنسانية الخالد - قد اجتمعت له عناصر الإعجاز ، وتحققت فيه شروط الإقناع ، وتمثلت فيه جميع خصائص البيان العالي ، التي بها أثر في القلوب وأمتع ، وحرك النفوس وأقنع ، وحملها على الإذعان للحق واتباع سبيله ، ولا نعلم كتاباً آخر كان له من التأثير وفي كل العصور مثلما كان للقرآن الكريم ، وذلك راجع لخصائصه الآتية :

١. توافقه الفطري مع أسلوب الناس في التفكير والشعور .
٢. اعتماده على المناهج الواضحة ، والأدلة الظاهرة التي تشبع العقل والقلب .
٣. استجابته لما تتطلع إليه النفس الإنسانية في قضايا العقيدة والسلوك ، وتقديمه التفسيرات المناسبة للوجود الإنساني
٤. إشباعه لحاجات النفس البشرية ، وتلبية رغباتها بما

يبتاسب مع الفطرة السليمة .

إن البلاغة القرآنية هي سر الإعجاز ، وأداة التوصيل والإقناع والإمتاع ، وهي الوسيلة التي تتحقق بها شروط الإقناع والإمتاع ، وقد حرص القرآن الكريم ببلاغته العالية على أن يتلقى بالنفس البشرية في جوانبها كلها ، فخاطب العقل ، وهز الوجدان ، وحرك غريزة حب الاستطلاع ، ودخل من منافذ النفس جميعها دون الاعتماد على جانب وتعطيل آخر ، ولم يعتمد في إقناعه بالوسائل البلاغية على الاستدلال العقلي المجرد ، ولا على الخطاب الوجداني المؤثر على نحوها ما نجد عند البشر ، وإنما أخذ بالأسباب التي تراعي ملكات النفس جميعها ، ليقنع الناس على تباين أصنافهم واختلاف مستوياتهم الثقافية والفكرية ، وأكبر قدر من الإعجاز القرآني يرجع إلى هذا الجانب ، لأنه لا يقدر على هذا الصنيع إلا العليم بخبايا النفوس وأسرارها .

إذا كانت البلاغة القرآنية قد استطاعت أن تملك على الإنسان نفسه بتحقيقها شروط الإقناع والإمتاع ، فذلك راجع كذلك إلى توفيرها لعناصر الكمال في التعبير والتي بواسطتها يبلغ الكلام موضع الإقناع من العقل ، والتأثير من القلب ، وتتمثل هذه العناصر إجمالاً في صحة المعنى ودقته ، وجمال طريقة العرض وتنوعها ، وتفرد الإيقاع الموسيقي وتميزه ، ومثل هذه العناصر لا مثل لها ، ولا يلحق بشاؤها أي كلام<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> أساليب الإقناع في القرآن الكريم للدكتور بن عيسى باطاهر ص/٢٦١ - ٢٦٢ ، دار الضياء للنشر والتوزيع - عمان - الطبعة الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

## الباب السابع

### العلوم التي يشتمل عليها القرآن

علوم القرآن :

قسم الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي علوم القرآن الكريم إلى خمسة ، يقول :  
 "ليعلم أنّ المعاني التي يشتمل عليها القرآن لا تخرج عن خمسة علوم :

١. علم الأحكام : كالواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام ، سواء كانت من قسم العبادات أو المعاملات أو الاجتماع أو السياسة المدنية ، ويرجع تفصيل هذا العلم وشرحه إلى الفقيه .

٢. علم الجدل : وهي المحاجة مع الفرق الأربع الباطلة : اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين ، ويرجع شرح هذا العلم وتفريعه إلى المتكلم .

٣. علم التذكير بآلاء الله : كبيان خلق السماوات والأرض ، وإلهام العباد ما يحتاجون إليه ، وبيان الصفات الإلهية .

٤. علم التذكير بأيام الله : وهو بيان تلك الوقائع والحوادث التي أحدثها الله تعالى إنعاماً على المطيعين ، ونكالاً للمجرمين ، كقصص الأنبياء عليهم الصلوات

والتسليمات ومواقف شعوبهم وأقوامهم معهم .  
 ٥. علم التذكير بالموت وما بعد الموت : كالحشر والنشر  
 والحساب والميزان والجنة والنار .  
 ويرجع تفصيل هذه العلوم وبيانها وذكر الأحاديث  
 والآثار المتعلقة بها إلى الواعظ والمذكر<sup>١</sup> .  
**مشكلات القرآن :**

وهناك نوع لمشكلات القرآن ، يتعلق بطريق إفهام  
 القرآن وتفسيره، ويحدث على أساس المقتضيات التاريخية ،  
 نحصر هذه المشكلات في خمسة أبواب .

١. المقطعات .
  ٢. أقسام القرآن .
  ٣. المحكمات والمتشابهات .
  ٤. مبحث الناسخ والمنسوخ .
  ٥. تنوع أساليب القرآن الكريم<sup>٢</sup> .
- أوليات القرآن :**

فهرس أوليات القرآن الكريم طويل جداً ، فالقرآن  
 أول كتاب في الكتب السماوية ، رسم على ألواح القلوب  
 معاني الإرشاد والهداية ، تولى الله حفظها وبيانها ، فقدم حلاً  
 ناجعاً لجميع قضايا الحياة ومشاكلها ، وأقام المجتمع  
 الإنساني على أساس النصفة والعدل ، والحب الإلهي تأسيساً

<sup>١</sup> الفوز الكبير في أصول التفسير ص/١٩ .

<sup>٢</sup> مطالعة القرآن ص/٢٣٣ .

ناجحاً ، وفتح أمام الإنسانية آفاقاً جديدة للتفكير والتدبير ،  
 وبصرف النظر عن هذه المباحث المهمة نريد أن نتناول تحليل  
 الدكتور محمد إقبال المبني على الحكمة والفكر أن القرآن  
 هو أول كتاب كشف المصادر الأربعة للعلم والشعور والفكر  
 والتأمل ، وألقى الضوء على تفاصيلها ، أي كشف القرآن  
 لأول مرة حقيقة الوحي كسفا واضحا ، وركز على أهمية  
 التاريخ وقيمه ، وقال قولاً فصلاً في علم النفس ، فالقرآن هو  
 صحيفة العقل والفهم ، بعث في الإنسان فكرة دراسة  
 الفطرة، وبتعبير آخر - هذه أربعة عناوين تبرز منها أولوية  
 القرآن على مستوى العقل والفكر :

١. الوحي .
٢. التاريخ .
٣. علم النفس .
٤. دراسة الكون .

هذه ينابيع أربعة للعلم والحكمة ، تترتب منها خطة  
 الحياة العملية بالنظر إليها ، فمن استفاد منها بقي حياً يرزق ،  
 ومن أعرض عنها أصيب بالذلة والهوان.<sup>١</sup>

**فكرة التأمل في الظواهر الكونية في القرآن لتقوية الإيمان**

أعظم مزية للقرآن الحكيم أنه يبعث النوع البشري  
 سلباً وإيجاباً على دراسة ومشاهدة الظواهر الكونية ،  
 واستعراضها بالتفصيل ، ويدعو أيضاً إلى دراسة منتظمة

<sup>١</sup> مطالعة القرآن للشيخ محمد حنيف الندوي .

لنشأتها ونظمها ، والتوصل إلى الله عز وجل بالاكتشاف عن  
علل وأسباب هذه الأشياء والحوادث .

ومن مزاياه إثبات الغايات الأساسية للإسلام ومعتقداته  
الأصلية أي التوحيد والرسالة ويوم الآخرة وتقديم دلائل نظام  
الكون على صدقها ، وإتمام الحجّة على منكري الحق كما  
جاء شرحه بمناسبة أخرى في قوله تعالى : ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ  
لِّلْمُوقِنِينَ ۖ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (سورة الذاريات  
الآيتان/ ٢٠ - ٢١) وترغيب المسلمين بصفة خاصة في تسخير  
الموجودات أي الاستفادة مما يوجد في أشياء الكون من فوائد  
طبيعية وحياتية في صورة قوانين الفطرة ، وتوجيه الحياة  
الإنسانية إلى أحسن طريق ، وكسب القوة لانتشار الإسلام ،  
لتتحقق بها غايات الخلافة من الأرض ، وإصلاح الناس على  
جميع المستويات .

#### تنوع مباحث القرآن الكريم :

يشتمل القرآن على آيات الترغيب والترهيب ، والوعد  
والوعيد ، والموعظة والنصيحة ، والتذكير والأحكام ،  
ويحتوي كذلك على العقائد وأحكام الشريعة ، والقصص  
والأمثال ، وبيان حقائق الدنيا والآخرة ، وتوجد فيه إشارات  
إلى توضيح العلوم والفنون ، ورموز ونكت عالية للفصاحة  
والبلاغة ، توافق كل عصر وزمان ، وتتوصل إليها الإنسانية  
إلى الأبد ، كما تكون فيه توجيهات إلى علم الاقتصاد  
والمعاش ، والعمران ، والفلسفة ، والعلوم الطبيعية والحكمة  
وعلم النفس ، تتفق العالمين العلوي والأرضي ، فالقرآن دستور

خالد ونظام ثوري ، يحمل دقائق وأسراراً حكيمة ودقيقة  
وغامضة في ربط الآيات والسور القرآنية .

وقد وعد الله بحفظ القرآن الكريم بقوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ  
نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ، فإن صيانتته وإن كانت من  
عنده ، لكن الله جعل الناس سبباً لحفظه وصيانتته ، وخلده  
بتلاوة مآت آلاف من المسلمين وحفظه ، وبقرائه في صلاة  
التراويح ، ونقله إلى لغات العالم غير العربية ، وقد صار من  
هذه الوسائل حفظ القرآن محكماً وموثقاً لا يمكن لفريق  
من الأشرار أن يخل بجزء منه .

وقد ألفت تفاسير كثيرة في اللغة العربية ، كانت  
أيضاً من وسائل حفظه ، ثم دونت كتب التفسير مترجمة  
ومفسرة في لغات العالم الأخرى .

الواقع أن القرآن كتاب دعوي وتربوي ، يدعو إلى  
الحق ، ويكشف الحقائق ، ويدعو الإنسان إلى التحلي  
بالصفات العالية ، وإطاعة ربه والشكر له والابتهاال إليه ،  
فكان أسلوبه في هذا الباب أعلى وأرفع وأرشد رعاية للطبيعة  
الإنسانية والنفسية ، تكمن فيه وسائل العلم والفن التي  
توضح مراد الكلام ، وتؤثر في النفوس وتأخذ بمجامع  
القلوب والعقول ، وتبرز خصائص البيان وبلاغة نصوص  
القرآن ، فمثلاً النحو والصرف والبلاغة والمعاني ، والخطابة  
والوعظ ، وغيرها من فنون التجويد والقراءة والتصوير الفني ،  
والتاريخ والقصص التي تجذب النفوس قد أودعت فيه ،  
وتتجلى فيه جوانب مختلفة للفكر الإنساني ، والنفسية  
الإنسانية والدراسات ، وجوانب تتصل بالحياة العملية



للإنسانية ، ورد ذكرها في القرآن بمناسبة مختلفة ،  
ونذكر هنا على سبيل المثال عدة جوانبه :

تعبير الرؤيا :

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ  
كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ❖ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا  
تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ  
لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (سورة يوسف الآيتان/ ٤ - ٥) حتى قال : ﴿يَا  
أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ (سورة يوسف  
الآية/ ١٠٠) .

علم الأمثال :

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾  
(سورة العنكبوت الآية/ ٤١) .

وقال : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً  
كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ❖ تُؤْتِي أُكْلَهَا  
كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ  
يَتَذَكَّرُونَ ❖ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ  
فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ (سورة إبراهيم الآيات/ ٢٤ - ٢٦) .

علم الأخلاق :

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ  
ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ  
تَتَذَكَّرُونَ ❖ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ  
بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا  
تَفْعَلُونَ﴾ (سورة النحل الآيتان/ ٩٠ - ٩١) .

وقال : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ (سورة الرحمن

الآية/٦٠)

علم النفس :

قال الله تعالى : ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾

(سورة الروم الآية/٣٠) .

علم السياحة والرحلة :

قال الله تعالى : ﴿ أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا

كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا

كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ

كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ (سورة فاطر الآية/٤٤) .

الاكتشافات السماوية :

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ

بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ (سورة الفرقان الآية/٦١) .

الوثائق التاريخية :

قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي

الْأَلْبَابِ ﴾ (سورة يوسف الآية/١١١) .

علم الاقتصاد :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا

لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ﴾ (سورة الأعراف الآية/١٠) .

وقال : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا

مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (سورة الجمعة

الآية/١٠)

وقال : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ  
وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ تَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾  
(سورة الأعراف الآية/٣٢) .

وقال : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (سورة آل عمران  
الآية/٣١)

### الأسلوب العلمي :

قال الله تعالى : ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ  
تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (سورة  
الحجرات الآية/٦)

فالصناعات التي عمت هذا العصر المتطور يأتي  
ذكرها ضمن كثير من الأمور المهمة من القرآن .  
اللباس الإنساني :

قال الله تعالى : ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ  
وَسَرَائِلَ تَقِيكُمْ بِأْسُكُمْ﴾ (سورة النحل الآية/٨١) .  
قول الله عن التغذية :

قال الله تعالى : ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ  
الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ (سورة البقرة الآية/٢٢) .  
الصناعات المعدنية :

قال الله تعالى : ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾  
(سورة سبأ الآية/١١) .

وقال : ﴿أَثُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ  
الصَّدْفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آثُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ

﴿قَطْرًا﴾ (سورة الكهف الآية/٩٦) .

وهناك كثير من العناوين مثل ذلك يتعرض لها الإنسان في حياته الدنيا ، وتوجد إشارات إليها حسب الأحوال والظروف في القرآن الكريم<sup>١</sup>.  
شمول القرآن الحقائق المتنوعة للحياة والكون :

يقول العلامة السيد أبو الحسن علي الحسن الندوي :  
"الدارس المنصف من ذوي الفطرة السليمة - الذي لا يجمد جمود الجاهلين ولا يخضع لكشوف العلم خضوع المستسلمين المنبهرين - يدهش عند ما يطلع على هذه الحقيقة العجيبة حقاً ، وهي أن هذا الكتاب رغم كونه قد نزل على رسول أمي قبل أربعة عشر قرناً من الزمن في البيئة العربية المحدودة المنعزلة عن دنيا العلم والمدنية ، احتوى على عدد من الحقائق التي تتعلق بالتاريخ والجغرافية والطبيعة والفلك والأجرام السماوية وعلم الحياة ، والطب ، وخلق الإنسان وتكوينه وتركيب أعضائه وغيرهما من كثير من المعارف والعلوم التي انكشف عنها في القرون الأخيرة معلومات وحقائق ، وتغيرت أوضاع العلم البشري تغيراً جذرياً ، وليس فيه ما أثبت العلم الحديث ، وكشوفه خلافه ومنافاته للواقع ، بل قد وردت فيه حقائق ولفترات لم يكشف عنها العلم إلا قريباً ، ولم يبلغ إليه إلا بالأمس .  
إن تفصيل هذا الإجمال لا يقتضي كتاباً واحداً ، بل

<sup>١</sup> نماذج خارقة للإعجاز القرآني للسيد أحمد وميض الندوي ص/١٦٢ - ١٦٥

سلسلة كتب ومؤلفات ، فنكتفي هنا بشهادة واحدة لباحث فرنسي فاضل ، فقد صدر قريباً للأستاذ الفرنسي الباحث موريس بوكائي (Maurice Bucaille) في كتابه (The Bible, The Quran And Science) وترجمته العربية باسم "دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة" ، يقول فيه المؤلف الفاضل :

"لقد أثارت هذه الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقة في البداية ، فلم أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير - إلى هذا الحد - من الدعاوي الخاصة بموضوعات شديدة التنوع ، ومطابقة تماماً للمعارف العلمية الحديثة ، وذلك في نص كتب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً<sup>١</sup>."

ولقد وصل المؤلف بعد مباحث قيمة تستحق الدراسة حول خلق السماوات والأرض ، وإيجاد هذا الكون ، والأجرام الفلكية ، وطبيعة الأجرام السماوية وتطور العالم السماوي وغزو الفضاء ودورة الماء والبحر وتضاريس الأرض والجو الأرضي وعالم النباتات والحيوانات ، ونشأة الحياة والتناسل الإنساني ، وتربية الجنين والحوادث التاريخية الكبيرة (كطوفان نوح ، وتحديد زمن إقامة بني إسرائيل في مصر ، وخروج سيدنا موسى عليه السلام من مصر وتحديد فرعون موسى ، وكيفية هلاكه وغير ذلك<sup>٢</sup> وبعد عقد موازنات بين

<sup>١</sup> دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، لموريس بوكائي (طبع دار المعارف - القاهرة) ص/١٤٤ .

<sup>٢</sup> انظر لهذه المباحث العلمية بتفصيل ، الكتاب المذكور من ص/١٥٧ إلى ص/٢٧١ .

القرآن الكريم وصحف العهد القديم في ضوء الكشفوف الجديدة في عالم الطبيعة والفلك وعلم الحياة ، والطب والتاريخ وصل إلى هذه النقطة الحاسمة .

"إن مقارنة عدد من روايات التوراة مع روايات نفس الموضوعات في القرآن تبرز الفروق الأساسية بين دعاوي التوراة غير المقبولة علمياً وبين مقولات القرآن التي تتوافق تماماً مع المعطيات الحديثة"<sup>١</sup>.

ويختتم المؤلف كتابه العلمي الجيد بهذه السطور التالية :  
 "ولا يستطيع الإنسان تصور أن كثيراً من المقولات ذات السمة العلمية كانت من تأليف بشر ، وهذا بسبب حالة المعارف في عصر محمد - ﷺ - لذا فمن المشروع تماماً أن ينظر إلى القرآن على أنه تعبير الوحي من الله ، وأن تعطى له مكانة خاصة جداً ، حيث إن صحته أمر لا يمكن الشك فيه ، وحيث إن احتواءه على المعطيات العلمية المدروسة في عصرنا تبدو كأنها تتحدى أي تفسير وضعي ، عقيمة حقاً المحاولات التي تسعى لإيجاد تفسير للقرآن بالاعتماد فقط على الاعتبارات المادية"<sup>٢</sup>.

هكذا فإنه لا تأثير على القرآن الكريم للميول والنزعات البشرية الموقته من اقتصادية واجتماعية وسياسية ، وإن هدايته وإنارته للطريق في هذه الأمور العلمية أيضاً أبدية حتمية قاطعة"<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، ص/ ٢٨٦ .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ، ص/ ٢٨٦ .

<sup>٣</sup> المدخل إلى الدراسات القرآنية ص/ ٤٥ - ٤٨ .

## الباب الثامن

### وجوه الإعجاز في القرآن الكريم

١. قال كمال الدين محمد بن علي بن الزمكاني : وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به ، لا مطلق التأليف ، بأن اعتدلت مفرداته تركيباً وزناً ، وعلت مركباته معنىً ، بأن يوضع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والمعنى أي قد أودعت في مفردات القرآن ومعانيه ميزة ، وهي اختيار مرتبة عليا فيهما من حيث الصورة والشكل والتعبير عن المراد .
٢. وقال قوم : وجه إعجازه ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلية ، وقد تحققت هذه التنبؤات كاملة ، كما ورد عن أهل بدر : «سِيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ» (سورة القمر الآية/٤٥) ، وقد أخبر القرآن عن فتح الروم الذي لم يكن في الحساب ، قال تعالى : «الْمِ ❖ غُلِبَتِ الرُّومُ ❖ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ» (سورة الروم الآيات/١ - ٣) .
٣. وقال آخرون : وجه إعجازه ما تضمنه من الإخبار عن قصص الأولين وسائر المتقدمين ، حكاية من شاهدها وحضرها ، حتى كأن النبي ﷺ رآها بأم عينه ، رغم أن التاريخ قد نسيه قبل زمان ، قال الله تعالى : «تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ» (سورة هود الآية/٤٩) .

٤. وقال آخرون : ما تضمنه من الإخبار عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل ، أي إنه لم يسلط الضوء على أحوال الأمم الماضية فقط ، بل كشف عن مواضع الضعف النفسية للأمم الباقية ، وأخبر بالأراء والشبهات التي كانت كامنة في صدورها ، قال الله تعالى : ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ (سورة آل عمران الآية/١٢٢) وقال : ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ (سورة المجادلة الآية/٨) .

٥. وقال ابن عطية : الصحيح والذي عليه الجمهور والحذاق في وجه إعجازه أنه بنظمه وصحة معانيه ، وتوالي فصاحة ألفاظه ، يشعر به كل إنسان ، فثبت أن هذا الكلام نزل من الله تعالى الذي أحاط بكل شئ علماً ، وأحاط بالكلام كله علماً ، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى ، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره ، والبشر يعمهم الجهل والنسيان والذهول ، ومعلوم ضرورة أن أحداً من البشر لا يحيط بذلك ، فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة .

٦. وقال الإمام فخر الدين الرازي : وجه الإعجاز الفصاحة ، وغرابة الأسلوب ، والسلامة من جميع العيوب ، وقال القاضي أبو بكر : وجه إعجازه ما فيه من النظم والتأليف والترصيف ، وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ، ومباين لأساليب خطاباتهم ، والواقع أن هذا التنوع لأساليب البيان لا يطلق عليه الصدفة ، بل يوجد



فيه نوع خاص من الطراوة ، والنقاء والموسيقى ، وهو نموذج عال للإبداع والابتكار والندرة ، لأنه كلام بديع السموات والأرض .

٧. وقال أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي في مؤلفه مفتاح العلوم : اعلم أن إعجاز القرآن يدرك ، ولا يمكن وصفه ، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها ، وكالملاحة والجمال يُشعر به ، ولا يمكن وصفه ، وكما يدرك طيب النغم العارض لهذا الصوت ، ولا يدرك تحصيله لغير ذوي الفطرة السليمة إلا بإتقان علمي المعاني والبيان والتمرين فيهما .

٨. وقال أبو حيان التوحيدي : سئل بندار الفارسي عن موضع الإعجاز من القرآن ، فقال : هذه مسألة فيها حيف على المعنى ، وذلك أنه شبيه بقولك : ما موضع الإنسان من الإنسان ؟ فليس للإنسان موضع من الإنسان ، بل متى أشرت إلى جملته فقد حققته ، ودلت على ذاته ، كذلك القرآن ، لشرفه لا يشار إلى شيء فيه ، إلا وكان ذلك المعنى آيةً في نفسه ، ومعجزةً لمحاوله ، وهدياً لقائله ، وليس في طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله في كلامه ، وأسراره في كتابه ، فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده .

وقال أبو الحسن حازم بن محمد الفرناسي : وجه الإعجاز في القرآن من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحاءها في جميعه ، استمراراً لا يوجد له فترة ، ولا يقدر عليه أحد من البشر ، وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم ، لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع أنحاءها في العالي منه ،

---

---

إلا في الشيء اليسير المعداد ، ثم تعرض الفترات الإنسانية  
فينقطع طيب الكلام ورونقه ، فلا تستمر لذلك الفصاحة في  
جميعه ، بل توجد في تفاريق وأجزاء منه .

الواقع أن هناك جوانب متنوعة لإعجاز القرآن  
الكريم، لا تكاد تنحصر في جانب ، فبعض الجوانب  
مشروحة ، وبعضها لا يمكن أن يدرك كنهها العقل  
الإنساني، ولا تزال تتجلى جوانبه الإعجازية إلى يوم القيامة  
بمشيئة الله تعالى<sup>١</sup>.

---

<sup>١</sup> الإتيان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق  
محمد أبي الفضل إبراهيم ج/٤ ص/٤ - ١٥ بتلخيص ، النوع الرابع والستون في  
إعجاز القرآن .

## الإعجاز البياني في القرآن

تجلى الإعجاز القرآني في أداء المعاني المؤثرة الساحرة التي تأخذ بمجامع القلوب بوجه خاص ، فإن في جملة تركيباً معنوياً ، وسلاسة العبارة ، وسهولتها وحلاوتها تارةً ، وفخامتها وكيفيتها الساحرة والأسلوب المحرّك للعواطف تارةً أخرى ، هذه الخصائص لا تدل إلا على إعجاز القرآن ، ويظهر هذا الإعجاز في سلاسة الآيات المعنوية ، والتعمق في حسن أدائها وفخامة التطور الإعجازي، فقد تكوّن سياج من ألفاظ القرآن ومعانيه وغاياته ، فيغلب عليه لون الاتزان والوضع الصحيح ، وذلك من حلاوة اللغة ، وقوة الفصاحة والبلاغة وندرة الإيجاز ، وجاذبية المعاني وحلاوة النظم ولذة الجمال وموسيقى الكلمة وتأثيرها الباهر ، يوجد نظم لطيف بين الآيات القرآنية ويكون دقيقاً إلى حد كبير ، يحتاج القارئ للوصول إليه إلى تأمل وتدبر بالغين ، فكل آية تحمل ذوقاً أدبياً ومعنى خاصاً ، فالقرآن وإن نزل في ٢٣ عاماً قدر الحاجة شيئاً فشيئاً ، لكن كان يكتب ويدون حسب توجيه رسولنا محمد ﷺ ، فإن نزوله غير المرتب يحمل ترتيباً حسناً ، ويمتزج كلامه بالقوة والحلاوة واللطافة ، وإن فيه دقائق للعلم والفن لا يفهمها رجل عادي ، وتحتاج معرفتها إلى نبغاء العلوم والفنون .

ويكشف هذا الأدب الرباني أسرار الكون وتتجلى منه إشارات الحكمة والموعظة ، ويظهر كذلك منه سمو الخلق وطهارة العقل والتطور الروحي الواسع مع كمال الفصاحة والبلاغة ولطافة التأمل والتدبر .

**إعجاز فواصل القرآن :**

إن النون والميم مع حروف اللين في ختام الفواصل القرآنية تحدثان الخفة والسرور ، وقد يكون اتجاه الكلمات القرآنية وترتيبها وتركيبها في إنشاء الاهتزاز وإيقاع الموسيقى بتمديد النفس سهلاً وحلواً ، وهذه الفواصل تحدث جمال الموسيقى من نغمة الصوت ، وتزداد نبرات الصوت وروعة الموسيقى من خلال حركات الحروف وترتيبها الطبيعي ، ويظهر من رنتها حسن الإشارات ويكون النفس نشيطاً ، ويمتلئ سروراً وبهجةً ، ويخرج الصوت الرخيم من القواعد النحوية والصرفية في حركات الفواصل والكلمات ، وتتجلى منه اللذة العقلية ، ويتشكل الشعور الملون لأسلوبه في صورة متحركة ، فهذا الأسلوب الساحر للفواصل في سور القرآن المختلفة يمتع ذوق الإنسان وذهنه ، فمثلاً ورد في آخر سورة مريم : إداً وهداً ، وسلاماً وكراماً في سورة الفرقان ، وطين وساجدين في سورة ص ، كذلك وردت فواصل موسيقية مع حسن السلاسة وحلاوة العبارة في السور القصيرة وملاحظة القوافي القريبة الأوزان والمخارج في السور الطويلة ، فمثلاً توجد روعة معنوية مع جاذبية لفظية في سور الشمس والقارعة والفيل والكافرون ، بحيث يملك القرآن القلوب والعقول

فينطق به القارئ مباشرة ، هكذا تؤثر مناهج فواصل جميع السور بطريقتها المنقطعة النظير ، تأثيراً باهراً ، إن تغير الفواصل وتمائل حرف الروي وتقاربه ثم أساليب الفواصل المتفردة أيضاً لا مثيل لها ، اقرؤا على سبيل المثال في سورة الانفطار : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ❖ وَإِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَشَرَتْ ❖ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ❖ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ❖ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ❖ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ❖ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ❖ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ❖ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ ❖ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ❖ كَرَامًا كَاتِبِينَ ❖ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ❖ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ❖ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ❖ يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الذِّينِ ❖ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ❖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الذِّينِ ❖ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الذِّينِ ❖ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ (سورة الانفطار الآيات/١ - ١٩) إن فواصل خمس آيات في بداية هذه السورة تنتهي على "رت" : انفطرت ، انتشرت ، فجرت ، بعثرت ، أخرت ، ثم جاءت فاصلة "م" ثم فاصلة "ك" في "فعدلك وركبك" ، ثم فاصلة "ن" في الدين ، لحافظين ، كاتبين ، تفعلون ، ثم بعد آيتين فاصلة "م" : في : نعيم وجحيم ، ثم في أربع آيات فواصل : "ين" في الدين وغائبين ، وانتهت السورة على الهمزة والباء ، وإن في أساليب هذه الفواصل إشراقة ممتعة تجلت في السور القصيرة والطويلة".<sup>١</sup>

<sup>١</sup> فنون القرآن ص/ ٨٥ - ٨٧ ، للشيخ السيد قدرة الله الباقي

## الإعجاز العددي الباهر في القرآن

كلما تقدمت الدنيا في مجالات العلوم الطبيعية تجلت جوانب جديدة من القرآن أمام الناس ، وقد أحدثت أجهزة الإعلام الحديثة واختراع الكمبيوتر انقلاباً هائلاً في دنيا المعلومات والدراسات ، وقد عرّف بعض المحققين العرب بجانب جديد من الإعجاز القرآني ، وهو الإعجاز العددي للقرآن ، أي تناولوا الإعجاز القرآني في ضوء الإحصائيات تناولاً كبيراً .

نذكر هنا نماذج عديدة للإعجاز العددي في القرآن

الكريم<sup>١</sup> :

استعمل الله تعالى في القرآن لمخلوقاته كلمة "قل" ٢٣٣/مرة ، واستعمل كذلك للملائكة والجن وغيرهم أيضاً نفس الكلمة ٢٣٣/مرة ، هذا انسجام معنوي باهر ، يعلم منه سلامة القرآن من التحريف تماماً ، صرح القرآن بأن

<sup>١</sup> صدر مقال للشيخ حسن عابدين في مجلة الرابطة الصادرة من رابطة العالم الإسلامي عام ١٣٩٥هـ ، كشف فيه صدق القرآن ونزوله من الله تعالى في ضوء الأرقام ، وتحدث عن هذا الموضوع العالم الشهير ، الداعية المفكر عبد الرزاق نوفل في كتابه : الإعجاز العددي في القرآن ، وبناءً على دراسة الشيخ نوفل أعد العالم الجليل الشيخ عبد الرؤوف الجهندانغري الرحماني (من دولة نيبال) بحثاً وجيزاً ، نشرته مجلة السراج في عددها الممتاز عن الكتاب والسنة .

السموات سبع فاستعمل جملة : "سبع سماوات" سبع مرات ،  
وهذه المواضع السبعة كما يلي :

١. ﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ (سورة البقرة الآية/٢٩) .
٢. ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (سورة حم السجدة الآية/١٢) .
٣. ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ (سورة الطلاق الآية/٢١) .
٤. ﴿نُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتِ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ (سورة الإسراء الآية/٤٤) .
٥. ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (سورة المؤمنون الآية/٦٨) .
٦. ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ (سورة الملك الآية/٣) .
٧. ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ (سورة نوح الآية/١٥) .

وردت كلمة الإيمان ، والذين آمنوا ٥٢/مرة ، كما  
وردت كلمة الكفر ٥٢/مرة ، فالانسجام العددي بين الكفر  
والإيمان يوضح إعجاز القرآن الكريم .

اقرأوا نموذجاً آخر للإعجاز العددي ، قال الله تعالى  
في سورة التوبة : ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي  
كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ  
الَّذِينَ الْقِيَمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ  
كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾  
(سورة التوبة الآية/٣٦) فكما ذكر الله كلمة "الشهر" ضمن  
ذكر اثني عشر شهراً للسنة ، كذلك استعمل كلمة "الشهر"

اثنتي عشرة مرةً في القرآن، انظروا إلى هذا الاتساق العجيب .  
وردت كلمة "الدنيا" في القرآن ١١٠/مرة ، فوردت  
كذلك كلمة "الآخرة" ١١٠/مرة ، وذكرت كلمة  
"الملائكة" ٨٨/مرة ، فذكرت كلمة "الشياطين" مثل ذلك ،  
وردت كلمة "الحياة" ١٤٥/مرة ، فكذلك كلمة "الموت"  
١٤٥/مرة ، وردت كلمة "الناس" ٥٠/مرة ، فكذلك كلمة  
"الرسول" الذين يبعثون إلى الناس ٥٠/مرة .

هناك بعض الكلمات كان انسجامها بليغاً جداً .  
مثلاً "إبليس" ورد ذكرها ١١/مرة ، فجاء التعوذ من  
إبليس ١١/مرة ، وهو يشير إلى جهة معنوية غريبة ، و كلمة  
"الإنفاق" وردت ٧٣/مرة ، فكذلك كلمة "الرضا" ٧٣/مرة ،  
وهي تدل على أن الإنفاق المطلوب في سبيل الله ابتغاء مرضاة  
الله تعالى .

وردت كلمة "الضالون" في القرآن ١٧/مرة ، وكلمة  
"الموتى" كذلك مثل ذلك ، كأنهما تشيران إلى أن الضلال  
موت ، والضالون محرمون من سعادة الحياة الحقيقية ،  
وكلمة "الزكاة" ٣٢/مرة ، وكلمة البركة مثل ذلك ، التي  
تشير إلى أن أداء الزكاة لا ينقص المال ، بل يزيد البركة ،  
وكلمة "السحر" ٦٠/مرة ، وكلمة "الفتنة" مثل ذلك ، كأنها  
تشير إلى كون السحر فتنةً ، ووردت كلمة "اللسان"  
٢٥/مرة ، وكلمة "الموعظة" كذلك ٢٥/مرة ، كأن المطلوب  
هو أن ينطق الإنسان بالموعظة والنصيحة ، ووردت كلمة  
"الذهب" ٨/مرة ، وكذلك كلمة "الترف" مثل ذلك ، وكلمة  
العقل ٤٩/مرة ، فكلمة النور ٤٩/مرة ، وكلمة الشدة



١١٤/مرة وكلمة البصر ١١٤/مرة ، وجاء اسم محمد أربع مرات كما وردت كلمة الشريعة مثل ذلك ، وكلمة الرجل ٢٤/مرة ، فكلمة المرأة مثل ذلك ، وكلمة الجهر ١٨/مرة فكلمة السر ١٨/مرة أيضاً .

وإن كلمة الأبرار ضعيف الفجار ، فجاءت كلمة الفجار ٣/مرات وكلمة "الأبرار" ست مرات ، كأنهما تشيران إلى أن يكون عدد الأبرار كثيراً من الفجار ، وكلمة المغفرة وردت ضعفين من كلمة الجزاء ، فوردت كلمة الجزاء ١١٧/مرة ، وكلمة المغفرة ٢٣٤/مرة ، فإن المغفرة أكثر وأوسع من أصل الجزاء ، وورد ذكر خلق الإنسان من نطفة وتراب ، فكما ورد ذكر النطفة ١٢/مرة ، كذلك وردت كلمة الطين مثل ذلك ، ويجزى الإنسان على أفعاله ، فكما كلمة الفعل في القرآن ١٠٨/مرة ، كذلك كلمة الأجر ١٠٨/مرة ، وكلمة "الحساب" ٢٩/مرة ، فكلمة العدل والقسط أيضاً مثل ذلك ، أي تكون المحاسبة بعدل ونصفه ، وكلمة القرآن ومشتقاتها وردت ٧٠/مرة فكذلك الوحي وما في معناه ، وكلمة "الإسلام" وما اشتق منها ٧٠/مرة .

قال الشيخ عبد الرؤف الرحماني :

"هذه النسبة الرياضية والتوازن العددي الذي تجلى في

مختلف نواحيه ، يوضح الحقائق التالية :

١. القرآن ليس من صنع الإنسان .
٢. لم يحدث تغيير في القرآن ، ولم يقع فيه تحريف .
٣. القرآن معجزة مستقلة دائمة ، مضت عليه أربعة عشر

قرناً ، لكن لم يقبل تحديه أحد".<sup>١</sup>  
 وذكر أحد الباحثين عن نماذج باهرة للإحصائيات  
 القرآنية :

سورة الحديد رقمها/٥٧ : و Stabe Isotop ٥٧ .  
 سورة الانشقاق : ٨٤ ، هذا مبعث حيرة واستغراب ،  
 أن عنصر البلونيم : ٨٤ ، وهو يخلق خارقة على انشقاق هذا  
 العصر .

وردت كلمة الإنسان في القرآن الكريم ٦٥/مرة ، وهناك  
 كلمات مشابهة لها ، مثل التراب : ١٧/مرة ، والنطفة  
 ١٢/مرة ،

والجنين غير المكتمل ٦/مرة ، والعلقة ١٢١/مرة ، والعظم  
 ١٥/مرة ، والمضغة ١٢/مرة ، فهي بمجموعها ٦٥/مرة .

وردت الأرض ١٣/مرة ، والبحر ٢٣/مرة ، وظهرت  
 نسبة البر والماء على الأرض في أسلوب جميل :

الأرض :  $١٣ \times ١٠٠ = ٤٥$  = ٢٨,٨٨٨٨٨٨٨ (البر) .

الماء :  $٢٣ \times ١٠٠ = ٤٥$  = ٧١,١١١١١١ (البحر).<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> إن الإحصائيات التي سجلها الشيخ عبد الرؤوف الرحمانى في مقاله نقلاً من  
 كتاب : الإعجاز العددي في القرآن للأستاذ عيد الرزاق نوفل : ذكر فيها عدد  
 الشدة والصبر ٢٠١ ، وعدد الملائكة والشياطين ٨٦ ، رغم أن القائمة المنشورة  
 باللغة الإنجليزية ذكر فيها عدد الشيطان والملائكة ٨٨ ، وعدد الشدة والصبر  
 ٤١١/مرة .

<sup>٢</sup> انظر للتفصيل : نماذج خارقة للإعجاز القرآني للسيد أحمد وميض الندوي :  
 . ١٨٥

## الباب التاسع من تعاليم القرآن الكريم

الدعوة إلى الأخلاق الحسنة:

الأخلاق جمع خلق، هو سلوك إنساني ينجر به الإنسان نشاطاته بسهولة، ويكون وراءه عواطفه، التي تحمل في بعض الأحيان صورة فاسدة، فإذا أصلحها الإنسان ووقاها من الصفات الفاسدة المكروهة استحق الثناء والفخار.

تدعو التوجيهات القرآنية إلى التخلق بالأخلاق الفاضلة المحببة، فلا تسلب من الإنسان حريته الشخصية، بل تركز على إقامة العدل والمواساة والتسامح في المجتمع الإنساني، ليزداد الشعور بالسلوك الحسن في الناس.

إن آية جامعة لمعاني الأخلاق شرحت تعاليم الأخلاق الأساسية كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة النحل الآية/٩٠) قد اعتبر الله في هذه الآية تعاليم القرآن الأساسية العدل والإحسان، ونهى عن الفحشاء والأمور القبيحة، لتعم الأخلاق الأنسانية بمستوى رفيع، ولا تتعرض للإهمال<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> محاضرات القرآن للدكتور السيد وقار أحمد الرضوي ص/٣٩٨، كراتشي، باكستان.

وردت الدعوة إلى الأخلاق والسلوكيات الإنسانية الرفيعة في مواضع شتى من القرآن الكريم ، وكل ذلك في أسلوب بسيط ، أخذ ومؤثر في القلوب .

### سورة الفاتحة :

افتتح القرآن بحمد رب العالمين و الشاء عليه ، و بدئ بسورة تشتمل على الإيمان بأحكامه ، والاستعانة بالله عزوجل ، وهي تُعرف بسورة الفاتحة ، وتتكون من سبع آيات ، وتقرأ في كل ركعة من كل صلاة ، فالعلاقة التي تكون بين العبد والرب تظهر منها ، ويعترف بها مراراً وتكراراً في كل يوم وليلة ، وبهذه السورة يستعين الإنسان (المخلوق الذي يحمل صفات وخصائص متنوعة) من الله رب العالمين خالق الكون ومالكه ، ويعبده قال الله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❖ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ❖ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ لِلَّهِ ❖ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ❖ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ❖ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (سورة الفاتحة الآيات/ ١ - ٧) .

ففي الآية الأولى : الحمد لله رب العالمين ، بيان لشكر العبد على نعم الله تعالى و الاعتراف بها ، بحيث إن الحمد و الشاء يليق بالذات الإلهية التي نسميها : الله ، وهي خالق جميع المخلوقات ، ومربيها و ناصرها رب العالمين ورب الكائنات .

الرحمن الرحيم : أهم صفاته : الرحمة والفضل ،

يوفر الله لجميع الخلائق أسباب الراحة والخير ، ويرحمها بأنه لا غاية لرحمته وفضله .

**مالك يوم الدين :** فالله عزّوجل ينظر أيضاً مع هذا أن عبده يعترف برحمة ربه ويؤمن بنعمه أم لا ، ويعمل بأحكامه وشريعته أم لا ؟ فقد عين يوماً لمحاسنته ، يفيض فيه حياة جديدة على الكون بعد فناء الحياة الحالية ، ويكون كل من الإنس والجن في بداية تلك الحياة الجديدة أمام ربه ، ويقوم أمام أحكام الحاكمين خالق الكون ومالكه العلي العظيم ، ويكون ذلك اليوم الذي يحاسب فيه الناس على أعمالهم الدنيوية ، أمام رب العالمين ، مالك يوم الدين ، الذي هو المالك والحاكم وحده في ذلك اليوم ، قال الله تعالى : **﴿لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾** (سورة غافر الآية/١٦) فينبغي لكل عبد منذ الآن أن يستعد لذلك اليوم ، وينجز الهدف الذي توخاه الله عزّوجل من خلق الإنسان ، أي يطيعه ويشكره .

**إياك نعبد :** أي يلتمس منه أنه لا يعبد إلا إياه .

**وإياك نستعين :** وبما أن الإطاعة الصادقة والاجتناب عن النواهي صعب ، يتطلب فيه العبد توفيق ربه ، واستعانتة الخاصة ، وهذه الاستعانة لا تصدر إلا من الله تعالى ، وهو قادر على كل شئ ومالكه ، فإياك نستعين ، فاهدنا هداية كاملة ، واهدنا الصراط المستقيم كما أنعمت على عبادك الذين كانت بهم عناية خاصة ، **﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾** وأبعدنا من سلوكيات الذين غضبت عليهم ، أو عصوا عصياناً كبيراً **﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾** .

فبهذا الأسلوب تقدّم هذه الآيات السبع خلاصة الغاية التي تبيّن الرابطة بين العبد والرب ، وهذه السورة وردت في بداية القرآن ، فسميت بسورة الفاتحة ، ونظراً إلى جامعيتها جعلت هذه السورة دعاءً يظهر به العبد عبوديته أمام ربه مراراً ويستعينه .

إن عدد السور التي يشتمل عليها القرآن بعد سورة الفاتحة ١١٣ ، وهي تتضمن تذكيراً وهدايةً في الشؤون التي لها فضل علاقة بالحياة الإنسانية .  
سورة "اقرأ" أول سورة نزولاً ، لكنها سورة العلم :

إن أول آيات نزلت في سور القرآن المجيد هي آيات ابتدائية من سورة العلق، وهي تبتدئ من "اقرأ"، قال الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ❖ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ❖ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ❖ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ❖ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ❖ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَن لِيْقَطَعِي ❖ أَنْ رَأَهُ اسْتَعْنَى ❖ إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ (سورة العلق الآيات/ ١ - ٨) .

جاء التأكيد في هذه الآيات على ربط العلم باسم الله تعالى والاستفادة منه ، كذلك تبين هذه الآيات أعظم خصيصة للإنسان ، وبذلك تميز الإنسان عن سائر المخلوقات ، وهي الاستفادة من العلم وإصلاح الحياة وما يكتنفها من أمور وأوضاع ، إذا طالعنا هذا التأكيد في ضوء التاريخ الإنساني تجلّى لنا أن ما يتجدد من دراسات واكتشافات وتطورات في الحياة الإنسانية مدين لهذه الموهبة الإلهية ، أي فاق الإنسان المخلوقات الأخرى بالعلم والاستفادة منه ، الذي أكرمه الله

تعالى به ، بتفضيله على المخلوقات الأرضية الأخرى ، و ذكر الله ضمن موهبة العلم أيضاً أن الإنسان يمكن أن يبتلى بالغرور والكبر ، بالنظر إلى إعجاب النفس والشعور بالاستعلاء ، فيكون المجتمع الإنساني مركز أمراض عضال على الصعيدين الفردي والجماعي .

ربط العلم في أول سورة نزلت على النبي ﷺ بالله عزوجل ، كأنه يقول للناس مخاطباً إياهم : وإن تقدمتم في العلوم والصناعات تقدماً ملحوظاً ، واستفدت منها أيما استفادة ، لكن لا تنسوا أن هذه الميزة البارزة للعلم موهبة إلهية ، فالحاجة أكيدة إلى ربط العلم بالله عزوجل ، وبذلك تتم واجبات الشكر والطاعة ، وإذا كان العلم مرتبطاً بالله عزوجل كان سبباً لصلاح الحياة الإنسانية الفردية والجماعية ، وكان مصوناً من الفساد الذي ينشأ من الشعور بالنفس والإعجاب بها ، كان هذا أول درس من القرآن تلقاه الإنسان من رب العالمين ، وذلك في كتاب نزل قبل بداية العهد الآتي للتاريخ الإنساني ، وكان هذا العهد عهد انتشار العلم وازدياده في جوانب الحياة كلها ، و عهد تقريب العلاقات العالمية بين الناس ، وقد أمر ذلك في سورة من سور القرآن ، نزلت في بداية الأمر ، ورتب ترتيب جديد للسور نظراً إلى جميع مقتضيات الحياة الإنسانية ، وقدمت آيات سورة الفاتحة ، التي هي مقدمة الكلام الإلهي وتمهيد صالح له معناً ومفهوماً .

هذا الترتيب من حيث التلاوة والاستفادة ، وقد وضعت في بداية السور سورة الفاتحة التي تحمل درجة الأولوية بكل جهة ، وفيها دعاء ومناجاة للإيمان برب العالمين ، والاستعانة

به لإصلاح الحياة بالاعتراف بمننه وآلائه ، والوقاية من الضلال ، ثم وضعت سورة بعد الفاتحة ، وهي سورة جامعة وكبيرة وعظيمة ومفصلة ، تسمى سورة البقرة .

### سورة البقرة و سور القرآن الأخرى :

بُدئَتْ سورة البقرة ببيان أهمية وعظمة الكلام الإلهي ، قال : ﴿الْم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة البقرة الآيات/ ١ - ٥) .

تدل هذه الآيات البدائية على أن القرآن قانون ودستور من الله تعالى لإصلاح الحياة ، وأساسها أن يعتقد الإنسان عن الله اعتقاداً قلبياً ، ويؤمن بالأمور التي لم تشاهدها العيون ، إيماناً بالعلم الذي يحصل عليه الإنسان من حواسه ، ويقوم بضريبة الشكر في صورة العبادة على الحياة وتسهيلاتها التي وفرها الله تعالى له ، ومن أعمالها الأساسية أداء الصلاة التي هي صورة جامعة ومؤثرة للعبادة ، وإعانة ذوي الحاجة وإغاثة المهوفين في المجتمع الإنساني ، وهو نظام للمواساة والمساواة ، والإيمان بالقرآن والكتب السماوية السابقة ، التي تهدي تعاليمها وتوجيهاتها إلى طرق عبودية الإنسان واستسلامه أمام ربه ، والإيمان بالأنبياء المبعوثين إلى الناس لتبليغ رسالة الله تعالى ، والاعتراف بأن بعد هذه الحياة حياة يجزى فيها الإنسان جزاء أعماله في الدنيا ، والواقع أن الإيمان بالآخرة أحسن وسيلة لإصلاح الحياة الإنسانية ، وهذه المعاني تبين



سلوكيات الإنسان ومكانته العالية الرفيعة .  
ورد بعد هذه الآيات ذكر الأنبياء والرسل الذين بُعثوا  
قبل محمد ﷺ وذكر أممهم ، ثم بيان الأمور التي كانت مبعث  
إنزال غضب الله بعصيان أحكام الله تعالى ، بالإضافة إلى  
الأحكام اللازمة للحياة الإنسانية ، كما وردت في هذه السورة  
الطويلة الأمور التي تنشأ في الحياة الإنسانية من الحق والباطل ،  
وهي تشتمل على التذكير والتوجيه والموعظة في جوانب متنوعة  
لحياة الإنسان .

نزلت سور أخرى بعد هذه السورة مشتملة على  
توجيهات وهدايات مماثلة لها ، ومختلفة عنها ، بأسلوب مؤثر  
بليغ جداً ، بحيث يكون تأثيرها وجمال كلامها دليلاً على  
الكلام الإلهي ، ويضطر الإنسان بعد سماعه أو قراءته إلى أن  
يقول عنه : ما هذا قول البشر ، إنه كلام الله عز وجل ، فقد  
ذكرت فيه نماذج فضل الله وكرمه وقدرته في مواضع شتى ،  
كما ذكرت قصص الأمم الماضية وتعاملهم المشين مع  
أنبيائهم ، وكيف كان الأنبياء يعظونهم ويدعونهم إلى  
الإيمان والخلق الحسن ، وهي في منتهى البيان والبلاغة ،  
وكيف نزل العذاب على المجرمين ، فكان البيان القرآني  
أداة مؤثرة للهداية ، لكن هذا للذين يأخذون بالحيطه في  
حياتهم ، والذين لا يبالون بالتدبر فيه ، ويعجبون بأنفسهم ،  
فضلوا من المنهج المستقيم ويقضون حياتهم كالأنعام ، وليس  
هذا بمستغرب .

و كان الله قادراً على أن يختار لتذكيرهم أداة  
واضحة ومؤثرة ، تعين فطرتهم منذ خلقها على حالة واحدة

بحيث يكونون مسيرين مثل المخلوقات الأخرى ، ولم يكن فيهم خيار للإنسان ، ويكون الإنسان مضطراً ، ولا تظهر منه ميزة بارزة ، ونظراً إلى هذا جاء في القرآن الكريم : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ، فإذا كان الأمر كذلك لا تتجلى فيه صفة اختيارية للإنسان ، ولا تمتحن عواطفه و أعماله ، ولا تستمر سلسلة الجزاء والعقاب ، فكان القرآن كتاب هداية من الله تعالى ، يهدي الإنسان متميزاً بصفته البارزة ، ويذكره بأن لا يقول يوم القيامة : ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ .

فالذين ليس في حياتهم نصيب من التقوى ولا يبالون بغضب الله يعاقبون في الآخرة ، وإذا انكشفت عنهم نتائج حياتهم الفاسدة في الآخرة ويتذكرون ، ويلتفتون إلى إصلاح حالهم كانوا قد فاتهم الأوان ، ولا يجدون إلى ذلك سبيلاً إلا العقابة الوخيمة والعقاب الشديد ، كما أشار إليه القرآن في أكثر آياته .

## تعاليم القرآن الأساسية

إن الأديان والمذاهب التي ظهرت على وجه الأرض ،  
منها ما اختلقته أهواء الناس ، وهي ديانات مصطنعة ، ومنها  
ما قرره الله تعالى بطريق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة  
والسلام ، وسميت بالأديان السماوية ، فقد أمر القرآن  
باحفاظها إبقاءً على صورتها الأصلية ، واعتبر الديانات  
المصطنعة مزورة ، وسبباً للضلال العام ، وجعل غواية الناس  
كفراً برب العالمين ، وإشراكاً في ألوهية الله تعالى .  
فأول ما تركزت عليه الأديان السماوية هو إصلاح  
العقائد قبل العبادات والمعاملات والأحكام ، ودعا كل نبي  
بادي ذي بدء إلى الإيمان بالله واعتقاده خالق الكون  
ومالكة ، ومعرفة صفاته الصحيحة وقدسيتها واحترامها ،  
وعلم أمتة منهج عبادة الله وشكره ، وجعلها غاية خلق  
الإنسان في هذه الدنيا ، فكانت العبادة نقطة رئيسية لجهوده  
ودعوته ومساعيه .

أنزل الله رب العالمين على أنبياء هذه الأديان السماوية  
الكتب التي عنيت بالتوحيد والأعمال الصالحة عناية فائقة ،  
ثم حرّفها أتباعها على مرور العصور بأهوائهم ، وعملوا بها  
حسب ما دعت إليه أنفسهم ، فنزل القرآن وسدد الله به ما  
كان صحيحاً وموافقاً بآخر نبيه وآخر كتابه ، ووعد بحفظ

كتابه الأخير القرآن الكريم ، واستدرك ما فات في الأحكام الدينية التي كانت بالأمم المختلفة ، وكانت الحاجة فيها إلى تعديل لازم ، وأكملة بآخر نبيه ، فجعل الإسلام ديناً باقياً إلى يوم القيامة ، وكاملاً بآخر نبيه وآخر كتابه ، فالقرآن الذي هو مهيمن على الصحف السماوية ، وآخر الكتب السماوية الباقية خير دليل على هذا ، وتكرر هذا الموضوع بأساليب متنوعة ، بل الواقع أنه موضوع رئيسي لهذا الكتاب المعجز .

**عقيدة التوحيد :**

القرآن الكريم يدعونا أولاً إلى العقائد الصحيحة من بين معانيه الأخرى ، ويؤكد على شكر خالق الكون ومالكه وأداء العبادات وفق ذلك ، ويوجهنا إلى توجيهات لازمة عن الله العلي الكبير في الآيات الآتية ، قال الله سبحانه وتعالى :

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ❖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ❖ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ❖ يُحْيِي وَيُمِيتُ ❖ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ❖ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ❖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ❖ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ❖ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ❖ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ ❖ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ❖ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ❖ وَهُوَ مَعَكُمْ ❖ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ❖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ❖ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ❖ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ❖ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ❖ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ

الصدور ❖ آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ❖ فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ﴿سورة الحديد الآيات/ ١ - ٧﴾ وقال : ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله ❖ قل الحمد لله ❖ بل أكثرهم لا يعلمون ❖ لله ما في السماوات والأرض ❖ إن الله هو الغني الحميد ❖ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ❖ إن الله عزيز حكيم ❖ ما خلقكم ولا بعنكم إلا كنفس واحدة ❖ إن الله سميع بصير﴾ (سورة لقمان الآيات/ ٢٤ - ٢٨) .

إن الحقيقة الأولى التي كشفها لنا القرآن هي أن صانع الكائنات واحد ، وهو أكبر من كل شيء ، كما ورد في سورة الرعد ، الآية/ ١٦ : ﴿قل من رب السماوات والأرض ❖ قل الله ❖ قل أفأخذنم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ❖ قل هل يستوي الأعمى والبصير ❖ أم هل تستوي الظلمات والنور ❖ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه ❖ فتشابه الخلق عليهم ❖ قل الله خالق كل شيء ❖ وهو الواحد القهار﴾ ، وورد في سورة الروم ، الآيات/ ١٧ - ٢٧ ) : ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ❖ وله الحمد في السماوات والأرض ❖ وعشيا وحين تظهرون ❖ يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ❖ ويحيي الأرض بعد موتها ❖ وكذلك تخرجون ❖ ومن آياته أن خلقكم من تراب ❖ ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ❖ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ❖ وجعل بينكم مودة ورحمة ❖ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ❖ ومن آياته خلق السماوات

وَالْأَرْضِ ❖ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ❖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ  
لِّلْعَالَمِينَ ❖ وَمِنَ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنَ  
فَضْلِهِ ❖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ❖ وَمِنَ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ  
الْبَرْقَ حَوْفًا وَطَمَعًا ❖ وَيُنزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ❖ فَيُحْيِي بِهِ  
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ❖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ❖ وَمِنَ  
آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ❖ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ  
الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ❖ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ❖  
كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ ❖ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ❖ ثُمَّ يُعِيدُهُ ❖ وَهُوَ  
أَهْوَنُ عَلَيْهِ ❖ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ❖ وَهُوَ  
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .

ثم أشير إلى أن وراء صنع الكون غاية معينة ، قال الله  
تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ❖ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ  
مِّن رَّزْقٍ ❖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ❖ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ  
الْمَتِينِ ﴾ (سورة الذاريات الآيات/ ٥٦ - ٥٨) .

هذه الأرض التي نعيش فيها قد اختيرت تحقيقاً لهذه  
المهمة ، وفوضت إلى الإنسان مسئوليتها ، ومن أوليات هذه  
المهمة الإيمان بخالق هذا الكون ومالك مخلوقاته وتحقيق  
معنى الإيمان ومقتضاه الظاهري والعملي ، وقد شرحه الله  
تعالى خالق هذا الكون بكتبه المنزلة على عباده المصطفين  
الأخيار ، وشرح مع ذلك أن غاية مخلوقات الكون في هذا  
الكون أن تتعرف على عبادة خالقها ومالكها ، فيجزئها  
جزاءً حسناً بعد فناء هذه الدنيا في العالم الأفضل منها الباقي  
الدائم ، نظراً إلى عبادته وحسن عمله ، ومن تجرد عن عبادة  
الله وحسن العمل في الحياة الدنيا أوصله الله تعالى إلى العقاب

في الآخرة ، ليدوق وبال أمره ، بحيث إن خالق الكون ومالكه قد شرح الخير والشر بكتبه وعباده الأوفياء الأذكياء (الرسل) ، فتأتي نتيجة عبادته وعصيانه وثمرتها مستقلة ومطابقة لها ، ويتعرض هذا الإنسان لخسارته أو نفعه وفق أعماله ، قال الله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ❖ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ❖ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ❖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ﴾ (سورة الملك الآيات/ ١ - ٢) وقال : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ ❖ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ❖ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ❖ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ❖ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ❖ رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ❖ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ❖ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ❖ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ ❖ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ❖ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ❖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ❖ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ❖ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ❖ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (سورة المؤمن الآيات/ ١٢ - ١٧) وقال : ﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ رِبَاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ❖ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ❖ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ❖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ❖ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ❖ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ ❖ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ ❖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (سورة الأنعام الآيات/ ١٦٤ - ١٦٥) .

فإن الله العلي الكبير قد خلق كل شئ ، وجعل له أعمالاً ووظائف ، وركز على أن أعماله توافق مرضاته أم لا ؟ هذا ما يثبت بعد مشاهدة كل موجود ، فإن الإنسان الذي يعد في المخلوقات الحية في هذه الأرض مخيراً وعظيماً ، هو

مثل الأداة المسيّرة للماكينة أمام الله العلي الكبير خالق هذه الأرض ، وهو مضطر إلى ما يسيّره الله ، حتى إن لقمة الطعام حينما يلقيه الإنسان في فمه لا يملكها ، فإنها تدخل إلى المعدة حسب النظام الذي خلقه خالقنا العلي الكبير ، مروراً بالأعضاء ، ثم تؤثر فيها وتخرج منها في صورة الفضلات ، وإن ما أكرمنا الله به من نعمة العلم علمنا بها أن هذه اللقمة كيف حصلت ، وما هي فائدتها ، لئلا تحدث صعوبة في البطن ، وتؤثر فيه موافقاً لنظامه ، ويخرج ما كان فاضلاً وزائداً ، فهذا الإنسان رغم مواهبه كلها لا يملك في شئونها الذاتية ، إلا أن يدخل في بطنه مئات اللقعات مرات كثيرة ، وهي تزيد قوة في نظام جسمنا ، وكل جارحة من جوارحنا تؤدي مسؤوليتها ، وهذا النظام قائم منذ آلاف من السنين ، وكلما خالفنا أي جزء من نظامه ، أصبنا بالأمراض والأدواء ، واضطررنا لمعالجتها إلى الأدوية التي قررها الله تعالى لنا ، ولا يمكن أن نحيد قيد شعرة عن النظام الثابت ، فنستفيد من اللبن فائدة اللبن ، ونستفيد من السموم ضررها وخسارتها .

### عقيدة التوحيد وما يندرج فيها من حقائق :

هنا ينشأ سؤال أن ما هي الحكمة وراء اختيار الإنسان واضطراره ، وما هي غايته ؟ ذلك أن كل نظام يحمل هدفاً ، فكيف يكون خلق هذا الكون عبثاً ، وقد ورد في القرآن الكريم : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (سورة المؤمنون الآية/١١٥) ، فلننظر في غايتنا ؟ يمكننا أن نعرفها معرفة تامة في ضوء آيات القرآن ، قال الله



عزّوجل : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ ❖ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ❖ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ❖ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (سورة بني إسرائيل الآيات/٩ - ١٠) ، وقال تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ❖ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ ❖ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ❖ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا ❖ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ❖ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ (سورة بني إسرائيل الآيات/١٨ - ١٩) .

فيلزم لنا أولاً الاعتقاد بأن الله وحده خالق هذا الكون ، وهو الواحد الأحد الأحد ، والأكبر من كل شيء ، والإيمان بالأنبياء الذين أرسلوا لإصلاح الناس من الله عزّوجل ، والاعتقاد أن كل كلمة لهم وحي يُوحى إليهم ، والإيمان بأن بعد هذه الحياة - حياة أخرى - يجزى فيها الإنسان على أعماله ، أضيف إلى ذلك الإيمان بأن بين الله والناس ملائكة ، يأتون برسالات الله تعالى إلى الأنبياء في الأرض ، للعمل بها ، ويدبرون أمور الكون بإذن الله تعالى ، والإيمان بأن كل ما يحدث في هذا الكون مرتبط بمشيئة الله تعالى ، وكل ما يواجهه الإنسان من أمور يكون في علم الله تعالى ويأذنه ، وقد جاءت اعترافات الإنسان هذه بهذه الكلمات : "آمنتُ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى ، والبعث بعد الموت" .

هناك جزءان لإطاعة الله تعالى : العقيدة ، والعمل بها ، فالعقيدة تلخصت في هذه الكلمات : آمنتُ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى ،

والبعث بعد الموت ، والعمل بالعقيدة هو اختيارها بحيث يكون صاحبها علامة لها ، فكل عقيدة يختارها الإنسان يظهر منها أعمال بين دقيق وجليل ، يصوغ الإنسان صورتها من ذهنه ، فإذا شعر بأحد يحمل قوة كبيرة شكّل صور العبادة في وظائفه نظراً إلى رضاه ورضبه ، فالإسلام قد اعتبر الله عزّوجل الواحد العلي العظيم خالق الكون نافعاً وضاراً ، ومستحقاً للعبادة والطاعة ، وهذه حقيقة لا مرء فيها ، لكن الرجل الذي انفلت منه زمام الحقيقة المشروحة للإسلام يصوغ عقيدته بالظن والتخمين ، ويسجد أمام شئ أو فرد ، ويشعر بأنه فوق قوته على حد علمه ، ويعبده ، ويكون هذا من مظاهر عقيدته المخيلة ، وكثيراً ما يحترم الناس رجلاً يحمل صفة خارقة للعادة بالنسبة إليها ، وهذا الاحترام يبلغ بالناس إلى أنهم يعتقدون أن هذه الصفة تحمل قوة كبرى من الإنسان وقوته الدنيوية ، ومما زاد الأمر خطورة أن القدسية والاحترام تزداد بالأشياء المتعلقة بها ، ويرجو منها الإنسان النفع والضرر ، ويمكن أن تكون هذه الأشياء المتعلقة بها حجراً أو حيواناً ، ثم جعل يعبدها ويسجد لها .

ويشبه الإنسان تارة صفات الله الواحد الأحد ، خالق الكون بصفات الرجال ، والأشياء الموجودة في الأرض ، وهو شرك ، لا يحبه الله رب العالمين ، ويكون مبعث إثارة غضبه ومقته ، الحقيقة أن عبادة الأصنام ما كانت في العرب الأولين ، كان العرب مؤمنين بالله الواحد عن طريق نبوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، ومنتمين إليه عقيدة وعبادة ، قام فيهم رجل من مكة في الزمن المتأخر (الفترة التي كانت

بعد نبوة عيسى عليه السلام)، يُعرف بعمر بن لحي ، أتى وقت عودته من الشام بأصنامها معتقداً عبادتها ، إلى مكة ، وكان فيها هبل ، قدمه أمام الناس مظهراً للصفات الإلهية ، واعتبر احترامه والسجود له نافعاً وضاراً ، فاشتهر هذا الأمر ، ثم جعلت الأصنام تصنع بناءً على هذه العقيدة ، حتى عمت عبادة الأصنام ، بحيث إنّ كل قبيلة تشبثت بشخصية عظيمة احتراماً وتقديساً لها ، وصار تمثل هذه الشخصيات والأصنام واجباً في الكعبة ، ثم آل الأمر إلى أن قد اجتمعت فيها ثلاث مائة وستون صنماً .

كان من واجبات كل نبي أن يزيل الخرافات والشائعات عن العقيدة والعبادة ، ويعيد رسالات الأنبياء الماضين إلى الناس ويجدها ، وكان رسول الله ﷺ متصفاً بهذه الخصائص النبوية ، فإنه جهر بدعوة الناس إلى الله ، وهذه فكرة كاملة لدعوة الأنبياء الماضين : لا تعبدوا إلاّ إياه ، وأن الله يملك النفع والضرر ، ولا يساويه مخلوق ، فإن إشراك مخلوق في خلق الكون أو في إحدى صفاته ليس بخطأ فقط ، بل هو كفران لله تعالى الذي يملك النفع والضرر ، والموت والحياة ، ويطلع على كل ذرة من ذرات جميع النعم ، فلا يكفر الإنسان الله فحسب ، بل يستحق العقاب ، وإن جميع الأشياء وإن كانت محترمة ، حتى الملائكة وغيرهم عباد الله الواحد ، وخاضعة له ، ومكلفة لعبادته وطاعته .

وقد كشف الله في كلامه الجوانب التي يواجهها الإنسان، والمسئولية التي وضعت لمصلحة خلق الإنسان ، وأشار إليها ، كان التركيز فيها على العقيدة أن آمنوا بالله عزوجل ،



بمزايا كثيرة ، أنه لم يبعث إلى قومه فقط ، بل بعث للعالمين إلى يوم القيامة ، ثم الإيمان بالآخرة ، وهي أن المخلوقات تبعث بعد فناء هذا العالم المادي للجزاء والعقاب ، وترزق حياة خالدة بعد الحساب أو تعاقب على أعمالها في الدنيا ، والإيمان بالكتب السماوية المنزلة من الله تعالى كالزبور والتوراة والإنجيل والقرآن ، والإيمان بالملائكة الذين يأتون بأحكام الله إلى الأرض ، والإيمان بأن الله قادر على كل شيء ، يفعل ما يشاء ، فكل ما خلقه كان فيه مختاراً ، ويبيده الملك ، وخلق الكون كله ، وجعل لكل شئ ميزة ، ويملك التصرف فيه كل حين وأن .

ما زال سائر الأنبياء يُبعثون لهداية الناس إلى هذه الأمور الأساسية وتحلية الحياة بالأخلاق الفاضلة ، وكلما ذكرت رسالاتهم في القرآن جاء في مقدمتها اعتقاد الله رباً واحداً ، وخالقاً ومالِكاً ، واعتقاده أن له الخلق والأمر ، فقد حذر الإنسان من أن يشرك أحداً في قدرة الله وعظمته ، واعتبره شركاً ، فقال الله عزوجل : ﴿إِنَّ الشُّرْكَ لظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ، وأخبر بأن الله يغفر جميع الذنوب والآثام ، لكن لا يغفر الشرك في الآخرة بدون التوبة في الدنيا ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ❖ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ❖ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ ❖ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (سورة النساء الآية/٤٨) .

إن ما عرض القرآن من فكرة الرب والإله هو فكرة التوحيد ، ومعنى التوحيد أن الله رب العالمين وإله العالمين ، وهو واحد ليس له شريك ، خالق هذا العالم ومالِكه ،

ومطلع على كل دقيق وجليل، وكل شئ خاضع له ، لا يغيب عن علمه وقدرته ، قال الله تعالى : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۖ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۖ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۖ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۖ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة الحشر الآيات/ ٢٢ - ٢٤) .

ذكر الله تعالى في هذه الآيات من نظام لطاعته واستسلامه والسلوك الإنساني الرفيع ، يشتمل أساساً على ستة أصول .

فالأصل الأول: التوحيد ، والإيمان به والعمل بشريعته .  
والأصل الثاني : الإيمان بالملائكة وهم مخلوق سماوي ، ينفذون أوامر الله تعالى .  
والأصل الثالث : الإيمان بالكتب السماوية .  
والأصل الرابع : الإيمان بالرسول .  
والأصل الخامس : الإيمان بيوم القيامة .  
والأصل السادس : الإيمان بالقضاء ، أي كل شئ ثابت من عند الله تعالى .

فالمصدر الرئيسي لهذه الأصول التوحيد ، لأن مرجع كل شئ هو الله العلي العظيم ، الواحد الأوحى الأحد ، نؤمن بالملائكة لأن الله خلقهم لمهمته الخاصة ، ونؤمن بالكتب لأنها مشتملة على كلام الله تعالى ، ومنزلة من عنده ، ونؤمن بالرسول، لأنهم رسل الحق من الله تعالى،

وخصهم الله تعالى بإيصال دعوته إلى الناس ، ونؤمن بيوم الآخرة لأنه يوم العدل والقسط ، وفي الأخير الإيمان بكل ما يتعلق بالإنسان والكون أنه ثابت من عند الله تعالى .

فقد أمرنا الله بأن نؤمن بهذه الأصول : آمنت بالله وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، هذا ما يرتبط بالاعتقاد والتسليم لأمر الله، ويعرف بالعقيدة ، ثم العمل ، وهو أيضاً يشتمل على خمسة أصول : الصلاة والصيام والزكاة والحج ، الصلاة خمس مرات في اليوم واللييلة ، والصيام هو إمساك الإنسان نفسه عن الأكل والشرب والجماع لابتغاء وجه الله تعالى من طلوع الفجر إلى غروب الشمس شهراً كاملاً في السنة ، والزكاة بذل جزء من الأموال للفقراء ومن إليهم ، والحج السفر إلى الأرض المقدسة مرة في العمر ، وأداء مناسكه ، بشرط أن استطاع الحاج إلى ذلك سبيلاً .

فكل أمر في الإسلام سواء كان عقيدة أو عملاً يرتبط بتوحيد رب العالمين ، وسائر نظام الحياة الذي قرره الله تعالى يدور حول هذا المركز ، فالتوحيد شرط رئيسي بارز في النظام العملي والاعتقادي للإسلام ، وهو حقيقة لا بد من اعتقادها بالقلب وإقرارها باللسان .

وكل عمل بدون هذه العقيدة والعمل بها لا قيمة له ، فالتوحيد هو المنبع الوحيد لإصلاح الدين والإيمان ، وإن الإقرار بوجود الله ووحدانيته ، والاعتقاد بأنه أعلى وأجل وإله فرد صمد، ونيل رضاه مصدر أساسي لحياة الإنسان الرشيدة، لو لم تكن عقيدة التوحيد ما أشرق قلب الإنسان

ولا استنار ذهنه وتفكيره .

استدل القرآن الكريم على وجود الله تعالى وتوحيد  
 بالدلائل الفطرية والعقلية ، وهذا الاستدلال ورد بأسلوب  
 يستطيع أن يدركها كل ذي بصر وبصيرة بسهولة ، بل  
 يستسيغها الذهن الإنساني ، إلا من فرض على نفسه عدم  
 الإيمان بها ، فالمصدر الأول لمنهج الاستدلال في القرآن  
 الكريم هو التفكير والتدبر ، يدعو القرآن مراراً إلى التدبر  
 في وحدانية الله في آياته ، فإنه يبين أن في كل مظهر من  
 مظاهر السماوات وكل تغير في الحياة لآيات بينات للفكر  
 الإنساني نحو معرفة الله تعالى، ويستشهد القرآن بمناظر  
 الفطرة على وجود الله ، فيقول : هذه المياه الكثيرة والأزهار  
 المتنوعة ، وهذه السماوات المزينة بالنجوم ، والأرض ،  
 والقمر، والشمس ، والشجر والبحر والنهر تدل على وجود  
 خالق الكون ، ورد في القرآن الكريم : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ ❖ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (سورة آل  
 عمران الآية/١٩٠) ، وجعل الله تعالى في سورة الأنعام ، الآية/٩٩ ،  
 النباتات وتنوعها دليلاً على وجوده ، فقال : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ  
 مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ❖ فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ❖ فَأَخْرَجْنَا  
 مِنْهُ خَضِرًا ❖ نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا ❖ وَمِنَ النَّخْلِ مِن  
 طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ❖ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ  
 مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ❖ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ❖ إِنَّ  
 فِي ذَٰلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ، وقال في سورة لقمان ،  
 الآيتان/١٠ - ١١ : ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بغيرِ عَمَدٍ تَرْوِنَهَا ❖ وَالْقَى  
 فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تُمِيدَ بِكُمْ ❖ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ❖



وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ❖ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ❖  
 هَذَا خَلَقَ اللَّهُ ❖ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ❖ بَلِ  
 الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿وقال في موضع آخر : ﴿أَمَنْ جَعَلَ  
 الْأَرْضَ قَرَارًا ❖ وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا ❖ وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ ❖  
 وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ❖ ءِإِلَهُ مَعَ اللَّهِ ❖ بَلِ أَكْثَرُهُمْ لَا  
 يَعْلَمُونَ ❖ أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ❖ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ❖  
 وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ❖ ءِإِلَهُ مَعَ اللَّهِ ❖ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ  
 ❖ أَمَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ❖ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ  
 بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ❖ ءِإِلَهُ مَعَ اللَّهِ ❖ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا  
 يُشْرِكُونَ ❖ أَمَنْ بِيَدَيْهِ الْخَلْقُ ثُمَّ يُعِيدُهُ ❖ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ  
 السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ❖ ءِإِلَهُ مَعَ اللَّهِ ❖ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ❖ إِنْ  
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة النمل الآيتان / ٦٠ - ٦١) .

وكل آية من هذه الآيات دليل مستقل على توحيد الله تعالى ، هذا هو منهج الاستدلال العام للقرآن الكريم الذي أخبر به القرآن صدق وجود الله وتوحيده بمظاهر الكون ، وهو منهج فطري ، بذلك يقع الكلام في القلب ، ويتأثر به الذهن ، وإن حبوب الغذاء ، وعناقيد الأعناب ، وطلع النخيل ، والخضراوات والزيتون ، والأشجار الباسقة ، والفواكه المتنوعة والطيور والدواب ، كلها تدل على أن لها خالقاً ، فبين القرآن هذه الحقيقة : كما أنه لا يصدر عمل بغير عامل ، ولا يقوم نظام بدون ناظم ، ولا يبدو رسم بدون رسام ، فكيف لا يقر كل إنسان بمشاهدة هذه المظاهر بذهن مفتوح بأن لهذا الكون خالقاً ومالكاً ، فهذا الكون ليس صدفة ، بل هو من صنع الله الذي أتقن كل شيء ، وهو

وحيد في ذاته ، وأمره منفذ في كل شيء من هذا الكون ، فكل من له عين مبصرة ، وذهن متفكر ينادي برؤيته فجاءة أن هذا العالم لا يقوم بدون خالق ، ولا يجري بغيره .

إن أقوى استدلالات القرآن على وحدانية الله تعالى أن لهذا الكون خالقاً واحداً ومدبراً واحداً ، ولو لم يكن الأمر مثل ذلك ، أي لو كان هناك خالقان اثنان لفسدت الأعمال باختلاف وصراع بينهما ، وعم الفوضى والانحلال في العالم ، مثال ذلك أنه لو كان لدولة رئيسان أو أكثر ، أو كان مسئولان عن نظام لكانت تلك الدولة عرضةً للفساد والدمار ، فهذا دليل قوي على وحدانية الله تعالى أن نظام العالم كله يجري بنسق وترتيب بالغين ، تطلع الشمس وتغرب على وقتها ، يأتي الليل ويسفر النهار على أوقاتها ، وتمطر السماء على وقتها ، ليس في وسع أحد أن يُطلع الشمس من المغرب بدلاً من المشرق ، وإن الإنسان نفسه لعاجز أمام موته ، قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ ❖ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ ❖ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ❖ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ (سورة البقرة الآية/٢٥٨) ، وقال : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (سورة القمر الآية/٤٩) ، وقال : ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ❖ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ❖ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ❖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ❖ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ❖ وَكَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ ❖ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ❖ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ❖ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ❖ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ❖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ ❖ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ❖

وَإِخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ❖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ❖  
 وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ ❖ إِنَّ فِي  
 ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمَعُونَ ❖ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا  
 وَطَمَعًا ❖ وَيُنزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ❖ فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا  
 ❖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ❖ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ  
 وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ❖ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ  
 تَخْرُجُونَ ❖ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ❖ كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ ❖  
 وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ❖ ثُمَّ يُعِيدُهُ ❖ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ❖ وَلَهُ  
 الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ❖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

(سورة الروم الآيات/ ١٧ - ٢٧) .

هذه هي دلائل فطرية ، يعجز أمامها العقل والفهم ،  
 فيعترف بأن هناك نظاماً كاملاً من الأرض إلى السماء ،  
 وهذا النظام يجري تحت قانون محكم ، تلوح في كل جانب  
 منه آثار سلطة مطلقة ، وحكمة عصماء ، وعلم صحيح ،  
 وهي تدل على أن لهذا النظام إلهاً ، وهو الله ، فقال في سورة  
 إبراهيم مستدلاً بوجود الله تعالى : ﴿أَفِي اللَّهِ شَكَّ فَاطِرِ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ .

فبقاء العالم منوط بأن ليس هناك آلهة ، بل إله واحد  
 يملك السلطة الكاملة ، والتوحيد ليس حقيقة علمية  
 فحسب، بل حقيقة عملية أيضاً ، إن الحياة الإنسانية سواء  
 كانت فردية أو جماعية ، تكون منسقة صحيحة بعقيدة  
 التوحيد ، وكل إنسان عبد لإله واحد ، وبعيد كل البعد من  
 إرضاء آلهة أخرى .

ومن آثار التوحيد على الحياة الإنسانية أيضاً أن الإنسان

يكون جريئاً ، شجاعاً ، لا يخاف ولا يرهب ، كما أن السمّة البارزة للشرك والكفر مقابل التوحيد أنه يجعل الإنسان يكون جباناً ، ضعيفاً ، مرهقاً ، يفكر دائماً : كيف يرضي الناس ، وكيف يخضع أمامهم ، فعقيدة التوحيد تحدث في الإنسان عزة النفس والإباء ، ولا يكون الموحد مغروراً ولا متكبراً ، بل ينطبع عليه التواضع وكسر النفس ، ولا يكون الموحد ضيق النظر والقلب ، فلا يغضب حقوق أصحابه ولا يضغط عليهم ، لأنه مؤمن بالله العلي العظيم ، ومعتقد لوجوده ، يؤمن بقوته المطلقة ويعتبره مالكا عظيماً ، لا يسأل أحداً سواه ، ولا يطلب غيره ، فالموحدون ليسوا بمضطرين إلى السجود أمام الآلهة الكاذبة المتنوعة ، إنهم يلجأون إلى الله فقط ، لأنه هو الأكبر والقادر المطلق ، فكل شئ منه وإليه ، وتؤثر عقيدة التوحيد في الحياة الاجتماعية أن أساس الاجتماع الإنساني يقوم على العدل الكامل والمساواة الصحيحة ، وأكبر سبب لفساد العالم المعاصر أن الإنسان لا يثق بتوحيد الرب ولا يتوكل عليه اعتماداً كاملاً .

لا إشراك في مشيئة الله ، فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولا تأثير لمشيئة أحد في نظام العالم ، لأن التوحيد الحقيقي هو توحيد القلب والروح ، وإنّ الصنم الأكبر للإنسان هو ما يخفيه في قلبه ، فكسر هذا الصنم توفية معنى التوحيد ، وبالتوحيد ينشأ في القلب تقوى الله والخشية له ، وابتغاء مرضاته ، وعاطفة حب الله تعالى والبغض له ، فقد أمر الإنسان بقراءة : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ضمن سورة الفاتحة في كل صلاة ، بل في كل ركعة من الصلاة .

## الإيمان

إن أساس عقيدة التوحيد الإيمان بالله ، وهو منبع الأعمال ، فكان نواةً لتطبيق الإسلام على أحسن وجه ، وإن نطاق الإيمان في الإسلام أن يؤمن الإنسان بالله كإله واحد ، وبرسوله من آدم إلى محمد ﷺ وملائكته وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره (وهي أمور ثابتة من الله تعالى) ، إيماناً من صميم القلب ، فهذا الإيمان يكون أساس نشاطاتنا وأعمالنا كلها ، فليس هناك دعامة أقوى منه للأعمال الإنسانية ، فإذا نشأ الإيمان في القلب أشرق القلب ، وصار معين الحياة الإنسانية السعيدة ، وإذا فقد الإيمان تسكع الإنسان في كل وادٍ ، وأصبحت حياته لا تحمل رسالة ولا تكون آمنة مطمئنة .

الإيمان يعين غاية الحياة ومنتهاها ، وهي أن الإنسان خلق لمهمة خاصة ، وهذه المهمة تتلخص في عبودية الله وأداء أوامره ، شكراً على ما أنعم الله به من الحياة ونعيمها ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (سورة الذاريات الآية/٥٦) ، ومن آثار العقيدة على الحياة الإنسانية أن الإنسان إذا تغلغل في قلبه الإيمان بأن خالق هذا الكون هو الله وحده لا شريك له ، نشأ فيه الثقة أننا تحت كِلاءة وعناية خالق الكائنات والمخلوقات ومالكها ، وأنه وعد عباده برحمته ، فالإنسان يلتجئ إلى الله مضعماً بهذا الشعور ، ويعبده ، ويعلق

أماله به ، وهذا ما يعرف بأساس الأخلاق والأعمال الإنسانية ، الحقيقة أنه لا تحدث الموضوعية وقوة التأثير في الأعمال إلا إذا آمن الإنسان بالله ورسوله ﷺ إيماناً صادقاً ، لأن مدار جميع أعمال الإنسان الإيمان ، فأول ما أكد عليه القرآن هو الإيمان به ، قال الله تعالى : ﴿ اَلَمْ يَكُنْ لَكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (سورة البقرة الآيات/ ٢ - ٣) .

من معجزات الإيمان أن العرب الذين كانوا أميين ، يعيشون عيشة البهائم صاروا حملة لواء العلم والثقافة ، واستفادوا من قوة الإيمان فحكموا جزءاً كبيراً من الأرض ، ولا شك أن الإيمان يحدث في قلب الإنسان ثورة إصلاحية . هذه الكائنات مثل مملكة ، مالكاها الله عزوجل ، وهو مدبرها ، فالرسول ترجمانها ، والقرآن دستورها ، فكل رجل يعترف بقدرته يجب عليه أن يمثل أوامره ، فصورة امتثال أوامره أن يقوم بأداء الصلاة والصيام والحج والزكاة ، ويصوغ حياته في قالب الكتاب والسنة ، وإن الكتاب والسنة هما مصدران أساسيان للإيمان ، تتكون منهما الحضارة الإسلامية ، ويكون قلب الإنسان مستتيراً بالعمل بتعاليمهما . إن عقائد الحضارة الإسلامية تزين قلب الإنسان في جانب ، وتسدد حياته المادية في جانب آخر ، ذلك أن الإنسان إذا وافق قوله عمله ، ونشأ فيه طهارة القلب وصدق العمل ، والطهر والعفاف ، والأمانة ، والحياء والعدل وإفاء العهد ، والعفو والصفح ، وعزة النفس صلح المجتمع بأسره ، وتبدل المجتمع غير المجتمع ، الذي تتلاشى فيه الخيانة والغدر ،

---

---

والتطفيف في الكيل والوزن ، والسيئات ، والغيبة والرشوة  
وادخار الأموال ، والانتهازية ، وهذا لا يمكن إلا إذا آمن  
الإنسان بالله ورسوله ﷺ إيماناً كاملاً .

وعلى هذا المنوال يُصلح الإيمان المجتمع ، ويدعم قوته  
العملية، وجاء التأكيد في القرآن في مواضع شتى ، وبأساليب  
متنوعة على التحلي بهذه الصفات الحسنة المذكورة أعلاه ،  
والابتعاد عن الصفات القبيحة ، وذكر فيه أن الحياة الآخرة  
حق ، يحاسب فيها الإنسان على أعماله<sup>١</sup>.



---

<sup>١</sup> محاضرات القرآن - للدكتور السيد وقار أحمد الرضوي : ص/٥٦-٦٥ .

## الصلاة

إن منهج الإيمان والأعمال الصالحة قد شرحه أول الأنبياء أبو البشر سيدنا آدم عليه السلام في فجر التاريخ الإنساني ، ثم حدث فيه تغيير على مر العصور بتأثير التصورات المنحولة والآراء الشاذة ، فجعل يظهر في أشكال باطلة من الشرك وعبادة الناس لغير الله ، وأرشد الله الناس بأنبيائه عليهم السلام إلى صور العبادة في ضوء العقيدة الصحيحة عقيدة التوحيد ، وهي تختلف بعض الاختلاف نظراً إلى ملابسات أممهم ، وبما أن النبي الكريم ﷺ خاتم الأنبياء والرسل ومبلغ الدين الكامل الشامل ، فقد أرسى الله سبحانه وتعالى به قواعد العبادة ، فهي تمثل جانباً بدنياً ، كما تمثل جوانب فكرية ومالية ، وعين أربعة أركان ، منها الصلوات الخمس ، التي جمع فيها أربع صور من القيام والركوع والسجود والقعدة ، ومنها الصيام الذي هو كبت غرائز الجسم لمدة محدودة ، ابتغاءً لمرضاة الله تعالى ، ومنها الزكاة ، إذا زاد المال من الحاجة فأخرج مقدار خاص لذوي الحاجات والفقراء ، وجعل مصارف المال وموارده وفقاً لأمر الله تعالى ، وإنفاقها حسب الحاجة على المحتاجين ، ومنها الحج ، الذي يقوم به العبد في خير بقاع الأرض الكعبة وبيت الله الحرام بمكة المكرمة ، وييدي فيه عواطف الحب والعظمة



والتقديس ، فجعل الارتحال إلى هذا المكان عبادةً وقربةً إلى الله تعالى ، وأمر بأن الحج فريضة على من استطاع إلى ذلك سبيلاً ، فالإنسان مطالب بأن يطبق هذه العبادات كعلامة لعقيدة التوحيد والطاعات الربانية ، قال الله تعالى : ﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ (سورة المائدة الآية/٩٧) ، وقال : ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللهِ ❖ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (سورة الحج الآية/٣٢) .

فتعود المسئولية على الإنسان أن يقدم أمام ربه آيات الخضوع والاستسلام شكراً على نعمه التي منحها رب العالمين الإنسان إياه وفضله بها على كثير ممن خلق تفضيلاً ، وإن ما يمتاز به الإنسان من مكانة عالية نحو المخلوقات يتطلب أن تكون عبادته رفيعة المستوى وجامعة للصفات المطلوبة ، وهذا ما يحصل كثيراً في الصلاة .

إن أول الأركان الأربعة المذكورة أعلاه الصلاة ، التي يجب أداؤها لكل مسلم على كل حال ، وتتحقق بها الغاية الأساسية للعبادة ، فالحاجة ماسة إلى أن نفهم الصلة بين العبد والرب للاطلاع على أهمية الصلاة وكيفيةها .

#### العلاقة بين الرب والعبد :

"تأمل في صفات الرب التي سبقت ، من قوة وقدرة ، وعلم وخبر ، ورحمة ولطف ، وكرم وجود ، واستجابة وقبول ، وقرب لا مزيد عليه ، وبكل ما نطق به القرآن من صفات الله العليا ، وأسمائه الحسنى ، وبكل ما جاء به في ذلك من المعجب المطرب ، من النعوت والأوصاف ، والأخبار والآثار .  
ثم تأمل في صفات هذا الإنسان المخلوق ، واستعرض

كل ما اتّصف به ، من ضعف وعجز ، وفقر وفاقة ، ثم انظر إلى طموحه الذي لم يُعرف لأي مخلوق ، ونهامته - للماديات أو المعنويات - التي تفوق كل شره ونهامة عند أكبر حيوان ، وإلى حاجاته التي لا يشاركه مخلوق آخر في كثرتها وتنوعها ودقتها ، وإلى آماله ومطامعه التي لا تكاد تنتهي ، ثم انظر إلى غريزة الحب والحنان ، والخضوع والانحناء المودعة في هذا الإنسان .

أما احتاج هذا الإنسان إلى أن يكون في خضوع دائم ، وفي ركوع أو سجود لا انقطاع لهما ، وفي مناجاة ودعاء لا نهاية لهما ، أمام الرب الذي هو الإله الحق والجواد المطلق ، والذي أعطاه من كل ما سأل بلسان القال أو بلسان الحال ؟ ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ❖ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُونَهَا﴾ (سورة إبراهيم الآية/٢٤) والذي يعلم الخواطر الدقيقة الدفينة ، والأمانى المؤودة المنسية أو الأحلام القديمة المطمورة ، التي نسيها الإنسان أو تخلّى عنها أو يئس من تحقيقها ، والتي قد يَغَارُ عليها القلب فلا يشرك فيها العقل : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ (سورة الأنفال الآية/٢٤) ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ❖ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (سورة المؤمن الآية/١٩) ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالنُّقُولِ ❖ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (سورة طه الآية/٧) والذي هو أقرب من كل قريب ، والذي هو دائماً سميع مجيب: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ❖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ❖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ❖ وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (سورة البقرة الآية/١٨٦) ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ ❖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾

(سورة ق الآية/١٦) ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ ❖ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾  
 (سورة الواقعة الآية/٨٥) والذي كان السائل الملحف ، والداعي  
 المتثبث ، أحب إليه من أبي ممتنع ، وصامت مستغن : ﴿وَقَالَ  
 رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ❖ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي  
 ❖ سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (سورة المؤمن الآية/٦٠) ﴿ادْعُوا  
 رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ❖ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (سورة الأعراف  
 الآية/٥٥) ، ويقول رسول الله ﷺ : "وانه من لم يسأل الله  
 يغضب عليه".<sup>١</sup>

### الكون في خضوع دائم وعبادة مستمرة :

لقد ظلت الشمس مشرقة وهاجة منذ كان هذا  
 الكون ، تنشر النور وتمنح الحياة والحرارة ، وظل القمر  
 سراجاً منيراً يُنير السبيل ويحدد الشهور والسنين ، وقد  
 انتصبت الجبال قائمة من آلاف السنين تبلغ رسالتها ، ووقفت  
 الأشجار على قدم وساق ، وافرة الثمار وارفة الظلال تعبد  
 الرب وتخدم الإنسان - سيد هذا الكون وخليفة الله في أرضه  
 - وانطلق الهواء يحمل رسالة الحياة لهذا الإنسان ، وهبت  
 الرياح لواقح تحمل أمانة الماء من جهة إلى جهة ، وسارت  
 السُحب تحمل الأمطار وتحيي الأرض بعد موتها ، وجرت  
 الأنهار تروي ظمأ الإنسان وتسقي الزروع ، وتشير دفائن  
 الأرض، ومشت الحيوانات والدواب على أربع ، كأنها في  
 ركوع دائم تنقل الإنسان من مكان إلى مكان ، وتحمل

<sup>١</sup> رواه الترمذي عن أبي هريرة ؓ "كتاب الأدعية باب ما جاء في فضل الدعاء".

الأثقال ، وله فيها دفء ، ومنافع ، ومطاعم ومشارب ، وزحفت كثير من الحيوانات على صدرها وبطنها فيها مآرب للإنسان .

فهذه المخلوقات التي لا عقل لها ولا قلب ، في عبادة دائمة ، في طاعة وخضوع لأمر الله تعالى ، فلا عصيان ولا ثورة ، ولا تمرد ولا جموح ، ولا ملل ولا سامة ، ولا إضراب ولا انقطاع عن العمل، ولا راحة ولا عطلة ، فكأنها دائماً في السجود : ﴿لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ❖ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ❖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ❖ وَمَنْ يُّهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ ❖ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (سورة الحج الآية/١٨) ، ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ ❖ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ❖ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ❖ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (سورة النحل الآيات/٤٩ - ٥٠) ، ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً ❖ وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (سورة الرعد الآية/١٥) ، ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ❖ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ (سورة الرحمن الآية/٦) ، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ❖ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ❖ فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ ❖ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ❖ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْآنْهَارَ ❖ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ ❖ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ❖ وَأَتَاكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ❖ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ❖ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (سورة إبراهيم الآيات /٣٢ - ٣٤) .

فهذه المخلوقات على اختلاف أنواعها وعلى تنوع

عباداتها في صلاة ، تتفق مع طبيعته و وظيفتها ، وفي حمد وتسبيح ، لا يفقههما إلا من فتح الله بصيرته ورفع عنه الحجاب : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ❖ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ❖ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ❖ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (سورة بني إسرائيل الآية/٤٤) ، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٌ ❖ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ❖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (سورة النور الآية/٤١) .

### مركز الإنسان في هذا العالم وما يقتضيه

#### وسبب تميزه عن سائر الكون في العبادة :

لقد كان الإنسان بشرفه واختصاصه ، وعقله وقلبه ، أحق من جميع هذه المخلوقات التي سبق ذكرها ، بأن يكون في عبادة دائمة لا انقطاع لها ، من قيام وركوع وسجود ، ومن حمد وتسبيح وذكر لا يفتر عنه لسانه ، وقد كانت الهبات التي اختص بها ، والعناية الإلهية التي كان موضعها ، والنعمة التي تدفقت عليه ونزلت كالمطر الغزير ، تقتضي أن لا ينقطع عن هذه العبادة ، ولا ينصرف عن هذه (الصلاة) طرفة عين ، وأن يكون كالملائكة الذين وصفهم الله بقوله : ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ❖ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ❖ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ❖ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (سورة الأنبياء الآيات/١٩ - ٢٠) .

ولكنه اختير ليكون خليفة الله في أرضه ، وهبئ لهذا المنصب ، فخلقت فيه الشهوات ، ووضعت فيه الحاجات ، وأودعت فيه المشاعر والأحاسيس ، والعواطف والرغبات ،

وأودع فيه الحب والحنان والرفقة ، والتألم والالتذاذ ، ووضع فيه الاستعداد للمعرفة ، واستخدام ما خلقه الله في هذه الأرض وبثه من دفائن وخزائن ، ونعم وخيرات ، وقوى وطاقات ، وكان تعليم الأسماء الذي خصّ به من دون الملائكة رمزاً لهذا الاستعداد الفطري ، ومظهراً من مظاهر الخلافة الأرضية ، ومفتاحاً من مفاتيح الاتصال بهذا الكوكب الذي مُنح إمارته والتصرف فيه ، فقال تعالى :

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴿٢٣٠﴾ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿٢٣١﴾ قَالُوا : أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴿٢٣٢﴾ وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴿٢٣٣﴾ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴿٢٣٤﴾ قَالَ : إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٥﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴿٢٣٦﴾ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴿٢٣٧﴾ فَقَالَ : أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣٨﴾ قَالُوا : سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴿٢٣٩﴾ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤٠﴾ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴿٢٤١﴾ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴿٢٤٢﴾ قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ ﴿٢٤٣﴾ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٢٤٤﴾ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ﴿٢٤٥﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٢٤٦﴾ (سورة البقرة الآيات ٣٠ - ٣٣) ، وقال : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ (سورة البقرة الآية ٢٩) ، وقال : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (سورة لأعراف الآية ٣٢) .

فكان اختياره لهذا المنصب الخطير ، وكانت خلقته التي طبقت هذه الغاية وخضعت لها ، وكان قيامه بواجبه كخليفة في الأرض ، كتبت له الوصاية على خيراتها وطاقاتها وتنايف أن يكون في قيام دائم ، أو في ركوع دائم ، أو في سجود دائم ، أو في تسبيح لا ينقطع ، وفي ذكر لا يفتر ،

شأن الأجرام الفلكية ، أو الجبال الجامدة ، أو النباتات الساكنة ، أو الحيوانات العجماء ، فإذا حاول ذلك أو التزمه، أقام الدليل على إخفاقه وخيبته ، كخليفة الله في الأرض ، وصدّق ما قالته الملائكة وبرّر ترشيحهم أنفسهم لهذا المنصب الجليل ، على أساس التسبيح والتحميد والعبادة الدائمة .

### عبادة مطابقة لوضعه الخاص ومركزه الدقيق :

إذا كان لابد من عبادة تليق بفطرته وبمنصبه ، ومركزه في هذا الوجود ، والمهمة التي ألقيت على عاتقه ، والواجبات التي يجب أن ينوء بها ، فكان لابد من عبادة لأنها مقتضى الفطرة ، ونتيجة الغريزة ، ونداء الضمير ، و واجب الشرف ، وحاجة الإنسانية ، وغذاء القلب ، وكان لابد أن تكون هذه العبادة مطابقة كل المطابقة لوضعه الخاص، ومركزه الدقيق ، وموقفه الفريد ، وأن يكون لباساً قد فصل على قامته ، وعلى قدر حاجته.

### لباس فصل على قامته :

فكانت الصلاة المفروضة هي اللباس المفصل على قامته من غير طول وفضول ، ومن غير قصر وضيق : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ❖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (سورة الملك الآية/١٤) ، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (سورة القمر الآية/٤٩)<sup>١</sup>

<sup>١</sup> الأركان الأربعة للعلامة الندوي : ص/١٧-٢٢ ، طبع دار القلم الكويت عام ١٣٨٩ هـ .

## أهمية الزكاة والصدقات

الركن الثاني لتقديم ضريبة العبودية إخراج الزكاة والصدقات ، فالزكاة شكر للنعم المالية من الله تعالى ، يخرجها الإنسان شكراً للمنن المالية من عند ربه ، وهي تجب على مقدار معين من أنواع المال المختلفة ، إذا زاد المال من الحاجة فرضت الزكاة عليه ، وقد عين حد يفضل عن الحاجة ، وخصص مقدار قليل للزكاة ، مثلاً إذا زاد المال من الحاجة وحال عليه الحول عند رجل ، فيجب إخراج الخمس من الزكاة ، وقد وضعت حدود ومقادير تختلف باختلاف أنواع المال ، والزكاة فريضة ، فجاء الترغيب في الصدقات سوى الزكاة ابتغاءً لوجه الله تعالى ، فلم يحد لها حد ، ولم تفرض كفريضة ، فكانت الزكاة والصدقات مع إظهار العبودية علامةً لمواساة المنكوبين من الناس، وهي صورة مرضية عند الله تعالى ، لذلك أتبعته الزكاة بعد الصلاة ضمن اختيار عبادة الله سبحانه وتعالى .

"و حين كانت نتيجة الزكاة فشوّ روح المواساة والكرم في المجتمع ، وانتشار الغنى في أعضائه ، والبركة في الأموال ، والألفة في القلوب ، والتحابب في النفوس ، والثقة بين الأفراد ، كانت نتيجة الربا تكس مال المجتمع ، وحصيلة جهود أعضائه في مكان واحد ، أو في فرد واحد ،



أو في أفراد في أقل عدد ممكن ، فكان المرابي في هذا المجتمع ، هو الحوض الصغير الذي تنتهي إليه جميع السواقي في هذا البلد ، ويبقى من غير ماء ، أو كجبل المغناطيس الذي جاءت قصته في رحلات سندباد البحري في (ألف ليلة وليلة) الجبل الذي يقال أن سفينة رماها الطوفان إليه ، فجعل الربان يبكي وينوح ، فسئل عن السبب ، فقال : ابتلانا الله بجبل المغناطيس الواقع في هذا البحر ، وإنه سيجرُّ جميع المسامير الحديدية ، فتتحطم السفينة وتتأثر ألواحها وأجزائها ، فيلقمها البحر ، وكذلك كان ، فالمرابي ، أو جماعة المرابين في بلد يملكون ذلك المغناطيس والمال ، الذي يجتذبون به جميع المسامير والروابط التي تربط أجزاء الحياة وقوائمها ، بعضها ببعض ، فتتأثر هذه الأجزاء ، وتتفكك هذه العرى والروابط ، وينزف جسم المجتمع دمه القاني الأصيل ، ويصاب بالسل الخلقى والاقتصادي ، فإذا عاش ، عاش مسلولاً مشلولاً ، وإذا مات ، مات حزينا سلباً .

وكذلك نتيجة الربا : التباغض بين الأفراد ، وزوال الثقة المتبادلة في المجتمع ، وفشو روح السخط والتشاؤم ، والشماتة بين المتعاملين بالربا ، وبين الفقراء والأغنياء ، ووجود طبقتين متميزتين تمام التميز ، كانت إحداهما من جنس البشر ، والأخرى من الحيوانات والدواجن ، وهما طبقة الأثرياء ثراءً فاحشاً ، وطبقة الفقراء فقراً مدقعاً .

لذلك يذمّ القرآن الربا ذمّاً شديداً ، ويشنّع عليه ويقبّح تصويره ، بمقدار ما يمدح الزكاة ويحث عليها ، بل قد يكون تشنيعه على الربا ، وذمّه له أقوى وأعنف ، من مدحه

للزكاة والصدقات ، وذلك أسلوب القرآن الحكيم في العقائد المنحرفة ، والأخلاق الدميمة ، والأعمال القبيحة ، فكانت صيغته لذم الربا ، وعبارته فيه من أشد أساليب الذم والإنكار ، وأفظعها ، الأسلوب الذي تقشعر له الأبدان ، وتتخلع منه القلوب ، وهو قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ؕ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ؕ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا ؕ فَأذِنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ ؕ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة الآيات/ ٢٧٨ - ٢٧٩) ، وصور آكل الربا تصويراً دقيقاً يثير المقت والكراهة في نفس القارئ المؤمن ، فيقول : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ؕ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ؕ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ؕ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَىٰ ؕ فَلَهُ مَا سَلَفَ ؕ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ؕ وَمَنْ عَادَ ؕ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ؕ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (سورة البقرة الآية/ ٢٧٥) .

وقد قارن القرآن بين الربا والصدقات ، وآثارهما ونتائجهما ، في أكثر من موضع ، فقال في إيجاز ، هو الإعجاز ، وفي لفظ يحتاج تفسيره إلى مجلد ضخمة ، وإلى استعراض تاريخ علم الاقتصاد ، وما آل إليه أمر البلاد والمجتمعات التي عاملت بالربا ؛ فقال : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ؕ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ (سورة البقرة الآية/ ٢٧٦) ، وقال : ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رِّبَا لِّيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ؕ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ ؕ وَمَا آتَيْتُمْ مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ؕ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ (سورة الروم الآية/ ٣٩) .

وكذلك فعل الرسول الكريم ﷺ - وكان خلقه القرآن - فمدح الزكاة والصدقات ، وذكر آثارها ونتائجها في المال وفي جماعة المسلمين ، وقد مرّت الأحاديث التي وردت في البركة في المال الذي يتصدق منه ، وإعانة العبد المتصدق من الله ، وبالعكس من ذلك ، أنذر على منع الزكاة بالعقوبة العاجلة في الدنيا ، فقد روى بريدة رضي الله عنه ، قال : " ما منع قوم الزكاة إلا ابتلاهم الله بالسنين " <sup>١</sup> . وهكذا أنذر على الربا والمعاملة به بالعقوبات في الدنيا ، والعذاب في الآخرة ، فقال : " ما من قوم يظهر فيهم الربا ، إلا أخذوا بالسنة ، ما من قوم يظهر فيهم الرشا ، إلا أخذوا بالرعب " <sup>٢</sup> ، وقال : " لعن الله آكل الربا ، وموكله وكاتبه ، ومانع الصدقة " <sup>٣</sup> ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " قال رسول الله ﷺ : أتيت ليلة أُسري بي على قوم ، بطونهم كالبيوت ، فيها الحيّات ترى من خارج بطونهم ، قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا " ، وقال : " إذا أراد الله بقرية هلاكاً أظهر فيهم الربا " <sup>٤</sup> .

ومن اطّلع على تاريخ المجتمع الإسلامي ، ودرسه من الناحية الخلقية ، ومن ناحية تطبيقه للأحكام الشرعية ، والأوامر الإلهية ، وما جرّ ذلك عليه من يمن وبركة ، وأمن وسلامة ، وسعادة ورخاء ، وإخلاله بالشرعية ، وتعطيله للحدود والفرائض ، وما جرّ ذلك عليه من بلاء وشقاء ، ومن

<sup>١</sup> ( المعجم الأوسط للطبراني .

<sup>٢</sup> رواه الحاكم في المستدرک ، والنسائي في السنن .

<sup>٣</sup> رواه أحمد وابن ماجه .

<sup>٤</sup> كنز العمال مروياً عن أبي هريرة : ج/٢ ، ص/٢١٣ .

ضيق وضنك، صدق هذه الأخبار النبوية الصادقة ، وهذه الأحاديث الواردة ، وصدق الله العظيم : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْتَىٰ ❖ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ❖ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ❖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة النحل/ الآية ٩٧) ، وقال : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ❖ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ❖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (سورة طه الآية/١٢٤).<sup>١</sup>

<sup>١</sup> الأركان الأربعة : ص/١٢٤-١٢٧ .

## الصيام

الصيام ركن أساسي من الأركان الخمسة في الإسلام، هذه الأركان الأساسية يقوم عليها بناء الدين الإسلامي ، فلا بد من صيانة كل ركن من هذه الأركان ، ليقوم عليه صرح الإسلام ، وإن للصيام خصائص وفوائد ، إذا تأملها الإنسان من فطرته السليمة تجلت فيه جوانب مشرقة لحياته ، فالامتثال لأوامر الله بغض النظر عن الأهواء والشهوات والمصالح الشخصية ، و عملاً بالقيم الإنسانية العليا يحمل نواحي مهمة ، فالصيام يزيّن باطن الإنسان، كما يرسم فيه المساواة والعطف، شعوراً بمصائب الناس وآلامهم .

أشار القرآن الكريم إلى أهمية هذه القيم وتقوية عواطف الخير ، والمساواة الإنسانية وكبح جماح النفس ، وعين سنةً وشهراً للتدريب عليها ، وأخبر بميزته هذه أن قد نزل القرآن الكريم في هذا الشهر ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ❖ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ❖ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ ❖ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً ❖ أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ❖ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ❖ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ❖ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ❖ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ❖ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ❖ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ❖ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ❖ وَمَنْ كَانَ

مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ❖ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ  
❖ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ❖ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا  
هَدَاكُمُ ❖ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿سورة البقرة الآيات/ ١٨٣ - ١٨٥﴾ .

إن نظام الصيام يتكون من طبيعة تتجلى منها الملكوتية، والملائكة نوع من المخلوقات لا يأكل ولا يشرب ، ولا يحتاج إلى أشياء مادية كما تحتاج إليها المخلوقات الأرضية ، فإن الملائكة يلتجئون إلى الله تعالى ، ويشغلون بعبادته ، ولا يكونون ولا يملون ، ولا يعصون الله تعالى ، وتتحول حياة الصائم إلى حياة ملكوتية إلى حد ممكن ، و الصائم يضطر إلى إكمال الحوائج البشرية اللازمة ، لأنه أحد المخلوقات الأرضية ، فينقطع إلى عبادة الله وطاعته مثل الملائكة ، فلا يأكل ولا يشرب ، ولا يعصي الله تعالى .

وإن الصائم يكون ناجحاً باختيار مثل هذه الحياة ومحبوباً عند الله عزوجل ، ويحرم فوائد الصيام بقدر التفريط فيها ، وإن موسم الصيام يأتي لجميع المسلمين في وقت واحد ، فينشأ جو عام وبيئة واحدة ، وحرص الإسلام على تكوينها وإنشائها ، كما لفت انتباه الذي لا يقدر على الصيام من مرض أو سفر أن لا يجهر بإفطار الصيام ، لئلا يتأثر به جو الصيام .

يتوافر لكل مسلم فرصة استعراض حياته بهذا العمل الروحي ، فيضع نصب عينه أسوة الملائكة ، ويتشبه بهم ، ويفكر فيما يؤدي مسؤليته ، وإذا صدر منه تقصير ، فكيف يسعى لإزالته ، فإنه إن لم يكن ملكاً لكنه يستطيع أن يتمتع بجو روحاني ، ويستفيد من رحمة ربه

ورضاه، يقول العلامة ابن القيم ، وهو يسلط الضوء على أسرار الصيام ومقاصده :

"وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة ، والقوى الباطنة ، وحمايتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة ، التي إذا استولت عليها أفسدتها ، واستفراغ المواد الرديئة المانعة له من صحتها ، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها ، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى ، كما قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ❖ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (سورة البقرة الآية/١٨٣) ، وقال النبي الكريم ﷺ : الصوم جنة ، وأمر من اشتدت عليه شهوة النكاح ، ولا قدرة له عليه ، بالصيام ، وجعله وجاء هذه الشهوة .

المقصود أن مصالح الصوم لمّا كانت مشهودة بالعقول السليمة ، والفطر المستقيمة ، شرعه الله لعباده رحمة لهم ، وإحساناً إليهم وحميةً وجنة" <sup>١</sup>.

إن حياتنا تملؤها مواضع الضعف ومساقط الزلة ، ويكون مدارها جلب التسهيلات الدنيوية ولذاتها ، ونيل المنافع العاجلة واتباع الأهواء والشهوات ، والاعتداء على الآخرين بسبب النفس الأمارة بالسوء ، وإتلاف حقوقهم ، وتكون حياتنا قدرة بالاغتياب لأحد ، والكذب ، والظلم وهضم الحقوق وما إلى ذلك ، وقد قدر شهر كامل في السنة

<sup>١</sup> زاد المعاد : ج/٢ ، ص/١٥٢ .

أن نتدرب على الاجتتاب من هذه السيئات والمنكرات ،  
ونسعى سعياً لنجعل حياتنا طاهرةً من هذه الأمور ما أمكن ،  
فإذا نجحنا فيه فكان ذلك مآثرة من مآثر الملائكة ، لأنّ  
الملائكة مفلطرون عليه ، لكننا لسنا مضطرين إليه فطرةً ،  
لأننا مخلوق أَرْضِي ، نملك إرادتنا وفكرنا ، وإن الملائكة لا  
يحتاجون فيه إلى تضحية ، ونحن نختار الخير بمجهوداتنا  
وتضحياتنا ، فإذا اختار الإنسان صورة مثل الملائكة زادت من  
الملائكة مكانةً ورُتبةً .

وبين القرآن والصوم صلة متينة عميقة ، وقد ذكر الله  
تعالى أكبر ميزة لهذا الشهر أن القرآن الكريم قد نزل فيه ،  
قال الله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ❖ هُدًى  
لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ (سورة البقرة الآية/١٨٥) ،  
يقول العارف بالله العالم الرياني الشيخ أحمد بن عبد الأحد  
السرهندي (١٠٣٤م) في بعض رسائله :

"إن لهذا الشهر مناسبة تامة بالقرآن ، وبهذه المناسبة  
كان نزول القرآن فيه ، وكان هذا الشهر جامعاً لجميع  
الخيرات والبركات ، وكل خير وبركة تصل إلى الناس في  
طول العام قطرة من هذا البحر ، وإن جمعية هذا الشهر سبب  
لجمعية العام كله ، وتشتت البال فيه سبب التشتت في بقية  
الأيام ، وفي طول العام ، فطوبى لمن مضى عليه هذا الشهر  
المبارك ، ورضي عنه ، وويل لمن سخط عليه ، فمنع من  
البركات وحرّم من الخيرات" .

ويقول في رسالة أخرى : "إذا وفق الإنسان للخيرات  
والأعمال الصالحة في هذا الشهر حالفه التوفيق في طول



السنة، وإذا مضى هذا الشهر في توزع بال وتشئت حال مضى العام كله في تشئت وتشويش".<sup>١</sup>

إن أكبر دليل لفوائد الصيام وأهميته عند الله أن الله عزوجل قد أبدى إعجابه به من الأعمال والعبادات الأخرى ، وقد ورد قول الله تعالى في الحديث القدسي : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف ، قال الله تعالى : إلا الصوم ، فإنه لي ، وأنا أجزي به ، يدع شهوته وطعامه من أجلي (رواه البخاري ومسلم).

إن شهر الصيام ثروة دينية للمسلمين ، ينالون بها فوائد متنوعة ، ولا شك أن أداء العبادة مع جوانب متعددة لحياة المسلمين الاجتماعية يمر بمرحلة الإصلاح والتصحيح ، فيكون شهر رمضان شهر المواساة والتعاون ، وتمثيلاً صادقاً للأحاسيس

الإنسانية ، يمكن أن يخرج الإنسان بعد قضاء رمضان على أحسن طريق ، وأداء عباداته أداءً رائعاً من الغفلة والتلوثات الإنسانية وكيفية الجفاء ، وبيتعد الصائم إلى مدة عن هذه الأشياء ، التي تجعل نفس الإنسان قاسية ، وطبيعته بعيدة من الأخلاق الإنسانية الحسنة ، فإنه يتوافر لديه فرص تمثيل العبودية لله تعالى في جانب ، وفي جانب آخر يقوم بالإحسان إلى الناس ومواساتهم ، فيؤثر عبادة الله وامتنال أوامره على راحته ورضاه ، ويضحى بنفسه وهواه ، فيختفي في هذه

<sup>١</sup> رسائل الإمام الرباني للشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي : ج/١ ، ص/٨ .

التضحية تضحية النفس وتضحية الراحة البدنية أيضاً ،  
ويكون فرق واختلاف في وظائفه اليومية والليلية ، ويطيل  
الصائم وقفات الطعام والشراب ، ويكون تغيير في أوقاتها ،  
يمسك من الطعام ، ويؤمر بالأكل في الوقت الذي لا يأكل  
فيه عامةً ، تخص ساعة أو ساعتان قبل طلوع الفجر وقت  
استيقاظه ، ويمسك من الأكل في أوقات خاصة في النهار  
حسب راحته ، وبعد غروب الشمس لا يؤذن بالأكل فقط ،  
بل يكون الأكل مبعث أجر وثواب ، وتستمر هذه السلسلة  
إلى شهر كامل ، ويأتي شرب الماء ضمن الأكل ، فيعطش  
الصائم بأمر من الله تعالى ، ثم يأكل بإذنه ، ولا ريب أن  
محظورات الصيام هذه جديدة من نوعها .

#### عيد الفطر :

تتقضي الأيام والليالي حوالي تسعة وعشرين أو ثلاثين  
يوماً ، مفعمة بحالات وكوائف روحية ، فيأتي عيد الفطر ،  
الذي يحمل في طياته العبادة وذوقها وقبولها واطمئنانها ،  
ويبعث على الفرح والسرور دينياً ودنيوياً ، فيكون له حرية  
وانطلاق لقضاء الحياة حسب هواه ورغبته المباحة في جانب ،  
وفي جانب آخر يقضي الله تعالى له بأجور العبادة والطاعة  
والانقياد ، ويكرم بجائزته ، فسميت ليلة العيد ليلة الجائزة .  
إن شهر رمضان يضيف على صاحبه طهراً وعفافاً  
وقدسيةً يكون زاداً من البركة والرحمة ، ثم تعود فرصة  
مباركة له بعد سنة ، ويعيد الإنسان آيات البركة والخير ، إن  
شهر رمضان يملأ كل مؤمن بهذا الشعور أن هناك رجالاً  
كثيراً على وجه الأرض ، ينتمون إلى الأسرة الإنسانية لكنهم

يتحملون مرارة الجوع ، وكم من رجال لا يملكون زاداً لإكمال الحاجيات الإنسانية ، ويعلم رمضان أيضاً أن يشعر الإنسان بآلام بني نوعه ، ويواسيهم أيما مواساة ، فاعتبرت مساعدة المحتاجين ، وإطعام الجائعين من أعمال رمضان المفضلة ، وإذا واجه الإنسان مشاكل الجوع في حالة الصوم شعر بفداحة الجوع ، وكم يحمل مواساة الناس من أهمية بالغة، حينما يصوم ويبعد نفسه من غرائز النفس الطبيعية ، فيجد فرصة تمرينها على إبعاد نفسها من السيئات ، التي هي مذمومة ، وغير موافقة للحياة السعيدة ، فيأتي رمضان بمنهج يجعل الإنسان صالحاً، وطاهراً ، وهو لازم لكل إنسان ، وهو يوفر أسباباً لصلاحه وتقواه ، كما يهيئ فرصة لابتغاء وجه الله تعالى ، فتعود ثمرته في أفراح ومسرات عيد الفطر ، وجائزته الأصيلية (نيل رضا الله تعالى) ، وهي جائزة خاصة من الله تعالى : إن الصيام عبادة عظيمة من نوعها ، قال الله عنها : كل عمل ابن آدم له ، إلا الصيام فإنه لي ، وأنا أجزي به ، فإن صوم الشيطان وإبداءه الحزن يوم العيد حق ، لأن كثيراً من الناس تخلصوا من حبالته وخببوا مكره وكيده ، وفرح الصائمين حق ، على أنهم أبعدها أنفسهم من بواطن الشيطان وأرضوا ربهم ، فإنهم ينطلق لسانهم مرددين كلمة ألوهية الله وعظمة ربهم يوم العيد ، ذاهبين إلى المصلى : الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر ، الله أكبر ، والله الحمد ، ولا شك أن الصائمين يجعلون صيام الشيطان أشد وأفظع له .

## الحج

إن عبادات الإسلام الأساسية تنقسم إلى أربعة ، منها عبادة الحج ، قد فرضت على من استطاع إلى بيت الله سبيلاً ، وتتم هذه العبادة بالسفر إلى مكة المكرمة ، وتستغرق خمسة أيام ، يقدم فيها المسلمون أمثلة رائعة للطاعة والفداء أمام ربهم ، وقد مثلها من قبل سيدنا إبراهيم عليه السلام ، فيحاكي المسلمون منهج عبادته عليه السلام ، لأن أسوته درس عظيم للمؤمنين ، وقد كلف المؤمنون على أن يتظاهروا بمحبة وطاعة ربهم وابتغاء مرضاته وفقاً لهذه الأسوة ، ذكر الله تعالى نماذجها في إطاعة إبراهيم عليه السلام وحبه لله تعالى ، وخلدها تذكارية ومثالية للمؤمنين إلى يوم القيامة ، ضرب سيدنا إبراهيم عليه السلام ثلاث تضحيات جسام لا يوجد نظيرها في التاريخ الإنساني .

عاش إبراهيم عليه السلام في بيئة غارقة في الشرك والوثنية ، وكانت قومه تعبد الأصنام ، وكان والده من عباده ، بل من صانعيها ، لكن فطرة إبراهيم عليه السلام لم ترض بهذه الشركيات في البيت وخارجه ، واستنتج بنفسه أن الشرك لا يوافق والعقل الإنساني ، وكان شرك قومه عبادة الكواكب ، فتدبر سيدنا إبراهيم عليه السلام في قيمة وحقيقة الكواكب ، ثم القمر ، ثم الشمس ، واعتقد أن هذه المخلوقات تحتاج إلى قوة أعلى منها ، فإذا كانت محتاجة ،

فكيف تساوي ذا القوة الكبرى ، واستتج كذلك منها أن وراءها قوة رفيعة ، وهي تسيّرهما وتملك شؤونها بهذا المنهج القويم ، متوصلة إلى الله الواحد الأحد ، ورد ذكر ذلك في القرآن الكريم ، قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرَأْتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ❖ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ❖ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ❖ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ❖ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ❖ قَالَ هَذَا رَبِّي ❖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ❖ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا ❖ قَالَ هَذَا رَبِّي ❖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ❖ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً ❖ قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ❖ فَلَمَّا أَفَلَتْ ❖ قَالَ : يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ❖ إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ❖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ❖ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ❖ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ❖ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ❖ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ❖ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ❖ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ ❖ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ❖ فَآيُ الضَّرِيقِينَ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ❖ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ❖ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ ❖ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ❖ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ❖ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ❖ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة الأنعام الآيات/٧٤ - ٨٤) .

رفع الله إبراهيم عليه السلام مكاناً علياً ، وجعله خليل الله كما أشار إليه القرآن : ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (سورة النساء الآية/١٢٥) فلم يوصف بهذه المنزلة الرفيعة إلا بالإيمان

الكامل بالله الواحد ، وخالق الكائنات ، دعا قومه إلى الله ، واستخدم همته وعزيمته حتى اجتاز مراحل صعبة من الإيمان ، واضطر إلى تقديم تضحيات ضخام .

قام سيدنا إبراهيم عليه السلام بالتضحية الأولى حينما دعا قومه الوثنيين إلى التوحيد ، فعامل قومه حتى أبوه معاملة قاسية ، وهددوه تهديداً لاذعاً على أنه إذا استمر في دعوة التوحيد يقذف في نار ملتهبة ، فاستعد لمواجهةها ، ولم يحد قيد شعرة عن عقيدة التوحيد ورضي بقذفه في النار ، فألقي في النار ، واطمئن بتضحية نفسه في سبيل الله تعالى ، فوقاه الله تعالى من قدرته الكاملة ، نظراً إلى همته الصادقة وتضحيته المخلصة ، بحيث قد سلب من النار قوة إحراقه ، فكان معافى في جسده رغم إلقائه في النار، لكنه فعل حسب وسعه أنه قد دخل في النار للاحتراق ، ذكر الله تعالى عمله هذا في القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ ﴿١١٥﴾ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ ﴿١١٧﴾ وَأَنَا عَلَىٰ ذِكُّكُمْ مِنْ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٨﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿١١٩﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ جُنَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ ﴿١٢٠﴾ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿١٢١﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا ﴿١٢٢﴾ إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٢٣﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿١٢٥﴾ قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا

إِبْرَاهِيمَ ❖ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ ❖ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْتَلُوهُمْ ❖ إِنْ  
كَانُوا يَنْطِقُونَ ❖ فَرَجِعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ❖ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ  
الظَّالِمُونَ ❖ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ❖ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ  
يَنْطِقُونَ ❖ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا  
يَضُرُّكُمْ ❖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ❖ وَإِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ❖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ  
❖ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ ❖ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ❖ قُلْنَا يَا  
نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ❖ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا ❖  
فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿سورة الأنبياء الآيات/ ٥١ - ٧٠﴾ .

هذا أول امتحان عظيم لسيدنا إبراهيم عليه السلام في إيمانه  
وطاعته ، حاز فيه نجاحاً باهراً .

ثم امتحن الله بعد مدة ، إيمانه وطاعته الإلهية ، وهو  
أنه لمَّا ولد له ولد رغم كبر سنه وطول انتظاره ، وكان  
غلاماً وسيماً حبيباً وقرّة عين لوالديه ، يضعه أبوه كل لحظة  
عنده ، ويراه ويفرح برؤيته ، فأمره الله تعالى أن يترك ولده  
وأمه في واد غير ذي زرع ، لا ماء فيه ولا طعام ، لا نبات ولا  
شجر ، ولا أنيس لا جليس ، فلبى نداء الله تعالى لابتغاء  
وجهه ، على بعد مئات من الأميال من موطنه ، وحمل ما حمله  
من الزاد والغذاء ، وهجر ولده الرضيع وأمه في وسط الجزيرة  
الصحراوية ، الذي كان أحب الأمكنة إلى الله تعالى ،  
ويعرف ببكة أو مكة ، فلما توجه إلى وطنه سألته زوجته  
هاجر : إلى من تكلنا هنا ؟ أجاب : هذا أمر ربي ، أكلكم  
إلى الله تعالى ، فجازف إبراهيم عليه السلام بزوجه وولده ، وضحى  
بهما ، ولا شك أن تضحية ولده وزوجه الحبيبة مثل تضحية  
نفسه ، فقدم هذه التضحية ، وهجر زوجته وابنه في أرض

بعيدة ، متناثية ، ويابسة ، حيث انعدمت فيها وسائل الحياة ،  
ومما يتقطع منه القلب حزناً أن هذا الولد الذي ولد بعد طول  
الانتظار ، وزوجته التي ولد منها هذا الولد ، كيف كان  
شأنهما في مكان ؟ حيث لا يبقى طعام ، ولا يوجد شراب ،  
لكن الأب ، والابن والزوجة كانوا فداء لمرضاة ربهم ، فإن  
ما حمل الابن والزوجة من الزاد كفاهما إلى عدة أيام ، ولما  
انتهى الزاد ، ولم يبق الماء ، وعطش الولد ، وانتهى عطشه إلى  
أن كاد يهلك ، سعدت أمه على جبال الصفا والمروة باحثة عن  
الماء ، مضطربة ومشوشة ولا تزال تصعد وتنزل ، وتظن أنه هل  
توجد علامة للماء ، فتأتيه بالماء ، فأين هنا ماء يُرى ؟ فامتحن  
الله زوجة إبراهيم عليه السلام ، ولما رضيت بقضاء ربها ، سعدت  
بنجاحها في هذا الامتحان ، وحينما بلغ اضطرابها مبلغه ،  
ورضيت بقدر الله تعالى أتاه نصر من الله تعالى ، جاء جبرئيل  
عليه السلام بإذن ربه ، فركل برجله الأرض التي تلي الولد بأمر من  
الله تعالى ، التي تحولت إلى حفرة ، وانفجر منها الماء ، الذي  
سمي بزمزم ، وقد توافرت أسباب الحياة بماء زمزم ، ثم مما  
أنعم الله به عليهما أن قد مرّت قافلة من اليمن قريباً من هذه  
الأرض ، وكانت تبحث عن الماء ، فرأت الطير متطايرةً ،  
وظننت أن هناك أرضاً ، يوجد الماء قريباً منها ، فجاءت بحثاً  
عنه ورأت الماء ، ورأت كذلك هاجر وابنها ، فاستعملت الماء  
مستأذنة من هاجر ثم أقامت هنا ، فتكونت قرية صغيرة ، ولما  
بلغ إسماعيل سن الرشد تزوج من امرأة لقبيلة جرهم اليمنية ،  
ورزق أولاداً ، وتشكل عمران هنا في معنى الكلمة ، فأنشأ  
أهله طرقاتاً جديدة للأكل والشرب بفضل الله تعالى ، كان الماء



في صورة زمزم ، واختاروا للطعام طرقاً مناسبة ، وقد دعا لهم سيدنا إبراهيم عليه السلام ، فكان نصر الله وتأييده يحيطهم من كل جانب ، وأحياناً يأتي إبراهيم عليه السلام بعد مدة يتفقد أحوالهم ويدعو لبقاء هذا العمران الصغير واشتغال أهله بالطاعة الإلهية والعبادة الربانية ، قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ! رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ❖ وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ❖ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ❖ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ❖ وَمَنْ عَصَانِي ❖ فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ❖ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ❖ رَبَّنَا تُقِيمُوا الصَّلَاةَ ❖ فَاجْعَلْ أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ ❖ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (سورة إبراهيم الآيات/ ٣٥ - ٣٧) .

شب سيدنا إسماعيل عليه السلام رويداً رويداً ، وكان صالحاً وسعيداً ، وأخذ يحظ وافر في خدمة الأبوين وإطاعتهما وامتثال أمرهما ، وحينما يرى والداه ابنه النجيب أنه من أجمل وأسعد الأولاد ازداد حبهما له ، ولما بلغ سيدنا إسماعيل عليه السلام مبلغه في السعادة والشرف رأى في منامه أنه يذبح ابنه لابتغاء وجه الله تعالى ، رأى مرة ، ومرتين بل ثلاث مرار ، وكان يعتقد أن رؤيا الأنبياء صادقة ، فاعتبرها أمراً من عند الله ، وأرضى قلبه للعمل بهذا الأمر الرباني ، ثم أخبر ابنه بهذه الرؤيا ، استسلم ولده الصالح النجيب لأمر الله تعالى ، وقال : يا أبت افعل ما تؤمر ، أنا مستعد ، فخرج به إبراهيم عليه السلام وأتى إلى منى ، فأضجعه وعقد على عينه عصابةً ، لئلا ينظر هذا المنظر المروع ويرحمه ، ويفرط في امتثال أمر ربه ، بدأ يمر سكينه على حلقوم إسماعيل عليه السلام ، فكفاه الله

تعالى نظراً إلى إطاعته البالغة إلى آخر مداها ، وأمر جبريل عليه السلام فأتى بكبش ، وقدمه مكان إسماعيل ، فذبح الكبش بدلاً من إسماعيل عليه السلام ، وسلم إسماعيل عليه السلام من الذبح ، رغم أن الوالد والولد قد أكملوا شروط التضحية من صميم قلبهما ، فأحب الله تضحيات إبراهيم وزوجته وابنه إسماعيل بحيث جعلها تذكارية ، ذكر الله في القرآن دعاء إبراهيم عليه السلام للولد ، ثم تقديمه في سبيل الله تعالى ؛ فقال : ﴿ فَقَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ : يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ ﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾ ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ ﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ ﴿ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ﴾ ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾ ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ ﴿ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة الصافات الآيات/ ١٠٠ - ١١١) .

هذه ثلاث تضحيات كبيرة لإبراهيم عليه السلام قام بها ابتغاء وجه الله تعالى : ١- إلقاءه في النار ، ٢- وهجر زوجته وولده في الصحراء بإشارة من الله تعالى ، ٣- ثم تقديم ابنه للذبح امتثالاً لأمر الله تعالى ، نتيجة لذلك جعلت تضحياته هذه تذكارية ليتأسى بها المؤمنون وكل من يتمنى رضاه في شكلها الظاهري على أقل درجة ، فيحاكي الحجاج محاكاةً ظاهرةً لهذه التضحيات ، وإن مكة المكرمة التي سميت ببكة تُذَكَّرُ بطواف أول بيت ، أسس لعبادة الله

تعالى ، وهرولة والدة إسماعيل بين الصفا والمروة أمام الكعبة ،  
مراراً وتكراراً ، إبقاءً على حياة الطفل ، وإن بحث السيدة  
هاجر عن الماء ، وتقديم أضحية سالحة محاكاةً لتضحية  
إسماعيل عليه السلام ، يذكرنا سنة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ،  
فالكعبة أول بيت وضع لعبادة الله في مكة بعد نزول آدم عليه السلام  
إلى الأرض ، فقد اختفت بمرور الزمان ، ثم رفع قواعدها  
إبراهيم مع ابنه إسماعيل عليهما السلام بإذن ربه ، فهذا  
البيت وما قدمت حوله ذرية إبراهيم عليه السلام من تضحيات قضى  
الله بالنظر إليها أنه يجعل هذا المكان مكاناً مركزياً في  
العالم ، ويرزق سكانه كل نوع من الثمرات والفواكه ،  
ويأتي إليه الناس رجالاً وركباناً ، فرادى وجماعات من كل  
فج عميق ، وصدق أمر الله تعالى أن الحجاج لا يزالون يأتون  
إليه منذ ذلك الوقت ويتجشمون المشاق ، وينالون رضا الله  
تعالى ، قال الله تعالى : ﴿وَأَذِّبْنَا لِبِرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا  
تُشْرِكَ بِي شَيْئاً ❖ وَطَهَّرَ بَيْتِي لِّلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ  
السُّجُودِ ❖ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَاأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ  
ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ❖ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ  
وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ  
الْأَنْعَامِ ❖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ❖ ثُمَّ لِيَقْضُوا  
تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ❖ ذَلِكَ وَمَنْ  
يُعْظَمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ ❖ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ❖ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ  
الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ  
وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ❖ حَنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ❖ وَمَنْ  
يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ

الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ❖ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ ❖ فَإِنَّهَا  
مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ❖ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ❖ ثُمَّ  
مَحَلُّهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ❖ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا  
اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ❖ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ  
❖ فَ لَهُ أَسْلِمُوا ❖ وَبَشِّرِ الْمُحِبِّينَ ﴿سورة الحج الآيات/ ٢٦ - ٢٤﴾ .

فالحجاج يجهرون في الحج بالتلبية : لبيك اللهم لبيك ،  
لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك ، والملك لا  
شريك لك .

فريضة الحج هذه ذكرى إطاعة وعبادة عبد من عباد  
الله ، مطيع ومنقاد له ، ورسول اصطفاه الله لتبليغ دينه ، وهو  
إبراهيم عليه السلام ، نظراً إلى هذه المظاهر يرتسم في قلب كل  
مسلم أن يحضر في مكة المكرمة تاركاً ثيابه المحبوبة لبدنه  
، ولا بساً لباساً مثل الكفن ، وملبياً : لبيك اللهم لبيك ، لبيك  
لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك ، والملك لا شريك  
لك ، فبمثل هذا الأسلوب تكون محاكاة لتضحيات سيدنا  
إبراهيم عليه السلام ، ولا شك أن تضحيات إبراهيم وزوجته كانت  
منقطعة النظير ، فلا يمثلها إنسان ، ولكن ما يكمن من  
عواطف رضا الله تعالى في تضحيات سيدنا إبراهيم عليه السلام ،  
يستطيع أن يقلدها على أقل تقدير ، فقد ضحى بنفسه ونفيسه  
ما لا يقدر عليه أحد ، لكن محاكاته الظاهرة تذكّر  
لتضحية النفس والهوى والمال ، التي تتم كل عام في مكة  
المكرمة ، وقد أمر للقيام بها من استطاع إليها سبيلاً ، وهو  
مكلف وجوباً طول العمر مرة واحدة على الأقل ، فهي عبادة  
من العبادات الأربع الأساسية للإسلام ، تزيد المرء ديناً

وإيماناً، وغايتها ابتغاء وجه الله تعالى ، هذه رسالة الحج ومغزاها ، وقد فرض الله الحج على من استطاع إلى بيت الله الحرام سبيلاً ، فالذي يملك قوة بدنية ومالية فرض عليه الحج، ليبيد المؤمنون إلى يوم القيامة مظاهر تضحية الأنفس والأموال لله تبارك وتعالى في حياتهم ، وتستمر محاكاة التضحيات الجسيمة التي قدمها سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى ما شاء، وتحى هذه السنة في قلوب الناس ، قال الله تعالى : ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ❖ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ❖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ❖ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًىً لِلْعَالَمِينَ ❖ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ❖ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ❖ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ❖ وَمَنْ كَفَرَ ❖ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة آل عمران الآيات/٩٥-٩٧) .

### عيد الأضحى :

أكرم الله تعالى المسلمين بعيد الأضحى شكراً على القيام بهذه العبادة ، وهو بعد شهرين وعشرة أيام من صيام رمضان الذي يعقب عيد الفطر ، فإن عيد الفطر يأتي بعد إنجاز السيطرة على الأهواء والشهوات ، والإمساك عن الأكل والشرب شهراً كاملاً ، لابتغاء وجه الله تعالى ، وعيد الأضحى يأتي بذكريات التضحية والاستماتة في سبيل الله من سيدنا إبراهيم عليه السلام ، التي قدمها أمام رب العالمين ، وهي أروع مثال في الإيثار والتضحية ، فإنه قدم لإرضاء الله تعالى تضحيات جسيمة من نواح شتى : النفس والحب ، وحب الزوجة وحب الرضيع ، فقد ترك وطنه الحبيب ، ثم ترك

حبيبيه الزوجة وفلذة كبده امتثالاً لأمر الله تعالى في صحراء قاحلة جرداء ، بعيدة عن العمران ، وحينما سئل عنه فأجاب : هذا أمر ربي ، وهذا امتثال لأمره ، ثم أمر سكينه على عنق ابنه الشاب السعيد قدر المستطاع .

تقبل الله تضحياته الجسيمة وخلصها إلى يوم القيامة وأمر المسلمين أن يتذكروها دائماً ، وأمر نبيه الأخير والقُدوة الباقية إلى يوم القيامة سيدنا محمداً ﷺ ، كما ورد في القرآن الكريم : ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (سورة النحل الآية/١٢٣) .

وجعل محاكاة التضحيات الظاهرة عبادة بحيث يحتفل بها المؤمنون المنقادون لله تعالى ، ويعرفون مكانتها ويبدونها ، ويستحضرونها دائماً في أذهانهم بتمثيل تضحية مشابهة لها ، ويشكرون الله تعالى بانتمائهم إلى هذه الشخصية المثالية الفذة ، فهذا اليوم يوم العبودية والاستسلام لله تعالى ، ويوم الفرح والسرور على نجاحهم ، الذي ورد ذكره مفصلاً في القرآن الكريم .



## فكرة الجهاد في القرآن الكريم

إن الجهاد يأتي في مرحلة الحياة التي يختار فيها العدو طريقة حربية ، فقد أمر المسلمون من قبل بالصلح والمصالحة والسعي المأمون كما كان في العهد المكي من الإسلام ، وإن ما اضطر إليه المسلمون من عمل حربي باسم الجهاد كان فيه التأكيد على أن يؤثروا منهج العدل والإخلاص مجازفةً بالنفس والمال في سبيل نصرة الحق .

اشتقت كلمة الجهاد من الجهد ، فاستعمال كلمة الجهاد بدل الجهد عبارة عن السعي ضد القوة ، وإقامة الحق بتضحية جميع التسهيلات ، فقد قال الله تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ❖ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ ❖ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (سورة التوبة الآية/٢٠) .

رغم جميع الاعتداءات والظلم في ١٣/عاماً من مكة أمر المسلمون بأن يكفوا أيديهم ، وقيموا الصلاة ، فلما كان العهد المدني وأراد العدو أن يهلك المسلمين بقوة عسكرية كبيرة أذن للمسلمين أن يهجموا على العدو ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ❖ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ❖ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ

إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ❖ وَكُو لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ❖ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ❖ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿سورة الحج الآيات/ ٣٩ - ٤٠﴾ ، وقال : ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ❖ وَلَا تَعْتَدُوا ❖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (سورة البقرة الآية/ ١٩٠) ، ولما أغار كفار مكة على المدينة ، مهاجمين ومحاربين ، قال الله عزَّوجلَّ : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ❖ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ❖ فَإِنْ انْتَهَوْا ❖ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (سورة البقرة الآية/ ١٩٣) .

فاستعملت كلمة الجهاد منذ فجر الإسلام إلى ١٣/عاماً ، لتحمل المشاق ، ومواجهة المتطلبات المقوتة للأهواء والأغراض النفسية ، ابتغاءً لمرضاة الله تعالى .

هذا هو العهد الذي منع فيه المسلمون عن استعمال القوة رغم العداوة الجامحة والأذى الشديد ، فضلاً عن القتال ، فقد أوصوا بأن يُطْمَئِنُوا نفوسهم بالصلاة ، فجرى معهم الجهاد مع النفس ، ثم الجهاد مع الشيطان ، فلما تحول إيذاء المشركين في العشرة الباقية إلى عمل حربي ، أذن بالقتال ضد مؤامرات عسكرية واعتداءات ظالمة من الأعداء المهاجمين ، ليدافعها المسلمون عن أنفسهم ، وتزول العراقيل في نشر الحق ، لكن بشرط أن لا تفوتهم الأخلاقيات الإنسانية والتدابير الممكنة ، وتم كل ذلك بروح عالية وعلى طلب صادق ، ينذر وجوده في التاريخ الإنساني .

وقد أمر المسلمون بانتهاج منهج الحياة لطاعة الله عزَّوجل ونصرة الحق ، ويتجلى ذلك في سورة (والعصر) : قال



اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿وَالْعَصْرِ ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿ إِلَّا  
 الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ ﴿ وَتَوَّصُوا  
 بِالصَّبْرِ ﴾ (سورة العصر الآيات ١/ - ٣) فخلاصة هذه السورة  
 الإيمان أي صوغ الحياة وفق الشريعة ، والعمل الصالح أي  
 التحلي بأعمال الخير ، والتواصي للناس بالحق ، والتواصي  
 بأن ما يأتي من المصائب والمشكلات في سبيل الحق يجب  
 تحملها والصبر عليها ، فإذا حدثت هذه الصعوبات من الأعداء  
 بالقوة فمواجهتها بالقوة أولى وأهم ، بشرط أن ينتهي الشر من  
 العالم ، ويعم الخير في كل مكان ، قال الله تعالى : ﴿الَّذِينَ  
 إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴿ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ﴿ وَأَمَرُوا  
 بِالْمَعْرُوفِ ﴿ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (سورة الحج الآية/٤١) .

ليست غاية الجهاد الإسلامي إثبات الغلبة للإنسان  
 نفسه ولا لقومه ، أو نيل السلطة الدنيوية ، بل هو تطبيق  
 النظام الإسلامي المنزل من الله تعالى ، فإذا كانت هناك  
 وسيلة مقابل القوة فحبذا هذه الوسيلة ، وإذا كان يُعصى الله  
 علناً ، وينشر الشر والفساد بالقوة ، ولا تؤثر الموعظة والنصيحة  
 في إزالته ، ويستخدم الأعداء كل قوة ممكنة ، ولا يُزال ذلك إلا  
 بالقوة ، فيزال هذا الشر باستعمال القوة ، ابتغاءً لوجه الله  
 تعالى ، ويعرف ذلك بالجهاد الإسلامي ، وإذا لم تكن وراء ذلك  
 هذه الغاية وهذه النية فأطلق عليه أي اسم ، لكن لا يعرف  
 بالجهاد الإسلامي .

إن تاريخ الجهاد الإسلامي لم يعرف قصة للظلم  
 والاعتداء على الأبرياء والمعصومين عبر العصور .

## الباب العاشر

### مكانة خاتم النبيين محمد ﷺ ومهمته

من مقاصد البعثة المحمدية :

ذكر الله تعالى مقاصد البعثة المحمدية الرئيسية الأولى وفوائدها الأساسية الكبرى في عدة آيات من القرآن الحكيم ، فقال : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة الآية/١٥١) وقال : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (سورة آل عمران الآية/١٦٤) وقال : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (سورة الجمعة الآية/٢) .

ومهمة تهذيب الأخلاق وتركية النفوس تشغل مكاناً كبيراً في دائرة الدعوة النبوية ، ومقاصد البعثة المحمدية ، وفي القرآن ما يدل على أن الأخلاق الفاضلة والآداب الإسلامية هي من أهم مظاهر الحكمة ، فإن القرآن قد أطلق لفظ الحكمة على هذه الأخلاق والآداب بعد ما ذكر رؤوسها وأصولها في سورة الإسراء ، فقال : ﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ

رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ﴿ (سورة الإسراء الآية/٣٩) وقال قبل أن يذكر  
 تعاليم لقمان الخلقية : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ  
 وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾  
 وقال بعد ما ذكر الإنفاق في سبيل الله من غير من ولا أذى ،  
 والتوكل على الله في عدم الخوف من الفقر : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ  
 مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ  
 إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سورة البقرة الآية/٢٦٩) وقد ذكر النبي ﷺ هذا  
 الغرض العظيم الذي كانت له البعثة ، بكلمة الحصر ،  
 فقال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" ،<sup>١</sup> وقد كان خير مثال  
 له وأفضل أسوة فيه ، فقد قال القرآن : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ  
 عَظِيمٍ﴾ (سورة القلم الآية/٤) وسئلت عائشة رضي الله عنها عن  
 خلقه صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالت : "كان خلقه القرآن"<sup>٢</sup> .  
 وشرح العلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله تعالى  
 معنى الحكمة بالأخلاق الفاضلة بصفة خاصة ، وإليه ذهب  
 الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسن الندي رحمه الله  
 تعالى ، وهذا المعنى يتجلى مما صرح به النبي صلى الله عليه  
 وسلم من مقاصد بعثته ، وما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله  
 عنها في خلق النبي ﷺ .

وكانت هذه الحكمة والتزكية من أعظم ثمرات  
 الصحبة النبوية ومجالسته ﷺ وعشرته ، فنشأ في أحضانه

<sup>١</sup> رواه مالك في الموطأ بلاغا عن النبي ﷺ ، قال ابن عبد البر هو متصل من  
 وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره ، وقد رواه الإمام أحمد في المسند بسند  
 صحيح عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق" .

<sup>٢</sup> رواه مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها .

جيل تحلى بأفضل الأخلاق وأكرم الصفات ، وتجرد عن رذائل الأخلاق ، ومهلكات العادات ، وذمائم الصفات ، وغوائل النفوس ، وبقايا الجاهلية ، ومغالطات الشيطان ، وقد شهد القرآن باستقامة قلوبهم ، وصلاح نفوسهم ، ووصولهم إلى ذروة تهذيب الأخلاق وتزكية النفوس ، فقال : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ❖ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة الحجرات الآيتان/٧ - ٨) ، وشهد لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقوله : "خير الناس قرني" <sup>١</sup> ، وشهد لهم أحد رفاقهم (عبد الله بن مسعود رضي الله عنه) بقوله البليغ الوجيز : "أبر الناس قلوباً ، وأعمقهم علماً ، وأقلهم تكلفاً" ، فقد كانوا زرع الإسلام ، وغرس النبوة ، وصنائع التربية النبوية ، والتزكية المحمدية .

**أهمية حسن السيرة والأخلاق الحسنة :**

ولما انقطعت هذه الصحبة الكريمة ، ولحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى كان القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والسيرة العطرة يملأن هذا الفراغ ، وكان هو "الفقه" و"الحكمة" و "الطب النبوي" لأمراض القلوب وغوائل النفوس ، ومصائد الشيطان .

**ترياق لسموم غوائل النفس وأمراض القلب :**

وهنا مجموعة من آيات هي تعليمات أساسية لتهذيب

<sup>١</sup> رواه البخاري .

الأخلاق، وتزكية النفوس ، وترياق لسموم غوائل النفس ، ومكايد الشيطان، وأمراض القلوب ، لا يعدله ترياق آخر في القوة والتأثير ، فإنها تنزّل من حكيم حميد ، وشرع من فاطر النفوس ، وقد قال : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (سورة الملك الآية/١٤) ، من أخذ نفسه بها ، وراقبها في جد وصرامة ، وفي إخلاص وأمانة ، بلغ الغاية من تهذيب الأخلاق، وتزكية النفس ، وإذا أخذ بها فرد سعد وتزكى ، وإذا أخذ بها مجتمع كان مجتمعاً مثالياً .

#### الإخلاص :

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (سورة البينة الآية/٥) ، ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (سورة الزمر الآية/٣) .

#### التوبة المخلصة :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ (سورة التحريم الآية/٨) .

#### الصبر والعضو :

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَضَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (سورة الشورى الآية/٤٣) .

#### مراقبة الأمور :

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (سورة الحديد الآية/٤) .  
﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (سورة غافر الآية/١٩) .

### التقوى والسداد في القول والعمل :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ (سورة آل عمران الآية/١٠٢) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (سورة الأحزاب الآية/٧٠) .

### اليقين والتوكل :

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (سورة ابراهيم الآية/١١) .  
 ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ (سورة الفرقان الآية/١٨) .

### الاستقامة :

﴿فَاسْتَقِيمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ (سورة هود الآية/١١٢) .  
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ  
 وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ❖ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً  
 بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة الأحقاف الآيتان/١٣ - ١٤) .

### الاعتصام بالكتاب والسنة :

﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (سورة النساء الآية/٥٩) .

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (سورة الحشر الآية/٧) .

### حب الله ورسوله :

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (سورة البقرة الآية/١٦٥) .  
 ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ

وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا  
وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي  
سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ﴿سورة التوبة الآية / ٢٤﴾ .

التعاون على البر والتقوى :

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ  
وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة المائدة الآية / ٢)  
الأخوة الإسلامية :

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (سورة الحجرات الآية / ١٠) .

الإصلاح بين الناس والعمل المفيد :

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ  
مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ (سورة النساء الآية / ١١٤) .  
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ (سورة الأنفال الآية / ١) .

الملاطفة والتواضع :

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الحجر الآية / ٨٨)  
﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ❖ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (سورة الضحى  
الآيتان / ٩ - ١٠)

اتباع أسوة الرسول :

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ  
لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة آل عمران الآية / ٣١) .

الخوف والرجاء :

﴿وَأَيُّيَ فَارْهَبُونَ﴾ (سورة البقرة الآية / ٤٠) .  
﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ

رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿  
 (سورة الزمر الآية/٥٣) .

﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (سورة الأعراف  
 الآية/٩٩) .

﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة يوسف  
 الآية/٨٧) .

الزهد في الدنيا والتقلل منها :

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ  
 خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (سورة الكهف الآية/٤٦) .

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ  
 لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة العنكبوت الآية/٦٤) .

الإيثارة على النفس :

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (سورة  
 الحشر الآية/٩) .

﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾  
 (سورة الدهر الآية/٨) .

تحريم الكبر والفساد :

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي  
 الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة القصص الآية/٨٣) .

حسن الخلق وتملك النفس :

﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ (سورة آل عمران  
 الآية/١٣٤) .

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (سورة



الأعراف الآية/١٩٩ .

صحبة خيار الناس :

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ  
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (سورة الكهف الآية/٢٨) .  
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾  
(سورة التوبة الآية/١١٩) .

حق المسلم على المسلم :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن  
يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ  
وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ  
بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (سورة  
الحجرات الآية/١١) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ  
إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ  
لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة  
الحجرات الآية/١٢) .

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا  
فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (سورة الأحزاب الآية/٥٨) .  
﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ  
خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ (سورة النور الآية/١٢) .<sup>١</sup>

<sup>١</sup> ( راجع للتفصيل : العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيره  
النبيهة للعلامة الندوي : ١٨٢ - ١٨٩ .

## تهذيب الأخلاق وتركيبة النفس

نزل القرآن الكريم وهو يشتمل على تعاليم جامعة للإنسان على اختلاف أنواعه وطبقاته إلى يوم القيامة ، وسمي بـ "الكتاب" ، قال الله تعالى : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ❖ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ (سورة آل عمران الآيتان / ٣ - ٤) .

فيتجلى منه أن خالق الكائنات والإنسان قد قرر نظام الأخلاق والسلوكيات للإنسان أشرف الخلائق وأرفعها مقدرةً ، وخيّر الإنسان بين اختيارها ورفضها ، ليعرف مدى أخلاقها ، فإذا اختار الأخلاق الفاضلة بعيداً عن الأخلاق السيئة ، فعليه أن يتذكر في نظام الأخلاق نعم الله تعالى وآلاءه ، ويشكره قولاً وعملاً ، لأنه وفر له وسائل الحياة التي يتمتع بها الإنسان ، وقدر له وسائل العلاج لصحته ونظام بدنه ، فالشكر لله والامتنان له يتنوع ويتعدد ، وقد ذكره الله تعالى في القرآن مراراً وتكراراً ، وأوضحه إيضاحاً ، بحيث صار القرآن كتاب هداية للإنسانية جمعاء ، قال الله عزوجل في سورة البقرة ، وهي سورة ثانية وكبيرة في القرآن : ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ❖ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ❖ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ

يُوقِنُونَ ❖ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾  
 (سورة البقرة الآيات/١ - ٥) ، وقال في موضع آخر : ﴿إِنَّ هَذَا  
 الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ  
 الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ❖ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ  
 أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (سورة بني إسرائيل الآيات/٩ - ١٠)

يظهر من الآيات المذكورة أعلاه عدة أمور :

- ١- أن يكون قلب الإنسان وذهنه مؤمناً بنعم الله تعالى ،  
 ومقراً بعظمته وكبريائه ووحدانيته .
- ٢- أن يعمل الإنسان بالتوجيهات التي أنزلها الله تعالى في  
 الأخلاق والسلوكيات .
- ٣- أن يؤمن بالآخرة التي تكون بعد هذه الدنيا ،  
 وينحصر الفوز فيها على ما عمل في هذه الدنيا .

قال الله تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ  
 وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا  
 فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ❖  
 وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا  
 رَبَّيَانِي صَغِيرًا ❖ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ  
 فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غُفُورًا ❖ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ  
 السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ❖ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ  
 وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ❖ وَإِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ ابْتَغَاءَ  
 رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ❖ وَلَا تَجْعَلْ  
 يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ  
 مَلُومًا مَّحْسُورًا ❖ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ  
 كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ❖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ

نَحْنُ نَرزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ❖ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّنا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ❖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ❖ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ❖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ❖ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ❖ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طَوْلًا ❖ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ❖ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿سورة بني إسرائيل الآيات/ ٢٣ - ٣٩﴾ .

ذكر القرآن الكريم بعد التأكيد على إصلاح العقائد ، أمراض المجتمعات الإنسانية الأخرى أيضاً ، التي كانت منتشرة في الأمم الماضية على اختلاف مستوياتها ، فمثلاً كانت قوم عاد مشركة وعالية في الأرض ، وثمود مشركة ومعتزة بمخترعاتها ومصابة بأمراض أخرى ، وقوم لوط مشركة ومرتكبة عمل اللواط والفحش والاستهتار ، وقوم مدين مشركة ومطففة في الكيل والوزن ، وخائنة في التعاملات التجارية ، وكان فرعون يعتبر نفسه إلهاً ، ويزدري الأمم الأخرى فيذلهم ويستعبدهم ويعلوهم علواً كبيراً . أضف إلى ذلك الأمراض التي ستتشأ في الناس ، لفت القرآن انتباههم إليها ، وذكر ما أرشد إليه الأنبياء الآخرون

من التوجيهات والإرشادات، ومنها: المساواة ، والاجتناب عن الكبر وإتلاف الحقوق ، وصيانة النفس الإنسانية ، وعدم أخذ مال الغير بدون إذن منه ، والتواضع ، والتعامل الحسن ، والبعد عن الفخر والمباهاة غير المشروعة ، والتحلي بمكارم الأخلاق ، وبر الوالدين، وشفقة الوالدين على الأولاد، وتوفير المنافع والتسهيلات ، وتوطيد العلاقات الأسرية ، وأداء الحقوق والواجبات التي تعود على الإنسان من جهات شتى ، وقمع الظلم والعدوان ، وتذكير المثل العليا ، واختيار الأخلاق العالية النبيلة ، فقد ورد ذكر هذه الأمور اللازمة في الآيات المذكورة أعلاه من سورة بني إسرائيل، وتكرر ذكرها في سورة لقمان : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ❖ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ❖ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ه وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ❖ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ❖ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ❖ وَلَا تَصْعَقْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ❖ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ

﴿سورة لقمان الآيات/ ١٢ - ١٩﴾. وورد في سورة الحجرات :  
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا  
 خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا  
 تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ  
 الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ❖ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
 آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا  
 تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ  
 لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ❖ يَا  
 أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا  
 وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ  
 خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات الآيات/ ١١ - ١٣). وورد في سورة المؤمنون :  
 ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ❖ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ❖  
 وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ❖ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ❖  
 وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ❖ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ  
 أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ❖ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ  
 الْعَادُونَ ❖ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ❖ وَالَّذِينَ هُمْ  
 عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ❖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ❖ الَّذِينَ يَرِثُونَ  
 الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (سورة المؤمنون الآيات/ ١ - ١١)



**الباب الحادي عشر**  
**توجيهات قرآنية**  
**في حسن السيرة والأخلاق الحسنة**  
**الأمراض الاجتماعية وعلاجها :**

الأمراض الاجتماعية عبارة عن نقص في الإرادة وضعف في العقل ، فإذا ضعفت هذه القوة مال صاحبها إلى السيئات ، وانهارت المجتمعات ، وأصيبت بالخسارة الروحية والمادية أفراداً وجماعات ، وإذا عمت هذه السيئات في قوم تسببت إلى إهلاك الحرث والنسل .

الإسلام منهج كامل للحياة ، فقد ذكر القرآن الكريم الأمراض الاجتماعية في مواضع مختلفة بغاية من التفصيل ، وقدم لها علاجاً ناجعاً ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة النحل الآية/٩٠) .

وزعت الأمراض الاجتماعية في هذه الآية إلى ثلاثة عناوين كبيرة ، وهي : ١- الفحشاء مثل المجون وعدم الحشمة ، ٢- المنكرات، التي تتأثر بها الحياة الاجتماعية بكاملها ، ٣- البغي ، مثل السرقة ، والقتل ، والنهب والخيانة والغدر مع العباد والبلاد .

هذه هي أمراض خلقية ، اعتبرت كل ديانة وكل مجتمع إنساني قبيحةً على حد سواء ، وهي سيئات وفواحش ، وهذه السيئات مكروهة في الإسلام ، وممقوتة لدى الإنسان ، فإذا أبيحت زالت حقوق الناس فيما بينهم ، ولا تسلم النفوس والأموال حتى الأعراض والحرمان .

نظراً إليه قدم القرآن الكريم نظاماً وسطاً للأخلاق ، فالأخلاق التي هي محبوبة عند الناس تعرف بالفضائل ، والتي هي مكروهة عندهم تعرف بالردائل ، أما الفضائل التي ذكرها القرآن في باب الأخلاق فهي كما يأتي :

#### التقوى :

التقوى أي العفة ، العدل ، العفو ، التواضع ، الاقتصاد ، الصدع بالحق ، المنة ، صلة الرحم ، وإذا فقدت هذه الخصال أصيبت المجتمعات بالأمراض الاجتماعية : وهي الحرص ، وعدم الحياء ، والإسراف ، والكذب ، والرشوة ، والميسر ، والتطيف في الكيل والوزن ، والغيبة ، وقد عبر القرآن الكريم عنها بالفحشاء والمنكر ، وورد حلها وعلاجها في الآية : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (سورة العنكبوت الآية / ٤٥) .

#### الحياء :

وعلاج الوقاحة : الحياء ، والاجتباب كل الاجتباب من الفواحش ، والصدع بالحق بكل جراءة ، وهو علاج قرآني للأمراض الاجتماعية ، الحياء هو الابتعاد عن الفواحش والمنكرات ، إذا فقد الحياء الذي يمنع الناس من الأمراض



الاجتماعية ، فليصنع الإنسان ما شاء ، والحياء ينشر الخير ،  
والصلاة مصدر الحياة تنهى الإنسان عن الفحشاء والمنكر .

#### العدل :

العدل حاجة كل جزء من أجزاء الحياة ، إذا فقد  
العقل وتضاءلت الحسنات في تيار العواطف اضطر الإنسان إلى  
العدل والإنصاف ، وبعض السيئات تحرم الإنسان رحمة الله  
تعالى ، وبعضها تحرمه حب الله تعالى ، وبعضها تخلو من  
رضا الله تعالى ، مثل الشرك ، وهو فساد اجتماعي ، لن ينال  
مرتكبه رضا الله تعالى ، بل لا يفر الله الشرك ، ويكون  
المشرك محروماً من الله تعالى دائماً ، ومن معجزة الإسلام أنه  
رفض الآلهة الكاذبة وأخرجها من معابد العالم ، ونسخ عبادة  
الآلهة الباطلة وأعلن عن عبادة إله واحد .

#### العفو :

وبيّن القرآن الكريم علاجاً آخر للأمراض الاجتماعية ،  
وهو ما يلي : ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ  
أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (سورة حم  
السجدة الآية /٣٤) ، أي لا مساواة بين الحسنة والسيئة ، إذا أساء  
أحد إليك فادفع بالتي هي أحسن ، لأن الإعراض عن الجاهلين  
والإحسان إليهم حسنة ، ولا يضيع الله أجر المحسنين ، ولأن  
الحسنة مبعث أجر وثواب ، وتذهب السيئات من الإحسان  
والسلوك الحسن ، وتزول الأمراض الاجتماعية من أعمال  
الخير ، فالحاجة إلى العفو والصفح كل حين ، إن الحسنات  
يزهبن السيئات ، والإحسان إلى أحد صفة تغطي كل حسنة ،  
وعلاج لجميع الأمراض ، فالحسنة مقابل السيئة أكبر علاج من

الأمراض الاجتماعية ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ (سورة هود الآية/١١٤) وقد ضرب الله في القرآن الكريم مثال اختيار الحسنات وتزيين الحياة بالأعمال الصالحة بعنوان : عباد الرحمن : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ❖ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ❖ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ❖ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ❖ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ❖ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ (سورة الفرقان الآيات/٦٣ - ٦٨) .

أما الصفات الأخرى التي تزيل الأمراض الاجتماعية فقد ذكرها القرآن الكريم بغاية من التفصيل ، وهي (١) التقوى ، (٢) الإخلاص ، (٣) التوكل ، (٤) الصبر والشكر التقوى طهارة القلب ، والعمل الصالح ، والإخلاص هو الأمانة ، والتوكل هو الثقة بالله تعالى ، والصبر هو الغلبة على جميع القوى الشيطانية ، والتقوى تشي في الإنسان عظمة الذات وتوقف ضمير الإنسان ، فاعتبرت التقوى مقياس الفضيلة والشرف ، والإخلاص ابتغاء رضا الله وامتنال أوامره ، وإذا نشأ في الإنسان الإخلاص والتقوى ، طهر المجتمع كله من الأمراض الاجتماعية ، لأن من خاف الله لا يغدر ، ولا يتلف الحقوق ، ولا يخالف قوله عمله ، ولا يتغافل عن مسؤولياته ، وكذلك التوكل والصبر أساسان للنجاح ، فالصبر على المصائب ، ومواجهتها بكل جراءة واستقامة وقهر النفس مفتاح رقي كل بلاد وملة .

## قلب الإنسان في ضوء القرآن الكريم

مركزية القلب :

ذكر القرآن الكريم القلب كأداة عاملة ومؤثرة جداً ، فقد أشار إليه رسول الله ﷺ ودل على مركزية القلب تأثيراً وقوةً ، فقال : ألا وإن في الجسد مضغاً ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب ،<sup>١</sup> رغم ذلك أن علم الطبيعة الحديث لا يقيم للقلب أهميةً ، بل يركز على الذهن ، ويعتبر علم الحديث أن القلب آلة ضخ الدم إلى الأعضاء ، هذا القول فيه نظر تطبيقاً وتجربةً ، لأن العلاج المعروف باليوناني يطلع فيه الطبيب بحركة القلب على أمراض شتى ، يعرف الطبيب بجس العروق مصدر الألم ، وفي أي عضو هو ؟ وما هي نوعية المرض والصحة ، هذا يدل على أن القلب يؤثر في الجسم كله أو يتأثر القلب على الأقل بكل حركة من حركات الجسم ، وإلا كان صعباً أن يطلع الطبيب بجس العروق على كل مرض أو كيفية ، والأطباء الغربيون يعتبرون العقل أصلاً .

<sup>١</sup> متفق عليه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه .

### ربط العواطف والمشاعر بالقلب :

ربط في القرآن الكريم سلوك الإنسان وعواطفه ومشاعره بالقلب ، بل الواقع أن بعض الاستعارات أيضاً قد استعملت للقلب ، كما قال الله تعالى : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (سورة الحج الآية/٤٦) وألقت أم موسى ابنه في اليم بعد ولادته خوفاً من آل فرعون ، ساورتها فكرة ، بحيث انقطعت عنها حبال جميع الأفكار والهموم ، إلا فكرة ابنها ، فعبر الله عن كيفية قلبها قائلاً : ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾ (سورة القصص الآية/١٠) هنا ربط الهم والحزن بالقلب ، الذي يطلق عليه اسم العقل عامة ، وقد ورد في القرآن الكريم مراراً أن القلب منبع النزعات ، والنيات والأفكار ، فتركزت عنايته على إصلاح القلب وإنجاز العمل الصالح ، ونسب حدوث نزعات خاطئة أيضاً إلى القلب ، كما يدل عليه قول الله تعالى : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ ، كأن القرآن الكريم أشار بعلاقة النزعات الصحيحة والخاطئة للإنسان بالقلب إلى أن الناس الذين هو مخاطبو القرآن يعتبرون القلب مركز النيات والانطباعات ، والعواطف والمشاعر ، فبناءً على ذلك لفت القرآن الناس إلى إصلاح القلب ، وأقام له أهمية كما يليق بشأنه .

### سعة مجالي القلب والعقل :

ذكر القرآن الكريم العقل مستقلاً بذاته من حيث العمل ، واستعمل له كلمة "اللب" التي جمعها ألباب ، والتي

معناها الجوهر والأصل ، والعقل بمنزلة اللباب ، فاستعمل العقل في موضع فهم الكلام ومغزاه ، لكن ربطت النيات والعواطف بالقلب ، وقد أثبت علم النفس أن فهم الكلام وإدراك حقيقته لا يخضع لنياته ونزعاته ، بل تغلب عليه نفسه وهواه عامة ، ولا يلزم للإنسان أن يعمل بما علم خسارته علماً صحيحاً أو يعرفه معرفة تامة ، وتتكون منه نزعاته ، كذلك عمل العقل يتحقق من معرفة حقيقة الأمر وفأئدته ، رغم أن اتجاه الإنسان وهواه يمكن أن يكون مضاداً ، فيكون طريقه وحيداً ، ويتعلق الميل إلى العمل بالقلب ، فقد ذكر الله تعالى القلب في مواضع كثيرة من القرآن لتوجيه الإنسان إلى الصراط المستقيم ، وصرفت عنايته إلى اتخاذ الطريق السوي بواسطة القلب .

#### كلمتا القلب والفؤاد :

استعمل القرآن الكريم القلب في موضع ، والفؤاد في موضع آخر ، واستعملت لهما صيغ المفرد والجمع ، فالفارق الأساسي بينهما أن القلب باعتبار العضو ومكانته ، والفؤاد باعتبار العمل والتأثير ، يبدو أن استعمالهما مثل استعمال العين والبصر ، والأذن والسمع ، إن القلب سواء ورد ذكرها بكلمة القلب أو الفؤاد عني بها انطباعات الإنسان ومشاعره وقوته الإرادية ونيته ، وهذه هي الخصائص التي تتميز بها الحياة الإنسانية من حياة المخلوقات الأخرى بصفة خاصة ، ويكون لها تأثير خاص بأحوال الحياة الإنسانية ، وتظهر أحوال القلب هذه في شئون الإنسان الشخصية ، وعلاقاته

الاجتماعية ، وعلاقته بالله خالق الكائنات رب العالمين .  
الأعمال بالنيات :

إن كيفية قلب الإنسان تجلب رحمة الله تعالى ، وإذا كانت كيفية القلب متشعبة ، ويوجد فيها فساد وانحلال تبعد الإنسان من رحمته ، فكانت الأعمال بالنيات ، لأن القلب محل نور الله تعالى ، وتتوجه العناية الإلهية إليه بتفاوت حالات القلب ، قال الله تعالى عن الرجال الذين أنعم عليهم بالآء جسيمة : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ (سورة الحجرات الآية/٣) وقال : ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ (سورة الفتح الآية/١٨) وقال : ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ (سورة المجادلة الآية/٢٢) ، فكما أن الهداية تنزل على القلب كذلك إذا كان القلب فاسداً فلا يدخله شيء ، قال الله تعالى : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ (سورة التوبة الآية/١٢٥) وقال : ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (سورة الصف الآية/٥) وإن قساوة القلب تكون مبعث كراهية الناس ، قال الله تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ : ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (سورة آل عمران الآية/١٥٩) وقد أثنى الله تعالى على قلب سليم في قوله : ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ❖ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (سورة الشعراء الآيات/٨٨ - ٨٩) وقال : ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ❖ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (سورة الصافات الآيات/٨٣ - ٨٤) وقال : ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ (سورة ق الآية/٢٣) وقال : ﴿إِنَّ فِي

ذَلِكَ لِنُذَكِّرَ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ» (سورة ق الآية/٧٣) وقال عن قلب آخر الأنبياء محمد ﷺ : «قُلْ مَنْ كَانَ كَانَ عَدُوًّا لِحَبِيبِي فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِيكَ» (سورة البقرة الآية/٩٧) وقال : «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ❖ عَلَيَّ قَلْبِيكَ لِيَتَّبِعَنِي مِنَ الْمُنذِرِينَ» (سورة الشعراء الآيات/١٩٣ - ١٩٤) وقال عن طهارة القلب وصفاته : «ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ» (سورة الأحزاب الآية/٥٣) وقال : «وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمُ» (سورة آل عمران الآية/١٢٦) وقال : «أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» (سورة الرعد الآية/٢٨) وقال : «وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ» (سورة الحجرات الآية/٧) وقال : «وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ» (سورة آل عمران الآية/١٠٣) وقال في أسلوب من الدعاء : «رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ» (سورة آل عمران الآية/٨) وقال : «وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا» (سورة الحشر الآية/١٠) وقال : «وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً» (سورة الحديد الآية/٢٧) وقال : «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا» (سورة الفتح الآية/٤) وقال : «قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُوا قَال بَلَىٰ وَكُنْ لِيُطْمَئِنِّ قَلْبِي» (سورة البقرة الآية/٢٦) وقال : «وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ» (سورة التغابن الآية/١١) وقال مشيراً إلى التدبر بالقلب : «لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا» (سور الأعراف الآية/١٧٩) وقال : «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا» (سورة الحج الآية/٤٠) وقال : «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا» (سورة محمد الآية/٢٤) وقال عن مؤاخدة أعمال القلب :

﴿وَلَكِنْ يُوَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ (سورة البقرة الآية/٢٢٥)  
وقال : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ (سورة الأحزاب الآية/٥) وقال مشيراً إلى كيفية القلب الصالحة : ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾ (سورة الأنفال الآية/٧) وقال وهو يبين الفرق بين قلب المؤمن والكافر : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (سورة الأنفال الآية/٢) وقال في موضع آخر : ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الزمر الآية/٤٥) وجعل قساوة القلب وشدته وظلمته إحدى أسباب الضلالة والكبر فقال : ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (سورة الزمر الآية/٢٢) وقال : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (سورة محمد الآية/١٦) وقال : ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ (سورة الحشر الآية/١٤) وقال : ﴿فَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (سورة المنافقون الآية/٣) وقال : ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ (سورة النحل الآية/٢٢) وقال : ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (سورة المطففين الآية/١٤) وقال : ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (سورة الحديد الآية/٢٦) وقال : ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ﴾ (سورة الفتح الآية/٢٦) وقال : ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ (سورة الأنفال الآية/٦٣) وقال : ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ (سورة الأحزاب الآية/١٢) وقال : ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ (سورة الحج الآية/٥٣) ومثل ذلك من الآيات .



## الروح تابعة للقلب :

إن كلمة القلب توضح دوراً رئيسياً في الجسم ،  
 فيتجلى منه أن القلب إذا تحرك على نظام صحيح عملت الروح  
 على مسارها الصحيح ، كما قال الله تعالى : ﴿ذَلِكَ وَمَنْ  
 يُعْظِمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (سورة الحج الآية/٣٢)  
 وقال : ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ (سورة  
 القصص الآية/١٠) وبيّن حالة القلب في هذه الآية : ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا  
 تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (سورة النور الآية/٣٧) وقال : ﴿يَوْمَ  
 تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ❖ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ❖ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾  
 (سورة النازعات الآيات/٦ - ٨) وقال : ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ  
 الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ (سورة الأحزاب الآية/١٠) وقال : ﴿وَأَنْذَرْنَاهُمْ يَوْمَ  
 الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَازِمِينَ﴾ (سورة فاطر الآية/١٨)  
 وقال : ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ (سورة  
 البقرة الآية/٢٨٣) وقال : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ  
 وَقَلْبِهِ﴾ (سورة الأنفال الآية/٢٤) وقال : ﴿إِلَّا مَنْ أْكْرَهَ وَقَلْبُهُ  
 مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ (سورة النحل الآية/١٠٦) وقال : ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ  
 لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ (سورة الأحزاب الآية/٤) وبيّن الفرق  
 بين اللسان والقلب قائلاً : ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي  
 قُلُوبِهِمْ﴾ (سورة آل عمران الآية/١٦٧) وبين هلع القلب قائلاً :  
 ﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ (سورة الأنفال الآية/١٢)  
 وشبه قساوة القلب بالحجارة وقال : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ  
 ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ (سورة البقرة الآية/٧٤) ، وبيّن أثر لين  
 القلب : ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ (سورة التحريم  
 الآية/٤) وبيّن أثر الربط على القلب ، قال الله تعالى : ﴿لِيَرْبِطَ

عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُتَّبَتِ بِهِ الْأَقْدَامُ﴾ (سورة الأنفال الآية/١١) وبيّن خشوع القلب ومتطلبات الإيمان قائلًا : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (سورة الحديد الآية/١٦) وقال : ﴿ثُمَّ تَلِينَ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (سورة الزمر الآية/٢٣) وقال عن ابتلاء القلب : ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (سورة آل عمران الآية/١٥٤) ، وبين كفر القلب قائلًا : ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ (سورة النساء الآية/١٥٥) وقال : ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ (سورة البقرة الآية/٩٣) ، هذه الآيات ذكرت فيها كلمة القلب .

وهناك آيات أخرى في القرآن الكريم وردت فيها كلمة القلب ، أما كلمة الفؤاد فقد وردت في ١٧/موضعاً ، في صورة الواحد أو الجمع ، بدل القلب ، وذكر في موضع حال مؤاخذته عند الله ، والسؤال عنه ، الذي يلفت إلى ملاحظة القلب بأسلوب حكيم ، وقال : ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (سورة الإسراء الآية/٣٦) وذكر في موضع آخر كيفية أخرى للقلب : ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ وَمَا رَأَى﴾ (سورة النجم الآية/١١) وذكر اضطراب أم موسى عليه السلام قائلًا : ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾ (سورة القصص الآية/١٠) وذكر أن الأذن والعين والقلب نعم إلهية ، يجب الشكر عليها ، قال الله تعالى : ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (سورة النحل الآية/٧٨) وقال : ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ (سورة الأحقاف الآية/٢٦) وذكرت مكانة الفؤاد كعضو بارز في

الجسم ، بحيث نقل دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام :  
 ﴿فَجَعَلَ أَفئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارزُقَهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾  
 (سورة إبراهيم الآية/٣٧) ونسب الفؤاد إلى ذاته قائلاً : ﴿وَكُلًّا  
 نَقَصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ (سورة هود  
 الآية/١٢) ، وقال : ﴿كَذَلِكَ نُنَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾  
 (سورة الفرقان الآية/٣٢) وقال : ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَانَكُمْ  
 فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفئِدَةً﴾ (سورة الأحقاف الآية/٢٦) ،  
 وقال : ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الأنعام  
 الآية/١١٣) وقال : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ  
 وَالْأَفئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ وقال بأسلوب آخر : ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ  
 السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ (سورة الملك  
 الآية/٢٣) وذكر كصفات أخرى للقلب بكلمة الفؤاد :  
 ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفئِدَتُهُمْ  
 هَوَاءٌ﴾ (سورة إبراهيم الآية/٤٣) وبينها وهو ينسب إلى ذاته :  
 ﴿وَنُقَلِّبُ أَفئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (سورة  
 الأنعام الآية/١١٠) وقال : ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى  
 الْأَفئِدَةِ﴾ (سورة الهمزة الآية/٧) وباستعمال كلمة "الصدر" في  
 مواضع متعددة من القرآن أشار إلى القلب ، كما قال الله  
 مخاطباً نبيه ﷺ في سورة الشرح : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ،  
 كذلك ذكر في موضع آخر دعاء نبي من أنبيائه : ﴿رَبِّ اشْرَحْ  
 لِي صَدْرِي﴾ ، وقال عنه : ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ .

دور القلب والعقل :

الواقع أن القلب والعقل عضوان بارزان في جسم  
 الإنسان ، يعرف بهما الإنسان أحوال حياته وما اكتنفها من

---

---

شئون ومعاملات، وينفذ بهما إرادته وفكره ، فالأمور المتعلقة بالعقل مركزها الدماغ ، والعواطف والمشاعر مركزها القلب ، فقد فضل الله تعالى الإنسان بهما على المخلوقات الأخرى ، أما العقل والدماغ فلا يحرض الإنسان على العمل وإنجاز البرامج فقط ، بل يزيد الإنسان علماً ومعرفةً ، لكن القلب والعواطف يبعث الإنسان على العمل أو الاستماتة فيه ، ويبعث كذلك على القيام بإنجازات مهمة ومفيدة مقابل المخلوقات الأخرى .



## الأسلوب القصصي في القرآن

جمال الأسلوب القصصي ومعنويته :

لقد عم اتجاه تقديم النماذج الحية في أسلوب قصصي للأدب في هذا العصر ، ويعتبر هذا الجانب للأدب النثري جزءاً مهماً ومقبولاً ، إن أسلوب القرآن المعجز ليس كالكلام العادي للإنسان الذي يتمتع بالحلاوة الأدبية فقط ، أو يختار أحواله المرتسمة على نفسه للتأثير ، إن أسلوب القرآن يحمل رونقاً وبهاءً وتأثيراً غريباً من نوعه ، فهو يستوفي بتصحيح المسار الإنساني ويرشده إرشاداً تاماً ، وقد أودع فيه أن يتأثر به الإنسان تأثراً كثيراً ، فيوجد فيه الأسلوب المؤثر الذي يكون مفيداً لغرض الكلام بتنوع نواحيه وتعدد جهاته ، وكلما كان الموضوع قد اقتضى أسلوباً اختار له مثل ذلك ، لكن الأسلوب القصصي والبياني للقرآن الكريم يحمل ميزة خاصة من بين الأصناف الأخرى ، وهو يؤثر في أحاسيس الإنسان تأثيراً فطرياً ، فيرسل الإنسان كلامه ويسمعه السامع بكل شوق ورغبة.

اقرأ سورة العاديات على سبيل المثال :

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ❖ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ❖ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ❖ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ❖ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ❖ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ❖ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكٍ لَّشَهِيدٌ ❖ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ❖﴾

أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ❖ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ❖ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿سورة العاديات الآيات/ ١ - ١١﴾ .

إن الحرب والقتال كانا شغل العرب الشاغل ، وكانوا مولعين بهما ، وقد جاء في القرآن في أسلوب معجز في سورة العاديات ذكر الخيول السريعة الجري مثل البرق جرياً تثير أخفافها النار ، وتمتلى أفواهاها باللعب ، وهي تغير صباحاً على الأعداء ، وتثير النقع من أقدامها ، وتحوض في خضم الأعداء ، هذا مما يقضي منه العرب العجب ، لأنهم كانوا على شغف زائد بالحرب ، ويملؤهم شوقاً ولهفة ، فيستمعون إلى الذي يخاطبهم ، ثم يبتدئ أصل الموضوع ، ويبتدئ في ضوء نفسية الإنسان أن الله قد وفر لنفع الإنسان أسباباً ووسائل ، والإنسان كفور لربه ، وخبير بأحواله ، والواقع أنه يتشوق إلى نفعه وفائدته ، ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ❖ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ عامله الله بعلمه وقدرته ، هكذا ذكر أمام المخاطب كلمات حبيبة لربه ، وذلك بأسلوب جميل أسر قلبه ، ثم ذكّر أن حياته ليست للمتعة المحضة ، بل هي تطبيق عملي للقيم الإنسانية العليا وليس هذا سمعة ورياءً ، بل يجزى جزاءه أو يعاقب حسب أعماله .

غاية الأسلوب البياني في القرآن:

إذا درسنا أسلوب القرآن هذا وجدنا له نماذج كثيرة تحمل طرازاً منوعاً ، ويجعل هذا الجانب الأدبي في جهود الناس الأدبية ذريعة لإيصال القصص المفترضة بأحسن

أسلوب إلى القراء ، وتذكر فيه القصص بأسلوب يعكس جوانب الحياة المرهفة ، لكن هذا الصنف من الكلام الإنساني يركز على تصوير قصص الحياة ، أما ما قيل في القرآن الكريم في صورة هذا الصنف وما ذكر فهو هادف وبنّاء ، وتوجد فيه جوانب كثيرة ، منها أن سلاسل القصة ضمن بيانها تارة تكون متقطعة حسب ما يليق بالمقام ، لكن لا يخل هذا بالقصص ، ولا يشعر الدارس بفراغ في فهم هذه القصة ولا يرى نقصاً أو صعوبة فيها ، ويكون مثل ما يتكلم رجلان شفويّاً ، ويترك أحدهما السلاسل المتوسطة للكلام ، فلا يحدث أي صعوبة في فهم مراد الرجل الآخر .

#### قصة سيدنا يوسف عليه السلام :

هكذا يوجد في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام أن الملك لما رأى الرؤيا وسأل تأويلها من ملئه فأبدوا عدم اطلاعهم على تعبير الرؤيا وأخبروا بسجين كان في السجن ، وكان اسمه يوسف ، وقد سأله أحد خدامه عن تأويل رؤياه فقال أحد وزرائه : يوسف هو الرجل الصديق الذي يمكن أن يُسأل هو عن تأويل هذه الرؤيا ، فقال : (أرسلون) ثم جاء مباشرة قول الله عز وجل ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا﴾ بين هاتين الجملتين عدة محذوفات ، ويمكن أن تتلخص في هذه العبارة أن الرجل المذكور لما قال للملك : إني سأخبركم بتأويل هذه الرؤيا فأرسلوني إلى يوسف فلقى يوسف ، وقال بعد ما استفسر حالته : "يوسف أيها الصديق" فإن ترك هذه الجمل بين الجملتين ليس بعيب ، وهذا ما يفهم من الكلام ، وعمامة

تحذف في الكلام الشفوي السلاسل المتخللة في الكلام .  
 قد ورد حذف هذه السلاسل في القرآن الكريم في عدة  
 مواضع ، وإن السلاسل التي تعرض أثناء الكلام هي تكون  
 حاملة للمعاني بوجه خاص ، فتذكر في الكلام الرباني كما  
 يكون الحوار الإنساني بأحسن أسلوب ، تارة بالإيجاز ، وتارة  
 بالتفصيل. ويعرف به الكيفيات الناتجة منها ، فإن القرآن قد  
 ترك السلاسل التي تكون في ذهن الإنسان بالنسبة إلى سياق  
 الكلام ، وإن هذا العمل في أثناء الكلام يتم حينما يكون  
 المخاطب أمام المتكلم ، فيسهل فهم الغرض من أسرة وجهه ،  
 لكن بغض النظر عن تسلسل القصة إذا حذفت الجوانب التي  
 تكون ذات تأثير بالصوت والمناسبة والمكان في الكلام  
 والمتكلم لا يحسن حذفها في الكلام الشفوي لأن الكلام لا  
 يكون واضحاً في هذه الصورة ، فقد عبر القرآن عن هذه  
 المعاني في مواضع مختلفة تعبيراً صادقاً حسناً .

#### مراعاة المناسبة والموضع :

إن النماذج القصصية لإبداء الكلام التي توجد في  
 مواضع مختلفة من القرآن الكريم يكون فيها مراعاة تامة  
 للمعنوية بالنسبة إلى مناسبتها في أسلوب رائع جميل. وتتجلى  
 هذه المعنوية أيضاً في قصص موسى عليه السلام التي حكيت  
 في صياغة قصصية مؤثرة ، أما الجوانب الأخرى التي لا  
 علاقة لها بالأصل ، ذكرت مجاملة وبأسلوب عام ، وإذا كان  
 مفهومها واضحاً من سياق الكلام حذفت هذه الجوانب ، ولا  
 شك أن للنبي ﷺ تسلياً في قصص سيدنا موسى عليه السلام



أنه كيف قوي قلبه مروراً بالأخطار، وكيف أدى فريضة النبوة بأمانة وصدق، وقاوم العدو اللدود (فرعون) حتى قهره، وكذلك ذكرت قصة سيدنا يوسف عليه السلام في أسلوب قصصي تجلت فيه جوانب الحياة الإنسانية مع خصائص القصة الأدبية، التي تقدم نماذج لمعاداة أنفسهم، وتظهر فيه أيضاً آثار البلوغ إلى منصب الغلبة والعز مروراً بالعجز والاستكانة، وكذلك تتوافر في هذه السورة وسائل التسلية للنبي ﷺ في العداوة المستمرة من أسرته، وقد أخبر مخاطبو القرآن الكفار والمسلمون بأن لا ينظروا فقط الجانب الظاهري للأوضاع، لأن المشكلات تتبدل بالتسهيلات من عند الله تعالى، ويفوز أصحاب الاستقامة والصبر، والقائمون على الحق، كما أبدى سيدنا يوسف عليه السلام بعد ما فاز ونجح في حياته: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة يوسف الآية/٩٠) وما أشبه حياة سيدنا يوسف وموسى عليهما السلام بحياة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشكلاته.

فكان ذكر قصتهما في أسلوب قصصي مبعث تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم، وقد ذكرت قصص سيدنا إبراهيم عليه السلام الإيمانية في مواضع متعددة بأسلوب قصصي، ظهر منها مثال رائع للإيمان والفداء لله تعالى أمام المؤمنين، كما ورد في سورة يوسف: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (سورة يوسف الآية/١١١) وقال الله مصدقاً بهذه القصص: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ

﴿يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة يوسف الآية/١١١) وقال في مفتتح السورة : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ (سورة يوسف الآية/٣) وقال بعد قصة موسى عليه السلام في سورة القصص : ﴿وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (سورة القصص الآية/٤٥) فهذه القصص سواء كانت لسيدنا موسى ، أو سيدنا يوسف أو سيدنا إبراهيم عليهم السلام جعلت هدى للمؤمنين إلى يوم القيامة وتسلية للنبي ﷺ ، وجعلت مبعث قوة وحكمة لعواطف الإيمان والاستسلام والرضا بالله تعالى ، وذكر ذلك في أسلوب مؤثر ولغة رائعة من القرآن. إن الأسلوب القصصي من القرآن في تنوعه وتأثيره يحمل هداية تامة للأدب الإنساني ، وكلما تدبره الإنسان استخرج من بحره لآلي ثمينة ودرراً غالية .

**أسلوب قصص موسى عليه السلام :**

إن أهم خصيصة للأسلوب القصصي في القرآن الكريم أن أسلوبه للحوار مفصل ، وخال من التكلف والصناعة المحضنة ، حتى في بعض المواضع موجز وباعث على الفكر، مثال ذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام لما أكرمه الله عزوجل بالرسالة ، فقبل أن يكرمه خاطبه وقال له : ﴿وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ ❖ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهْسُ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَأْرَبٌ أُخْرَى ﴾ ، كان السؤال موجزاً لكن الرد عليه كان مفصلاً وخالياً من التكلف ، سئل عن أمر واحد لكنه فرح من مخاطبته إياه أنه لم يجب عن سؤال واحد بل ذكر معه ما كان متعلقاً به .

إن الأسلوب القصصي للقرآن يتجلى في الآيات التي تحكي قصة موسى عليه الصلاة والسلام، ويمكن أن تقاس الأخرى على هذا.

إن موسى عليه السلام لما ولد فكان من سنة الله تعالى أن يصل إلى بيت الملك ، رغم أن الملك كان عدواً لبني إسرائيل و متخذاً ضدهم خطة الإجبار والقمع ، وقد أخذ الملك موسى عليه الصلاة والسلام كطفل رضيع حتى صار ابناً متبنياً له ، وحينما شب رأى رجلاً من آل فرعون يظلم رجلاً من بني إسرائيل فضربه موسى فمات ، هذا الحادث جعل موقف موسى ذا حساسية ، فأشير عليه بأن يترك هذه البلاد وإلا يقع في مصيبة مرهقة ، ويمكن أن يقتل ، هنالك حدث في نفس موسى خوف طبيعي ، فخرج من البلاد ، وأبدى أمام الله ضعفه واستكانته في بيئة غريبة أجنبية فلطف الله به ، بحيث إنه قضى مدة عند رجل صالح وتزوج من ابنة له ثم راح إلى وطنه مع زوجته بعد ما قضى مدة ، وأكرم في الطريق بالنبوة فوصل إلى بلاده معظماً مكرماً ذا هبة ولقي فرعون وتكلم معه بكل جراءة ، اقرؤا هذه القصة في سورة القصص في أسلوب مؤثر وهي تصور الكيفية والنفسية التي عاشها في هذه المدة .

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ

نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا

رَجُلَيْنِ يَمْتَلِئَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ

هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٠﴾  
 ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ  
 الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ .

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ .  
 ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ  
 بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ .  
 ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى  
 أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ  
 جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾  
 ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ  
 الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾  
 ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ  
 الظَّالِمِينَ﴾

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ  
 السَّبِيلِ﴾

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ  
 وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا  
 نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾  
 ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا  
 أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي  
 يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ  
 الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾  
 ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ

### الْقَوِيُّ الْأَمِينُ

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرْنِي ثَمَانِي حَجَجٍ فَإِنْ أَثَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾  
 ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ .

﴿وَأَنْ أَلْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ﴾  
 ﴿اسْأَلْكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمُكُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (سورة القصص  
 الآيات/ ٢٩ - ٣٢) .

انظروا في موضع آخر أن موسى عليه الصلاة والسلام  
 لما وصل إلى قصر فرعون ودعاه إلى التوحيد فأراد فرعون أن  
 يوقعه في قضية شائكة فسأل :

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾  
 ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾  
 ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ .  
 ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا

يُنْسَى . ﴿

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا  
وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى﴾  
﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي  
النُّهُي﴾ .

هذه الآيات تكشف كيفية هذه المناسبة كشافا  
واضحا وتصورها تصويرا لا نظير له ، وهذا التصوير ليس  
مبنياً على إشراقة ، تكون ميزة الأدب القصصي ، بل هو  
هادف وذو نصيحة ووعظ وتشجيع ، وقد تخللت فيه كلمة  
نصح حيناً ، وكلمة وعظ وإرشاد ، حتى كلمة تشجيع  
وتخويف بدون كلفة حيناً آخر ، فلا ينتهي هذا الأسلوب  
الفريد من نوعه على المعرفة به فقط ، بل يبعث الأحاسيس  
الإنسانية على فهم مقتضيات هادفة إيجابية.بناءة .



## وسائل الإعلام في القرآن الكريم

### تأثير الإعلام :

إن الإعلام أو الإبلاغ يقوم بتعريف النماذج الخيرة للحياة الإنسانية ، لتتركز عناية الناس على إصلاح الحياة ، وإبعادها عن الطرق الضالة ، واختيار المثل العليا ، وينال الإنسان متعة الحياة الإنسانية ، لكن الإنسان يختار تارة منهجاً غير إنساني ، إشباعاً للغرائز النفسية ، فيتسلى به قلبه ، لكن أثره يكون سلبياً بل ضاراً ، كما يقع الآن في عالمنا المعاصر المتطور ، ونجد في القرآن والسنة بصفة خاصة نماذج رائعة في اختيار الإبلاغ إيجابياً.

### الإعلام الهادف :

إن ما ذكره القرآن الكريم من قصص الأمم الماضية والأنبياء المبعوثين إليهم هو مثال رائع لتحقيق أعلى غاية الإعلام ، ولا سيما قصة يوسف عليه السلام التي تتجلى فيها العواطف السلبية للإنسان ضمن نشاطات إخوانه ، وكيف يصبر الإنسان على مصائب الحياة ، ويحذر ، وكيف يصون عرضه وعفافه ، وكيف يواجه المشكلات بحكمة عالية وسيرة مثالية ، هذا كله يوجد في حياة أخيهم سيدنا يوسف عليه السلام ، إنه كان

في السجن ، لكنه نال حسن ظن الملك بوقاره وفضائله ، حتى حاز منصب المستشار الأول للملك ، وقد ذكر نجاحه هذا شاكرًا لله عز وجل : ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة هود الآية /٩٠) .

ذكرت قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم تسلياً للنبي ﷺ ، وهدايةً للمؤمنين إلى طريق النجاح على أحسن وجه .

#### مثال المجال الفردي :

هذا مثال للمجال الفردي ، وإن كانت له علاقة بالحياة الاجتماعية إلى حد أيضاً ، وهو أن يوسف عليه السلام لما طعن في عرضه وأريد بإفشاله أيضاً على الصعيد الجماعي ، التجأ إلى جناب الله تعالى وصبر على ما أصابه ، وتحمل كل ما أثقل ظهره وأنهك قواه .

#### مثال المجال الجماعي :

أهم مثال للمجال الاجتماعي قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم أن دكتاتور البلاد ، وحاكم الأغلبية الساحقة فيها يظلم الأقلية بكل قسوة ووقاحة ، وكانت هذه الأقلية تصبر على اعتدائه ولا تملك شيئاً ، فتتزايد الأخطار ، لكن رضيعاً من هذه الأقلية قد بلغه الله إلى قصر الدكتاتور الظالم ، بقدرته العجيبة ، فلم يعبأ بهذا الطفل ، وظل ينشأ ويتربص في قصره ، ولما شب رأى ظلماً بعينه ، فقمعه بجرأة وهمة ، ثم خرج مخفياً من حدود مملكة الظالم ، بطريق سري ، وجعل يفكر في مستقبله في بيئة غريبة كغريب أو مخدول ، ويتقدم



إلى الأمام راجياً من الله رحمته وفضله، ثم ساعدته الأوضاع، فرجع كبيراً في عمره، قوياً وحكيماً، ثم أرسله الله تعالى إلى هذا الظالم كمصلح ورسول، وقد جرت حوارات ومناقشات، بحيث ألجمه موسى وأخرسه، فبهت هذا الظالم ودهش، ولم يضره شيئاً، لكن هذا الرسول (موسى عليه السلام)، يعظ وينصح هذا الظالم (فرعون مصر) ويذكره بإصلاح نفسه وينهاه عن الاعتداء على الأقلية، مرت سنون وأعوام، لكن الدكتاتور لم يصلح نفسه، وصبر الرسول وقومه صبراً جميلاً، وأخيراً عوقب من الله تعالى، فدمر العقاب هذا الظالم تدميراً، وتخلصت الأقلية من ظلمه، بل صارت خليفة في الأرض، هذه قصة موسى وفرعون، حكى الله تعالى جوانب مختلفة منها، لتتال أقلية مكة المكرمة التي كانت تحت وطأة الأغلبية تسلية وراحة بأنه لا يسمح لأي دكتاتور بأن يفعل ما يشاء، ذكرت هذه القصص في القرآن الكريم، وهي تكشف عن أسرار الإنسان النفسية وحل مشكلاته.

**قصص ذات عبرة للأمم الماضية مثال عملي للدور الإيجابي للإعلام:**

قص القرآن الكريم أحوالاً مختلفة ومتنوعة للأدوار والأمم المختلفة، ليهتدي بها الإنسان في مشكلات حياته، ويستعين بها في مواجهة قضاياها، لأن الإنسان يزين حياته بالنماذج ويقوم بإبلاغها، يمكن أن نقدم هنا أمثلة كثيرة من القرآن الكريم، ذكرت فيها أحوال نفسية فردياً، تزيد المفكرين علماً ومعرفةً، وتذكر بالابتعاد عن العقاب الوخيمة، مثلاً في سورة التكاثر، ذكر القرآن هذه النفسية أن الإنسان قد يزداد فيه التكاثر وإدخال الأموال بحيث

ينهمك فيه انهماكا كلياً ، بغض النظر عن جميع المصالح ،  
 فيدخل الآخرة صفر اليدين ، خائباً خاسراً ، حيث لا ينفعه  
 مال وإن تكس ، وقد صور مستشرق من أمريكا رؤيته  
 المؤثرة في ضوء سورة التكاثر<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> يقول محمد أسد : "في ذات يوم من أيام شهر أيلول من سنة ١٩٢٦م كنت  
 راكباً مع زوجتي في قطار برلين الأرض ، فوقعت عيني اتفاقاً على رجل أنيق  
 الملبس ، جالس قبالي ، كان على ما بدا لي تاجراً تبدو عليه آثار النعمة  
 والثراء ، على ركبته حقيبة صغيرة جميلة وفي أصبعه خاتم ماسي كبير ،  
 وأخذت أفكر بتكاسل كيف أن مظهر هذا الرجل الحسن كان يعكس  
 الرخاء الذي كان المرء يقع عليه في كل مكان من أوروبا الوسطى في تلك  
 الأيام : ذلك الرخاء الذي عقب سنوات التضخيم التي كانت فيها الحياة  
 الاقتصادية كلها رأساً على عقب ، وراثثة المظهر هي القاعدة ، إن معظم  
 الناس كانوا الآن يلبسون جيداً ويأكلون جيداً ، ومن هنا لم يكن ذلك الرجل  
 قبالي خلاف غيره من الناس ، إلا أنني عندما نظرت إلى وجهه خيل إلي أنني  
 لم أكن أنظر إلى وجه سعيد ، فقد بدا لي قلقاً : لا قلقاً فحسب ، بل شقي  
 بصورة حادة ، ترسل عيناه نظرات فارغة إلى الإمام ، وزاويتا شفثيه متقلصتان  
 أماً - أماً غير جسماني ، وإذ لم أراد أن أكون وقحاً ، فقد أشحت بوجهي عنه  
 فرأيت إلى جانبه سيدة علي شيء من الظرف ، لقد كان وجهها هي أيضاً يعبر  
 تعبيراً غريباً عن عدم سعادتها ، كأنما كانت تعاني أو تفكر في شيء يسبب  
 لها الألم ، ومع ذلك كان ثغرها يفتر عما يشبه ابتسامة جامدة ، لم أشك في  
 أنها لا بد أن تكون عادية لديها ، وعندئذ أخذت أجيل بصري في جميع الوجوه  
 الأخرى - وجوه أناس كانوا جميعهم دون استثناء يرتدون الملابس الحسنة  
 ويقفون بالغذاء الجيد - وفي كل وجه منها استطعت أن أميز تعبيراً عن الألم  
 الخبيث ، الخبيث إلى درجة أن صاحبه بدا وكأنه لا يشعر به .

والحق أن هذا كان غريباً ، فأنا لم يسبق لي إن رأيت مثل هذا العدد من  
 الوجوه التعسة من حولي ، أو لعلني لم أبحث من قبل عما كان ينطق فيها بمثل  
 تلك الجهارة ؟ كانت الانطباعة قوية إلى درجة جعلتني أذكرها لزوجتي ،  
 فأخذت هي أيضاً تنظر حولها بعيني رسام حريص اعتاد دراسة القسومات

البشرية ، ثم استدارت إلي دهشة وقالت : أنت على حق .... إنهم جميعاً يبدون وكأنهم يعانون آلام الجحيم .... وإني لأتساءل هل يعرفون هم أنفسهم ماذا يعمل في نفوسهم ؟

لقد عرفت أنهم لم يكونوا يعلمون .... وإلا لما كان باستطاعتهم أن يستمروا في إضاعة حياتهم وتبديدها كما كانوا يفعلون ، دون أيما إيمان بالحقائق الرابطة ، دون أيما هدف أبعد من الرغبة في رفع "مستوى معيشتهم" ، دون أيما أمل غير حياة المزيد من الملذات المادية ، والمزيد من الملذات والمزيد من الممتلكات ، ولربما المزيد من القوة .

واتفق عندما عدنا إلى البيت ، أن ألقيت نظرة على مكثبي ، وكان عليه نسخة مفتوحة من القرآن كنت أقرأ فيها من قبل ، وبصورة آلية ، رفعت الكتاب لأضعه جانباً ، ولكن ما إن هممت بإغلاقه حتى وقعت عيني على الصفحة المفتوحة أمامي وقرأت :

﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ ❖ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ❖ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ❖ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ❖ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ❖ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ❖ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ❖ ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (سورة التكاثر الآيات/ ١ - ٨) .

واعتراني الصمت لحظة ، وإني لأعتقد أن الكتاب كان يهتز في يدي ، ثم قلت لزوجتي : "إصفي إلى هذا ، أليس هو جواباً عما رأيناه في القطار ؟"

أجل لقد كان ، كان جواباً قاطعاً إلى درجة أن كل شك زال فجأة لقد عرفت الآن ، بصورة لا تقبل الجدل ، أن الكتاب الذي كنت ممسكاً به في يدي كان كتاباً موحى به من الله ، فالبرغم من أنه وضع بين يدي الإنسان منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً ، فإنه توقع بوضوح شيئاً لم يكن بالإمكان أن يصبح حقيقة إلا في عصرنا هذا المعقد ، الآلي .

لقد عرف الناس التكاثر في جميع العصور والأزمنة : ولكن هذا التكاثر لم ينته قط من قبل إلى أن يكون مجرد اشتياق إلى امتلاك الأشياء ، وإلى أن يصبح ملهارة حجبت رؤية أيماً شيئاً آخر : حنين لا يقاوم إلى التملك ، والعمل ، والاستتباط أكثر فأكثر ، اليوم أكثر من أمس ، وغداً أكثر من اليوم : عفرت ركب على إعناق الناس يسوق قلوبهم بسوط إلى الإمام نحو أهداف تتلألأ ، عن بعد ولكنها تتحل إلى لا شئية زرية خسيصة حالما تصبح في متناول اليد : وذلك الجوع ، ذلك النهم إلى أهداف جديدة لا تنتهي ينمو في قلب الإنسان : "كلا ، لو تعلمون علم

---

ذكر في سورة المطففين جور الإنسان وتطفيفه في الكيل والوزن أن التاجر المنهوم يجور في الكيل والوزن ، وهناك نماذج أخرى في القرآن ، تكشف جوانب نفسية عن الحياة الإنسانية ، فكان فيها التأكيد على أن يعتبر الإنسان في ضوئها ، وكل ذلك في ضوء جهود الأنبياء ، وقصصهم المؤثرة مع أقوامهم ، والقصص التي وقعت في مختلف العصور - وهي تنير لنا درب الهداية والإرشاد في الإعلام ، وهي مثل عالية لتحقيق غاية الإعلام الإيجابية المفيدة .

---

اليقين لترون الجحيم" .

لقد عرفت أن هذا لم يكن مجرد حكمة إنسانية من إنسان عاش في الماضي البعيد في جزيرة العرب النائية ، فمهما كان مثل هذا الإنسان على مثل هذا القدر من الحكمة فإنه لم يكن ليستطيع وحده أن يتنبأ بالعذاب الذي يتميز به القرن العشرون : لقد كان ينطق لي ، من القرآن ، صوت أعظم من صوت محمد" .

(الطريق إلى مكة لمحمد أسد . نقله إلى العربية عفيف البعلبكي دار العلم للملايين بيروت الطبعة الأولى ٩٥٦م ص/٢٣٧ - ٢٢٩) .

## العبادة والدعاء في القرآن الكريم

ذكر القرآن الكريم في مواضع مختلفة وبمناسبات متنوعة أن هذه الكائنات وما فيها من المخلوقات والموجودات خلقها الله رب العالمين ، وهو وحده مالكهم وخالقهم ، ومستحق للعبادة ، لا شريك له ، وكل ما يحدث في هذا العالم ثابت ومقرر من عند الله خالق الكون ، ويجري تحت علمه وقدرته ، ليس هنا شئ صغيراً كان أو كبيراً يقع فجأة ، وقد أخبر القرآن الكريم بأن الله لم يخلق الكائنات عبثاً ، بل وضع وراءها غاية ، وأمر الإنسان بأن يدركها ، ويعود نفسه على العمل بها ، فقد فوضت إليه مسؤولية خاصة من المخلوقات الأخرى بأن يعيش حياته في هذه الأرض حسب مرضاة الله تعالى ، ويكون أميناً فيها كخليفة الله تعالى ، فلإنجاز هذا العمل يحتاج الإنسان إلى العلم، وقد توافرت وسائله .

كانت الحاجة إلى نوعين من المعلومات في هذا الأمر ، أحدهما ما يحتاج إليه في حياته ، يمكن أن ينال الإنسان من تدبره وتجربته ، وانحصرت هذه المعلومات على سعي الإنسان وجهده ، ومُنح الإنسان موهبة حصولها وفهمها ودرايتها، وثانيها ما يفوق نطاق موهبته ، وعبر ذلك بالغيب ،

فلا يحيطه العلم الإنساني ، أخبر الله تعالى الإنسان بواسطة الرسالة السماوية والتعليم الإلهي ، وهو يتعلق بعالم الغيب ، واطلع عليه الناس بالملائكة والرسول من الله تعالى ، فقد ذكر فيه غاية خلق الإنسان ومعرفة عظمة الخالق، وطريق الشكر له ، وذكر فيه أن الإنسان يكرم بجنات ونعيم على امتثال أوامر الله تعالى وإطاعته ، ويعاقب عقاباً شديداً على عصيانه الله عز وجل بعد آلاء جسيمة ونعم كثيرة .

هذه النعم والعقوبات لا تكون في حياة مختصرة للإنسان (الدنيا) ، بل يكرم الإنسان أو يعاقب في الآخرة حسب أعماله الدنيوية ، وقد أمر الإنسان بالإيمان والعمل بها ، قال الله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ❖ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ (سورة الملك الآيتان ١/ - ٢) .

فيجب على الإنسان أن تكون حياته مظهراً للاعتراف بآلاء ربه وعظمته ، وبما أن الكون تحت أمره ، والله تعالى مصدره ومآله ، فعلى الإنسان أن يلتزم منه حاجته ، وهذا الالتماس يعرف بالدعاء ، ذكرت في القرآن الكريم نماذج من الدعاء ، وذكرت أيضاً طرق الاستفادة منها ، فأول مثال لها سورة الفاتحة ، التي هي أول سورة في القرآن ، وهي وجيزة للغاية ، لكنها جامعة ، ذكر في مفتتحها عظمة الله ومكانته العالية وصفاته العظيمة ، ثم سُئِلَ منه الخير والصلاح ، وكل ذلك في سبع آيات بأسلوب جامع : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❖ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ❖ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ❖ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ❖ اهْدِنَا الصِّرَاطَ

الْمُسْتَقِيمَ ❖ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿سورة الفاتحة الآيات / ١ - ٧﴾ .

وقد ذكرت في القرآن الكريم بطريقة واضحة قصص مؤثرة للأنبياء والرسل ومناهج دعوتهم الذين أرسلهم الله عز وجل لهداية الناس وإرشادهم ، وكان آدم عليه السلام أول إنسان وأول نبي ، ورد ذكره في مواضع مختلفة ، لبيان العظمة التي أكرم بها الإنسان ، وقد نسي آدم عليه السلام أمر الله تعالى ، فاستغفره ، ذكر الله تعالى في القرآن نسيانه واستغفاره في هذه الآيات :

﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ❖ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ❖ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ❖ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ❖ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ❖ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ❖ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ (سورة الأعراف الآيات / ١٩ - ٢٥) .

وخلفه في ذريته نوح عليه السلام ، وكان نبياً ، بلغ رسالة ربه إلى الناس بأمانة وصدق ، لكنه شفع مرة لابنه المجرم العاصي أن يغفره الله عزوجل ، فرد الله تعالى عليه

بأنه ليس من أهله ، فاعترف نوح عليه السلام بخطئه ، فاستغفره ، ورد ذكر هذا من الجانبين في القرآن الكريم .

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ❖ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ❖ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (سورة هود الآيات/ ٤٥ - ٤٧) .

كان إبراهيم أحب الأنبياء إلى الله عزوجل ، وفضلته الله تعالى على الأنبياء ، فكل ما ألهمه الله من كلمات وأعمال قدم فيها نماذج طاعة الله تعالى والاستسلام له وتوجد فيها أدعيته التي تتجلى منها أحوال إنسانية متنوعة ، قال الله تعالى :

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ❖ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ❖ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ❖ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ❖ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ❖ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ❖ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (سورة إبراهيم الآيات/ ٣٥ - ٤١)

كان سيدنا موسى عليه السلام من المصطفين



الأخيار، صدر منه أيضاً خطأ بشري، وهو أنه قتل في الغضب رجلاً سيئاً (ولا شك في سوء نفسه)، فطلب المغفرة من الله ودعاه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ❖ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ (سورة القصص الآيتان/ ١٦ - ١٧).

ثم اضطر إلى أن يغادر وطنه، وكان عاجزاً ومستكيناً، وقد أبدى حالته هذه في مناجاته مع الله تعالى، ورد في القرآن الكريم مثاله: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (سورة القصص الآية/ ٢٤)، ولما أمره الله بأن يذهب إلى فرعون، دعا موسى عليه السلام الله عزوجل، وهذا الدعاء ذكر في القرآن الكريم: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ❖ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ❖ واحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ❖ يَفْقَهُوا قَوْلِي ❖ واجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِي ❖ هَارُونَ أَخِي ❖ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ❖ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ❖ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيْرًا ❖ وَنَذْكُرَكَ كَثِيْرًا ❖ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيْرًا﴾ (سورة طه الآيات/ ٢٥ - ٣٥). وكان يونس عليه السلام من الأنبياء، حزن شديداً من تحقق وعد الله بشيء من التأخير، حتى هجر وطنه، وذهب إلى مكان آخر، قال الله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الانبياء الآية/ ٨٧) ثم استغفر الله ودعاه، ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ❖ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الانبياء الآيتان/ ٨٧ - ٨٨).

وكان من أجل أنبيائه تعالى سيدنا سليمان عليه

السلام ، وقد أكرم مع نبوته بحكومة مترامية الأطراف على الأرض ، فذكرت عدة أدعية مأثورة عنه ، دعاها نظراً إلى أحواله الخاصة : ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (سورة ص الآية/٣٥)

وقال الله تعالى : ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (سورة الأنبياء الآية/٨٦) قال :

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ❖ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ (سورة الأنبياء الآيتان/٨٣ - ٨٤) وقال : ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ❖ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ (سورة الأنبياء الآيتان/٨٩ - ٩٠) .

هذه الأدعية وغيرها للأنبياء والأفراد ذكرت في القرآن الكريم ، فجاء فيها التأكيد على أن سائر الأمور تأتي من عند الله تعالى ، وإذا مست الحاجة إلى شيء فاسألهو والتمسوها منه ، لكن التزموا بآداب السؤال منه ، ولاحظوا شأن ربوبيته ، وعجزكم واستكانتكم ، وانظروا أن لا يصدر منكم عمل في نسيان منكم ، يكون بعيداً من ربوبيته وعبوديته ، وقد وعد الله تعالى في القرآن الكريم قائلاً :

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ وقال أيضا : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (سورة الأعراف الآية/١٨٠) .

نذكر هنا عدة أدعية من القرآن الكريم على سبيل المثال ، يستفيد منها المؤمنون إلى يوم القيامة :

١. ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ

عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿سورة البقرة الآية/٢٨٦﴾  
 ٢. ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (سورة

آل عمران الآية/١٥-١٦) .

٣. ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (سورة آل عمران الآية/٨) .

وفي أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا أدعية مؤثرة تشبه أدعية القرآن ، وتمائل أسلوب الوحي ، وهي مرآة للأدعية الموجودة في القرآن ، وتحمل قوة وتأثيرا ، وهي مثال للمؤمنين على اختلاف مستوياتهم وتعدد أزمانهم ، فكل رجل يسأل خالقه حسب حاجته ، وظروفه ، وقد وعد الله بقبول الدعاء حينما يسأله العبد .

وهنا نموذجان من أدعيته ، أحدهما دعاه في الطائف ، في حالة مكلومة ، وكبد مقروحة ، وفي عجز ومسكنة ، فقد راعى فيه ربوبية الله تعالى وعجز الإنسان وعبوديته مراعاة تامة لا يرتاب أحد في صدقه وإخلاصه :

اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، أنت ربي ، إلى من تكلني ، إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري ، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، غير أن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك ، لك العتبي حتى ترضى ، ولا

حول ولا قوة إلا بالله .

وثانيهما دعاه في منى في الحج ، حيث أبدى عبوديته  
ومسكنته ، واختار أسلوباً مؤثراً وجامعاً لعبوديته وسؤاله ،  
لا يكون أحسن وأشمل منه :

"اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني ، وتعلم سري  
وعلانيتي ، ولا يخفى عليك شيء من أمري ، أنا البائس  
الفقير ، المستغيث المستجير ، الوجل المشفق ، المقر المعترف  
بذنوبه ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل إليك ابتهال المذنب  
الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، دعاء من خضعت لك  
رقبته ، وفاضت لك عيناه (عبرته) وذل لك جسده ، ورغم لك  
أنفه ، اللهم لا تجعلني بدعائك شقياً ، وكن بي رؤوفاً رحيماً  
يا خير المسؤولين ويا خير المعطين<sup>١</sup> .

<sup>١</sup> المعجم الكبير ج/١١ ص ١٧٤

## مراجع الكتاب

- ❖ القرآن الكريم .
- ❖ صحيح البخاري .
- ❖ صحيح مسلم .
- ❖ سنن الترمذي .
- ❖ سنن النسائي .
- ❖ سنن ابن ماجه .
- ❖ مسند الإمام أحمد بن حنبل .
- ❖ المعجم الأوسط للطبراني .
- ❖ المستدرک علی الصحیحین للحاکم .
- ❖ كنز العمال للمتقي الهندي .
- ❖ مؤطا الإمام مالك .
- ❖ جامع الأصول في أحاديث الرسول للجزري . ط ١ مكتبة الحلواني
- ❖ العقيدة والعبادة والسلوك للعلامة أبي الحسن علي الندوي .
- ❖ الرسالة المحمدية للعلامة السيد سليمان الندوي .
- ❖ الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي .
- ❖ مناهل العرفان للزرقاني .
- ❖ البرهان في علوم القرآن للزركشي .
- ❖ تاريخ القرآن لمحمد طاهر الكردي .
- ❖ مباحث في علوم القرآن لمناع القطان .

- ❖ علوم القرآن للدكتور صبحي صالح .
- ❖ شهادة الأقسام .
- ❖ الموسوعة البريطانية .
- ❖ مطالعة القرآن للشيخ محمد حنيف الندوي .
- ❖ السيرة النبوية لابن هشام .
- ❖ أساليب الإقناع في القرآن الكريم للدكتور بن عيسى باطاهر دار الضياء للنشر والتوزيع عمان ، الأردن .
- ❖ الفوز الكبير في أصول التفسير للإمام الدهلوي . دار السنة لكتاؤ.
- ❖ نماذج خارقة للإعجاز القرآني للسيد أحمد وميض الندوي .
- ❖ دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة لموريس بكائي .
- ❖ المدخل إلى الدراسات القرآنية للعلامة أبي الحسن علي الندوي
- ❖ فنون القرآن للشيخ السيد قدرة الله الباقوي . دار قدرة ، كرناتك
- ❖ مجلة الرابطة الصادرة من رابطة العالم الإسلامي عام ١٣٩٥هـ
- ❖ محاضرات القرآن للدكتور السيد وقار أحمد الرضوي ، باكستان .
- ❖ الأركان الأربعة للعلامة الندوي - طبع دار القلم ، الكويت عام ١٣٨٩هـ
- ❖ رسائل الإمام الرباني للشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي .
- ❖ الطريق إلى مكة لمحمد أسد . نقله إلى العربية عفيف البعلبكي دار العلم للملايين بيروت الطبعة الأولى ١٩٥٦م .
- ❖ زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية .

## فهرس الكتاب

	<p>كلمة المؤلف  بين يدي الكتاب  المقدمة بقلم :  فضيلة الشيخ السيد واضح رشيد الحسني الندوي  تقديم الكتاب بقلم :  فضيلة الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي</p> <p>توطئه وتمهيد  بسم الله الرحمن الرحيم  اسم الله وصفة رحمته  سورة الفاتحة</p> <p>الباب الأول  القرآن والعلم</p> <p>أهمية العلم  منزلة القرآن العالية  هذه الكائنات  خالق الكائنات  أعمال رب الكائنات هادفة  شمول العلم الإلهي  الكتاب : تسجيل الكائنات  الكائنات مظهر علم الله تعالى</p>
--	---

## نظام الكائنات المحكم

## الباب الثاني

## القرآن والإنسان

القرآن دستور إلهي

الجن والإنس

كرامة الإنسان

الوحي الإلهي والكتب السماوية

الإنسان في ضوء القرآن

العالم عالمان

طبيعة الإنسان

مظاهر هذه الطبيعة

ميزة الإنسان الحقيقية

مستوى عظمة الإنسان

الإنسان القرآني المطلوب

## الباب الثالث

## طاعة رب العالمين

غاية خلق الإنسان

الإنسان مخيراً لا مسيراً

الطاغوت وطرق إضلال الإنسان

الطريق الوسط

شمول الطاعة الإلهية

## الباب الرابع

## بعثة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام

سيدنا نوح عليه السلام

الأنبياء الآخرون

سيدنا إبراهيم عليه السلام

سيدنا موسى عليه السلام



سيدنا عيسى بن مريم عليهما السلام  
 سيدنا محمد رسول الله ﷺ  
 خصائص البعثة المحمدية  
 التربية الإلهية  
 حكم التربية الإلهية  
 شخصية رسول الله ﷺ منارة النور العالمية  
 جامعية السيرة النبوية  
 منهج التعليم والتربية في القرآن لآخر نبي وأمته

#### الباب الخامس

#### القرآن آخر كتاب للهداية الربانية

نزول القرآن وصيانه  
 أسماء مختلفة للقرآن  
 الوحي الإلهي ونزوله  
 كيفيات مختلفة لنزول الوحي  
 أول وآخر ما نزل من القرآن  
 السور المكية والمدنية  
 المنازل  
 تقسيم السور والآيات وترتيبها  
 كتابة القرآن  
 جمع وتدوين القرآن

#### الباب السادس

#### فضائل القرآن الكريم

مكانة القرآن بين الكتب السماوية الأخرى  
 القرآن في ضوء شهادات الأعداء  
 القرآن مهيم على الكتب السابقة وآخر سلسلة للوحي الإلهي  
 الكلام الرباني واللغة العربية  
 كتاب لا تبلى جدته  
 نفسية ادخار الأموال وموقف القرآن نحوها

صورة إنسان منغمس في ملذات الدنيا  
 أربعة شروط للإنسان الناجح  
 القرآن الكريم زاخر بأمثلة كثيرة  
 حياة العرب وتأثير بيئتهم على القرآن  
 الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم  
 كتاب يخاطب العقل والقلب معا  
 موضوع رئيسي للقرآن الكريم  
 ثلاثة أنواع لمعاني القرآن  
 كتاب معجز  
 خصائص القرآن الكريم  
 كتاب مبين وهدى للعالمين  
 عظمة القرآن وقدسيته  
 كلام حكيم وجليل  
 كلام معجز رباني  
 كلام مؤثر بليغ  
 صفة الإقناع في القرآن

#### الباب السابع

#### العلوم التي يشتمل عليها القرآن

علوم القرآن  
 مشكلات القرآن  
 أوليات القرآن  
 فكرة التأمل في الظواهر الكونية في القرآن لتقوية الإيمان  
 تنوع مباحث القرآن الكريم  
 تعبير الرؤيا  
 علم الأمثال  
 علم الأخلاق  
 علم النفس  
 علم السياحة والرحلة

<p>الاكتشافات السماوية  الوثائق التاريخية  علم الاقتصاد  الأسلوب العلمي  اللباس الإنساني  قول الله عن التغذية  الصناعات المعدنية  شمول القرآن الحقائق المتنوعة للحياة والكون  <b>الباب الثامن</b>  <b>وجوه الإعجاز في القرآن الكريم</b>  الإعجاز البياني في القرآن  إعجاز فواصل القرآن  الإعجاز العددي الباهر في القرآن  <b>الباب التاسع</b>  <b>من تعاليم القرآن الكريم</b>  الدعوة إلى الأخلاق الحسنة  سورة الفاتحة  سورة "اقرأ" أول سورة نزولاً لكنها سورة العلم  سورة البقرة وسور القرآن الأخرى  عقيدة التوحيد  عقيدة التوحيد وما يندرج فيها من حقائق  الصلاة  العلاقة بين الرب والعبد  الكون في خضوع دائم وعبادة مستمرة  مركز الإنسان في هذا العالم وما يقتضيه  وسبب تميزه عن سائر الكون في العبادة  عبادة مطابقة لوضعه الخاص ومركزه الدقيق  لباس فصل على قامته</p>
--

	<p>أهمية الزكاة والصدقات  الصيام  عيد الفطر  الحج  عيد الأضحى  فكرة الجهاد في القرآن الكريم  الباب العاشر  مكانة خاتم النبيين محمد ﷺ ومهمته  من مقاصد البيعة المحمدية  أهمية حسن السيرة و الأخلاق الحسنة  ترياق لسموم غوائل النفس وأمراض القلب  الإخلاص  التوبة المخلصة  الصبر والعضو  مراقبة الأمور  التقوى والسداد في القول والعمل  اليقين والتوكل  الاستقامة  الاعتصام بالكتاب والسنة  حب الله ورسوله  التعاون على البر والتقوى  الأخوة الإسلامية  الإصلاح بين الناس والعمل المفيد  الملاطفة والتواضع  اتباع أسوة الرسول  الخوف والرجاء  الزهد في الدنيا والتقليل منها  الإيثار على النفس</p>
--	--

تحريم الكبر والفساد
حسن الخلق وتملك النفس
صحية خيار الناس
حق المسلم على المسلم
تهذيب الأخلاق وتزكية النفس
الباب الحادي عشر
توجيهات قرآنية في حسن السيرة والأخلاق الحسنة
الأمراض الاجتماعية وعلاجها
التقوى
الحياء
العدل
العضو
قلب الإنسان في ضوء القرآن الكريم
مركزية القلب
ربط العواطف والمشاعر بالقلب
سعة مجالي القلب والعقل
كلمات القلب والفؤاد
الأعمال بالنيات
الروح تابعة للقلب
دور القلب والعقل
الأسلوب القصصي في القرآن
جمال الأسلوب القصصي ومعنويته
غاية الأسلوب البياني في القرآن
قصة سيدنا يوسف عليه السلام
مراعاة المناسبة والموضع

	أسلوب قصص موسى عليه السلام وسائل الإعلام في القرآن الكريم تأثير الإعلام الإعلام الهادف مثال المجال الفردي مثال المجال الجماعي قصص ذات عبرة للأمم الماضية مثال عملي ..... العبادة والدعاء في القرآن الكريم مراجع الكتاب فهرس الكتاب
--	---